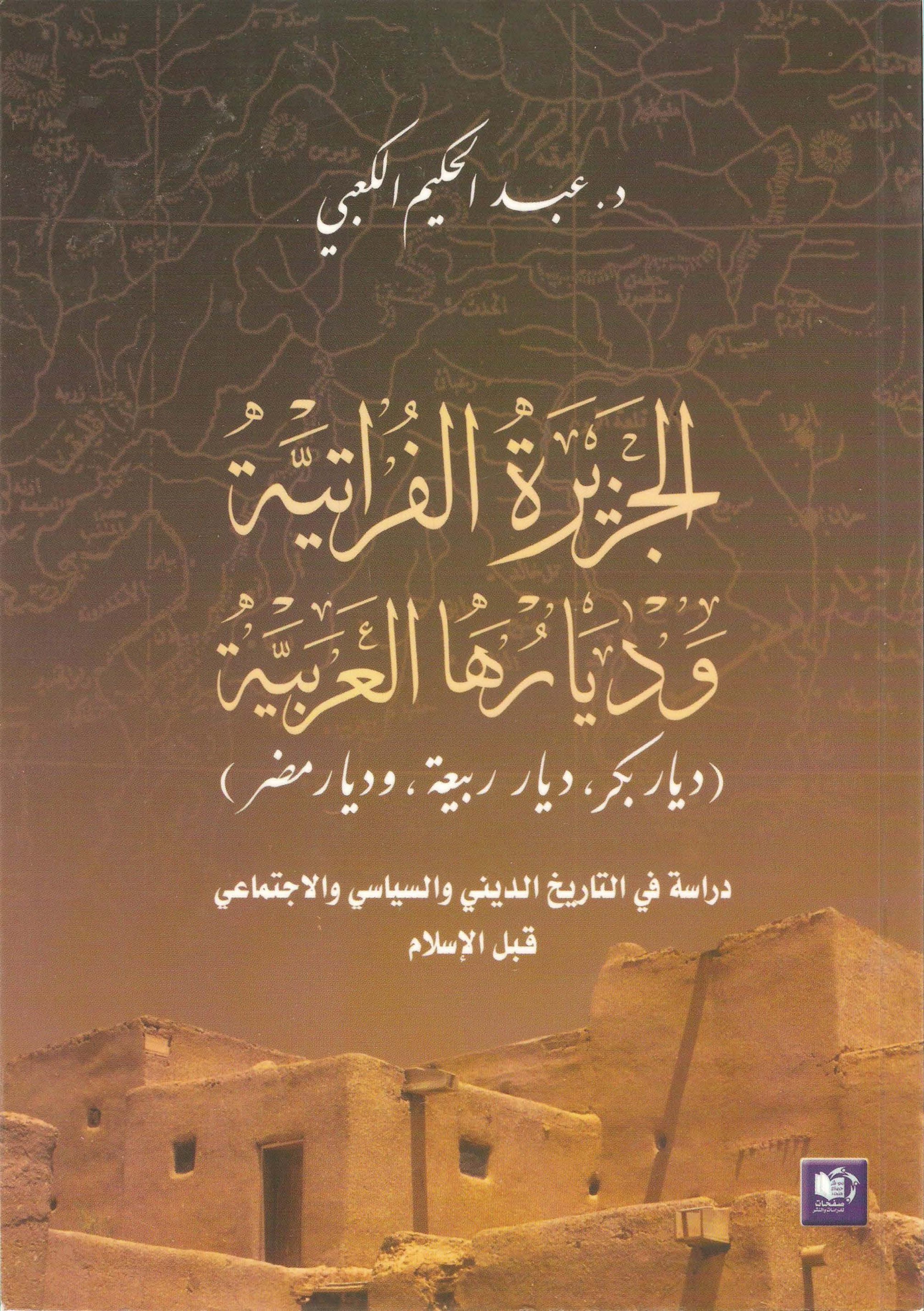
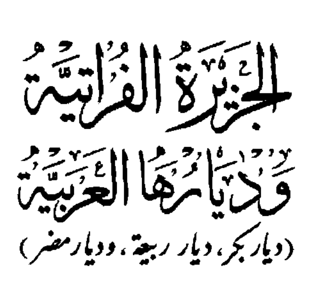

د. عبد الحكيم الكعبي
الجزيرة الفراتية
وديارها العربية
(ديار بكر، ديار ربيعة، وديار مضر)
دراسة في التاريخ الديني والسياسي والاجتماعي
قبل الإسلام
صفحات
للدراسات والنشر


الجزيرة الفراتية
وديارها العربية
(ديار بكر، ديار ربيعة، وديار مضر)

نحو فكر
حضاري متجدد



القدس
عاصمة الثقافة العربية
2009 م

الكتاب: الجزيرة الفراتية وديارها العربية

(ديار بكر، وديار ربيعة، وديار مضر)

المؤلف: د.عبد الحكيم الكعبي

الإصدار الأول 2009 م

عدد النسخ: 1000/ **عدد الصفحات:** 160

الغلاف: م. جمال الأبطح

التدقيق اللغوي: مظهر اللحام

الإشراف العام: يزن يعقوب /جوال 00963 933 418 181

الإخراج الفني: فؤاد يعقوب /جوال 00963 933 902 764

دار
صفحات للدراسات والنشر

سورية - دمشق - ص.ب: 3397

هاتف: 095 13 22 11 00963

تلفاكس: 013 33 22 11 00963

www.darsafahat.com
info@darsafahat.com

الترقيم الدولي ISBN
978-9933-402-20-4

د. عبد الحكيم الكعبي



دراسة في التاريخ الديني والسياسي والاجتماعي
قبل الإسلام



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَا تَوْفِيقِيَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾

صدق الله العظيم

(هود 88)

الإهداء

إلى ظلال الحب التي رافقت خطواتي

روحي والديّ الطاهرتين........ براً وإحساناً

إخوتي وزوجتي وأبنائي.......... حباً ووفاءً


منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET

المحتويات

المقدمة

يقع إقليم الجزيرة الفراتية في قلب العالم القديم، بين أعالي نهري دجلة والفرات، وهو بذلك يحتل الجزء الشمالي الغربي من أرض العراق، والشمالي الشرقي من سوريا، ولتاريخ هذه المنطقة قبل الإسلام أهمية خاصة، ذلك لأن أرض هذا الإقليم العريق بحضارته كانت مسرحاً لأحداث مهمة، ونهضت فيه حضارة عربية عظيمة قبل الميلاد قروناً وتواصلت من بعده، وما زالت آثارها شاخصة حتى اليوم، كما شهد من جانب آخر صراعات دامية على مر العصور بين القوى الطامعة في هذه البلاد الغنية، كان آخرها بين الدولتين الساسانية والبيزنطية طوال القرن السادس الميلادي، وحتى تحرير العرب المسلمين للجزيرة الفراتية مطلع القرن السابع، وطرد المحتلين منها، حيث كانت الحدود السياسية بين الدولتين المذكورتين تمر وسط هذا الإقليم، يضاف إلى ذلك أن القرن السادس الميلادي كان مرحلة مهمة في تاريخ العرب عموماً، لأنه الحقبة التي سبقت انطلاقتهم الحضارية الكبرى بظهور الإسلام، وبزوغ فجر التكون العربي الجديد، حيث النزوع إلى التحرر والنهوض الحضاري.

لم تتوافر دراسة خاصة بإقليم الجزيرة الفراتية، تغطي تلك الحقبة الزمنية (قبل الإسلام) مع توافر معلومات مهمة عنها، ولكنها مبعثرة في ثنايا المصادر، ومتفرقة في بطون الكتب التاريخية والجغرافية والأدبية القديمة، العربية منها واليونانية والسريانية.

لقد كتبت عن الجزيرة الفراتية في عصرنا الحديث رسائل علمية وبحوث ودراسات قيمة [1]، لا أغفل استفادتي من بعضها في هذا البحث، ولكنها تناولت تاريخ هذه المنطقة في العصور الإسلامية، أي ابتداءً من القرن الأول الهجري، السابع الميلادي وما بعده حتى

1- أهم تلك الدراسات:

1 -Ali، j.s.، The Christians of the Jazria (17.132 A.H / 638.750 A.D)، unpublished thesis of Ph. D. (Edinburgh، 1982)

2- محمد جاسم حمادي : الجزيرة الفراتية والموصل (127 هـ – 218 هـ / 744 م – 833 م) بغداد 1977م، «رسالة ماجستير / جامعة بغداد 1975م».

3- فيصل السامر: الدولة الحمدانية في الموصل وحلب (293 هـ – 392 هـ / 905 م-1001م) بغداد 1970م، «أطروحة دكتوراه / جامعة القاهرة 1953م».

4- خاشع المعاضيدي: دولة بني عقيل في الموصل (386 هـ – 489 هـ / 995 م- 1098 م) بغداد 1968م، «رسالة ماجستير / جامعة القاهرة 1968م».

5- سوادي عبد محمد : التنظيمات الاجتماعية والسياسية في أتابكيات الموصل في القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي. أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة 1975م.

6- محمود ياسين أحمد التكريتي: الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة (564 هـ – 648 هـ / 1168م- 1250م) بغداد 1981م، «أطروحة دكتوراه، جامعة القاهرة».

القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، ومع أن تلك الدراسات والبحوث المذكورة تطرق بعضها إلى تلك الحقبة (قبل الإسلام) بالإشارة أو التلميح أو مقدمات لموضوعات بحثهم، خاصة الجوانب ذات صفة الثبات والاستقرار كجغرافية الجزيرة، وأهمية موقعها الحيوي ومواردها الاقتصادية والمائية، وتحدث بعضها عن التركيب السكاني للجزيرة، فأشار إلى هجرة القبائل العربية إليها قبل الإسلام، وبعض هذه البحوث تطرق إلى الأوضاع السياسية والحياة الدينية في الجزيرة في تلك الحقبة على نحو سريع ومقتضب، إلا أنه بحسب علمي ليس هناك دراسة مستقلة، تبحث أوضاع الجزيرة الاجتماعية والدينية والسياسية في الفترة السابقة لظهور الإسلام.

إن المختص يقدر حجم الصعاب التي يواجهها الباحث في تاريخ العرب قبل الإسلام، من حيث ندرة المصادر التي تناولت أحداثه، فضلاً على اضطراب المعلومات واختلاف الروايات في المصادر المتوافرة عنها، وذلك لأن أحداث تلك المرحلة (قبل الإسلام وصدر الإسلام) قد جرى تناقلها شفاهاً على ألسن الناس والرواة عبر الأجيال أكثر من قرن ونصف القرن من الزمان، قبل أن تدوّن أواخر القرن الثاني للهجرة، الثامن للميلاد، حتى صار صعباً إسنادها إلى مصدر فردي أو جماعي معين.

وقد حاولت جهدي أن أطلع، إضافة إلى ما حوته المصادر العربية الأولية، وبقدر المستطاع على ما كتب عن الجزيرة الفراتية في تلك الفترة في المصادر السريانية واليونانية، خصوصاً المترجم منها إلى العربية أو الانكليزية أو الفرنسية.

يقع هذا الكتاب في ستة فصول، تضمن الفصل الأول منه عرضاً نقدياً موجزاً لأهم المصادر والمراجع التي تبحث في تاريخ الجزيرة الفراتية قبل الإسلام، والتي استفدنا منها في إعداد هذا الكتاب.

أما الفصل الثاني فقد عالج المبحث الأول منه موضوع جغرافية الجزيرة الفراتية، وما يتصل بها من تسمية وحدود وتضاريس وموارد مائية، وتناول المبحث الثاني أهمية الموقع الحيوي للجزيرة، لأنها كانت تمثل جسراً «أرضياً» يربط بين الشرق والغرب، وتمر بها طرق التجارة العالمية من جميع الاتجاهات، كما تضمّن الأهمية الاقتصادية للجزيرة، وما كانت تزخر به أرضها من خير وفير وتنوع في المحاصيل الزراعية، جعلها محط أطماع الدول الكبرى آنذاك، فكانت محاولاتها مستمرة للسيطرة عليها واحتلالها.

أما الفصل الثالث فتناولنا فيه موضوع هجرة القبائل العربية «الحجازية» إلى الجزيرة الفراتية، وتطرقنا أولاً إلى قدم الوجود العربي فيها والتأثير الحضاري الذي تركه العرب

القدامى (الآراميون) في هذا الإقليم، ثم أشرنا إلى قيام عدد من الممالك العربية المستقلة فيها، وبحثنا في هذا الفصل أنساب القبائل العربية المهاجرة إلى الجزيرة، ومواطنها الأصلية في شبه الجزيرة العربية قبل هجرتها وتفرقها، مع دراسة أسباب تلك الهجرات وتاريخ حدوثها، ثم تطرقنا إلى المنازل، الديارات الثلاث التي استقرت فيها في إقليم الجزيرة وهي:

- ✧ ديار بكر.
- ✧ ديار مضر.
- ✧ ديار ربيعة.

وبحثنا في الفصل الرابع الحياة الدينية في الجزيرة الفراتية قبل الإسلام بعدّها واحدة من أوجه الحياة الاجتماعية، وبعد الإشارة باختصار إلى أهم الديانات التي كانت في الجزيرة آنذاك، تناولنا بالتفصيل الديانة المسيحية، لأنها أكثر الديانات انتشاراً فيها، ومنذ القرون الأولى للميلاد، وتركت آثارها السياسية والاجتماعية الواضحة في حياة هذا الإقليم، وتحدثنا مفصلاً عن انتشار المسيحية بين القبائل العربية، ثم تناولنا الاجتهادات [المدارس الفكرية] التي ظهرت في هذه الديانة، والتي تبلورت لاحقاً على نموذج مذاهب وفرق دينية متعددة، ومقدار ظهور ذلك على واقع الحياة الدينية في الجزيرة، مع ذكر لما واجهه المسيحيون من اضطهاد وتعذيب في ظل تسلط الدولتين «البيزنطية والساسانية» اللتين كانتا تتقاسمان احتلال الجزيرة الذي استمر حتى ظهور الإسلام وتحرير الجزيرة سنة 18هـ/639م.

أما الفصل الخامس فقد عالج الحياة السياسية في هذا الإقليم، فتناول التطورات السياسية في العالم والمنطقة آنذاك، وصراع الدول الكبرى على إقليم الجزيرة، ثم أحوال العرب في القرن السادس الميلادي، وما شهدته هذه المرحلة من تبلور في الوعي القومي لديهم ونزوعهم إلى الوحدة، والرغبة في التخلص من الوجود الأجنبي، مع محاولات تلك القوى الأجنبية الحد من هذه التطلعات، والسعي لتفتيت وحدة القبائل العربية، وقد تناول هذا الفصل بالتفصيل الحروب التي دارت رحاها على أرض الجزيرة في القرن السادس الميلادي بين الدولتين الساسانية والبيزنطية، طمعاً في الاستحواذ والهيمنة عليها، وقد أشرنا في هذا الفصل إلى تطور نظرة تلك الدول إلى العرب، وكيف أخذت تحسب الحساب في التعامل معهم، في الوقت نفسه الذي كانت تخشى فيه من خطرهم عليها وتحذر منه، حتى بلغ العرب مطلع القرن السابع الميلادي المستوى الذي مكنّهم من

حمل رسالة السماء وتحرير الأرض والإنسان، ودحر أكبر قوتين في العالم آنذاك، ونشر راية الإسلام في المشرق والمغرب.

وفي الفصل السادس الأخير بحثنا موضوع تحرير الجزيرة الفراتية من الاحتلال البيزنطي سنة 18هـ، 639م، على يد القائد العربي عياض بن غُنْم، وبعد مقدمة عن الموقف العسكري في أعقاب الانتصار العربي الباهر بتحرير أرض الشام والعراق في معركتي اليرموك والقادسية تناولنا مراحل تحرير الجزيرة، والمبادئ والقيم التي سارت عليها حركة التحرير العربية الإسلامية، وموقفها من أصحاب الأديان الأخرى، وخاصة المسيحيين في الجزيرة، وموقف القبائل العربية من حركة التحرير، وأخيراً مناقشة وتحليل لمعاهدات الصلح والسلام التي أبرمها قائد تحرير الجزيرة مع سكان المدن المحررة موضحاً المبادئ السامية التي انطوت عليها تلك المعاهدات، وروح العدالة والتسامح التي حملها المحررون العرب، حيثما حلّوا أو نزلوا.

د.عبد الحكيم الكعبي

الفصل الأول

مصادر دراسة تاريخ

الجزيرة الفراتية

كُتب عن الجزيرة الفراتية على مر العصور الكثير من المؤلفات بلغات متعددة، كما أفردت لها فصول في الكثير من المصنفات التاريخية والجغرافية والأدبية، تناولت مختلف جوانب الحياة فيها، ويمكن تقسيم تلك المصادر التي لا بد لأي باحث من الرجوع إليها عند دراسته لتاريخ الجزيرة الفراتية إلى نوعين هما :

أولاً - المصادر العربية الإسلامية .

ثانياً - المصادر المسيحية، عربية وسريانية.

وفيما يلي عرض نقدي لأهم تلك المصادر[1]:

أولاً - المصادر العربية الإسلامية:

1- المصادر التاريخية:

أ. تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري، (ت 310هـ - 923م):

يعد كتاب الطبري هذا من المصادر المهمة في دراسة التاريخ العربي الإسلامي، ومع أنه يركز في مادته على سواد العراق، إلا أنه يورد معلومات مهمة جداً عن إقليم الجزيرة الفراتية قبل الإسلام، منها مثلاً قدم الوجود العربي فيها، ومواقف الرفض والمواجهة بين عرب الجزيرة وحكام الفرس والبيزنطيين، ومحاولات هؤلاء الحكام تفتيت وحدة القبائل العربية القوية فيها وإضعافها، كما استفدنا من رواياته عن نصارى الجزيرة قبل الإسلام، وهي متطابقة تقريباً مع ما ورد عنهم في المصادر السريانية، إلا أن هذه المصادر كانت أكثر تفصيلاً، وقد يعود تشابه روايات الطبري مع المصادر السريانية إلى أن رواته، وخاصة «ابن الكلبي»، قد اطلعوا على المصادر السريانية.

ومع أن طريقة الطبري في التدوين هي ذكر مختلف الروايات معتمداً السند فيها، فإنه فيما يتعلق بعملية تحرير الجزيرة الفراتية يورد معلومات تختلف في بعض الأحيان كثيراً عما جاء عند الواقدي واليعقوبي والبلاذري، فهو في هذا المجال يأخذ كثيراً عن سيف بن عمر (ت 170 هـ، 786 م)، وسيف يذكر أسماء غير معروفة الإسناد[2]،

1- ترتيب هذه المصادر، نقدها وتحليلها، جاء وفقاً لدرجة الاستفادة منها في هذا البحث.

2- الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك. ج 4، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة 1968م)، ص 54 – 56.

ولم يرد لها ذكر في الكتب والمصادر الأخرى، كما يذكر أن تحرير الجزيرة كان سنة 17هـ، 618 م، وأن الجيش الذي حررها كان قادماً من العراق[1]، وهو ما لم تؤكده المصادر الأخرى مثل البلاذري[2] وابن خياط[3] واليعقوبي[4] الذين أكدوا أن تحرير الجزيرة كان سنة 18 هـ، 639 م، وعلى أي حال فإن كتاب الطبري هذا مصدر لا يمكن الاستغناء عنه عند بحث أحوال الجزيرة الفراتية ودراستها في القرن السادس الميلادي.

ب. كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر، وكتاب التنبيه والإشراف لعلي بن الحسين المسعودي، (ت 345 هـ، 959 م):

لقد أفدنا من مؤلفات المسعودي، مروج الذهب والتنبيه والإشراف من ناحيتين: التاريخية والجغرافية، فالمسعودي نقل لنا معلومات مهمة عن هجرة القبائل العربية ومواقع انتشارها في الجزيرة الفراتية، وعن تحدي القبائل العربية لحكام الدولة الساسانية، خاصة موقف قبيلة إياد، وهو في كل ذلك يصور لنا أسلوبه بعدّه مؤرخاً وجغرافياً في آن واحد، وبخاصة في كتابه التنبيه والإشراف الذي يورد فيه مادة جغرافية مهمة[5]، وقد سار المسعودي في كتابه التنبيه والإشراف على الأسلوب نفسه الذي اعتمده في مروج الذهب مع بعض الزيادات الطفيفة[6].

إن المطلع على مؤلفات المسعودي يلاحظ إشاراته الكثيرة إلى مؤلفات عدة، معظمها لم يعد له وجود، ما يدل على أنه قرأ كل ما تيسر له في عصره، وبعض معلوماته الجغرافية وردت الإشارة إليها في مؤلفات من سبقوه، إلا أنه ينفرد بمزية لم يشاركه فيها أحد من قبله من جغرافيي العرب، إذ تحدث عن الشعوب والبلاد المجاورة لبلاد المسلمين، ولكن كتاباته لم تخل مما وقع فيه غيره من المؤرخين والجغرافيين العرب، إذ يميل إلى الاستطراد وتسجيل الخرافات والأساطير، فضلاً على تناوله لمواضيع سطحية، من دون أن يتناولها بالنقد العلمي[7].

1- المصدر نفسه والجزء ص 53.
2- فتوح البلدان، (القاهرة، 1959م)، 172.
3- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، ج 1 ،(النجف، 1967م)، ص 130 – 131.
4- تاريخ اليعقوبي، (النجف، 1964م)، ج2، ص 140.
5- كراتشكوفسكي، أغناطيوس يوليا : تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان، ق 1، (القاهرة 1966 م)، ص 178.
6- جواد علي: موارد تاريخ المسعودي. مجلة سومر، م2، (بغداد، 1964م)، ص 19.
7- مصطفى الشهابي: الجغرافيون العرب، دار المعارف، (القاهرة، 1962م)، ص 51-52.

ويمدنا المسعودي بمعلومات مهمة وتفصيلية عن تاريخ انتشار الديانة المسيحية في إقليم الجزيرة الفراتية، وعن فرقها ومذاهبها، ما يؤكد اطلاعه الواسع على المصادر المسيحية، حتى إنه استعمل بعض الكلمات والمصطلحات السريانية في مؤلفاته[1]، ويظن أنه كان المؤرخ الوحيد من المؤرخين المسلمين الذين استفادوا من تلك المصادر، أو ربما هو الوحيد الذي أخبرنا عنها[2]. ومن المؤلفات المسيحية التي استفاد منها المسعودي ولا تزال موجودة كتاب سعيد بن البطريق الموسوم «التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق»[3] وكذلك كتاب أغابيوس (محبوب) بن قسطنطين المنبجي الموسوم «العنوان المكلل بفضائل الحكمة المتوج بأنواع الفلسفة الممدوح بحقائق المعرفة»[4]. إن اطلاع المسعودي على هذين الكتابين وحدهما دليل على سعة معلوماته ومتانة مادته العلمية[5].

2 ـ المصادر الجغرافية:

من أهم المصادر الجغرافية التي اعتمدتها في هذا البحث:

أ ـ «معجم ما استعجم» لأبي عبيد الله بن عبد العزيز البكري (ت **487**هـ، **1094**م)[6]: وقد تناول في مقدمته موضوع هجرة القبائل العربية من شبه جزيرة العرب إلى إقليم الجزيرة الفراتية، متحدثاً بالتفصيل عن منازلها قبيل تفرقها والأحوال التي أدت إلى هجرتها، مشيراً إلى الحروب التي دارت بين القبائل، وهو ما اصطلح على تسميته «أيام العرب»، كما أشار إلى الحروب التي دارت بين القبائل العربية والقوات الفارسية، إلا أن البكري في كتابه هذا لا يشير ولا يحدد تاريخ وقوع تلك الأحداث، وإنما ينسب أحياناً زمن وقوعها إلى العصر الساساني، وبحسب تتابع حكم الملوك الساسانيين، فيروي تلك الأحداث بحسب التسلسل الزمني لوقوعها.

تضمن هذا المصدر سبع روايات أساسية عن هجرة القبائل العربية إلى الجزيرة الفراتية، أربع منها أخذها عن ابن الكلبي[7] المؤرخ المشهور بسعة معرفته بأنساب العرب

1- ينظر الفصل الثالث من هذا الكتاب.

2- لويس شيخو: التواريخ النصرانية في العربية، مجلة المشرق / السنة الثانية عشرة، (بيروت، **1906**م)، ص**483**-**485**.

3- حققه ونشره لويس شيخو بجزأين، (بيروت **1905**م - **1906**م).

4- حققه ونشره لويس شيخو، (بيروت، **1905**م).

5- هادي حسين حمود، منهج المسعودي في بحث العقائد والفرق الدينية، (بغداد، **1984**م)، ص **226**-**231**

6- حققه محمود السقا، (القاهرة، **1945**م).

7- البكري، المصدر نفسه ،ص **67** - **71** - **75**.

وتفاصيل أيامهم، وأخذ روايتين عن عمر بن شبة[1]، وهو الآخر ذو خبرة وباع طويل في هذا الميدان، والسابعة جاءت عن أبي علي القالي[2]. هذا المصدر أفادنا في معلومات جغرافية وتاريخية قيمة، لا يستطيع أي باحث في تاريخ العرب قبل الإسلام الاستغناء عنه.

ب - كتاب «الأعلاق النفيسة» لأبي علي بن رستة، (ت بعد سنة **290** هـ، **903**م): وتضمن معلومات جغرافية مهمة ومتنوعة، وخاصة عن الموارد المائية في الجزيرة.

ج - كتاب «مسالك الممالك» لأبي القاسم عبيد الله بن خرداذبة (ت **300** هـ، **912** م):

وفي هذا المصدر الهام وصف للطرق والمسالك في إقليم الجزيرة، وقد أخذ عنه الكثير من الجغرافيين أمثال ابن حوقل والمقدسي والمسعودي وغيرهم، ذلك أن مؤلف هذا الكتاب كان مسؤولاً عن إدارة البريد في إقليم الجبال، ولديه معلومات واسعة ودقيقة عن الطرق والمسالك والمسافات بينها.

د - كتاب «صورة الأرض» لأبي القاسم النصيبي بن حوقل، (ت **340** هـ، **951** م)

ويتضمن معلومات هامة تتعلق بالجانب الاقتصادي خصوصاً كالزراعة والصناعات وأنواع الحرف في الجزيرة الفراتية.

هـ - كتاب «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» لشمس الدين أبي عبد الله محمد المقدسي المعروف بالبشاري، (ت **375** هـ، **985** م).

و - كتاب (المسالك والممالك) وكتاب (الأقاليم) لأبي إسحق إبراهيم بن محمد الاصطخري المعروف بالكرخي، (ت **318** هـ، **930** م).

ز - «معجم البلدان» لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي، (ت **626** هـ، **1228**م).

ومع أنه من المصادر المتأخرة إلا أنه يورد معلومات مهمة عن مدن إقليم الجزيرة، وذلك لتنوع مصادره وقدمها.

ولابد من الإشارة إلى إن معظم تلك المصادر الجغرافية التي ورد ذكرها كانت قد كتبت في الفترة بين القرن الثالث الهجري، العاشر الميلادي وأواخر القرن الرابع الهجري،

1- المصدر نفسه، ص **25** — **26** — **69**.

2- المصدر نفسه، ص **70**.

الحادي عشر الميلادي، وهي فترة متأخرة تقريباً عن فترة هذا البحث، ومع ذلك فإن أكثر ما ورد فيها من معلومات عن جغرافية الجزيرة الفراتية جاء متطابقاً كثيراً مع ما جاء في المصادر السريانية المعاصرة للفترة المدروسة، ومع ما ذكره القدماء من الجغرافيين أمثال سترابو، (ت 25 م)، خاصة فيما يتعلق بخصوبة أرض الجزيرة ووفرة محاصيلها وتنوعها، إضافة إلى أن هناك من الظواهر الجغرافية ما يتصف بنوع من الثبات والاستقرار التقريبي على مقدار عدة قرون كالمناخ والتضاريس والموقع الجغرافي.

3- كتب الفتوح الإسلامية:

اعتمدنا في هذا البحث أيضاً عدداً من كتب الفتوح الإسلامية أهمها:

أ ـ كتاب «فتوح الشام» لمحمد بن عمر الواقدي، (ت 206 هـ، 822 م):

لم يكتف الواقدي بذكر الحوادث التي سمعها، ولكنه زار إقليم الجزيرة الفراتية[1]، وكتابه فتوح الشام يصور المعجزات والخوارق التي حدثت في أثناء عملية تحرير الجزيرة، كما يتحدث تفصيلياً عن الحصون والقلاع الكثيرة المنتشرة في هذا الإقليم، ما يؤكد أنه كان مسرحاً لقتال وصراع مستمر زمناً طويلاً، ويوفر كتاب الواقدي معلومات مهمة عن عرب الجزيرة، حيث يشير إلى أن ترددهم، وموقفهم الحذر في البداية من جيوش الفتح العربي الإسلامي لم يكن بسبب قناعتهم الدينية، ولكن لرغبتهم في الاحتفاظ باستقلاليتهم[2]، فضلاً على ما يذكره من معلومات مفيدة عن موقف رجال الدين المسيحيين من حركة التحرير العربية الإسلامية، لكنه يخطئ كثيراً في كتابة أسماء رجال الدين المسيحيين وألقابهم.

ب ـ كتاب «فتوح البلدان» لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، (ت 279هـ، 892م):

البلاذري من المؤرخين الذين تتصف رواياتهم بالمنطق والحياد، كما لا يعد مجرد ناقل للخبر، ولكنه كان يملك القدرة على مقارنة مختلف الأحداث كما رويت، رافضاً بعضها، لأن مصادرها غير موثوق بها، أو لأنها روايات ضعيفة، بينما يذكر روايات أخرى، يبدؤها بعبارة «الثبت أن....»[3]، وكتاب الفتوح يعد من المصادر الهامة في هذا الميدان، وهو مرتب

1- الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي: تاريخ بغداد، ج 3 ،(القاهرة، 1931 م)، ص 4- 6.
2- الواقدي: فتوح الشام، ط 4، مطبعة البابي الحلبي،القاهرة، 1966م، ص 98-99، 111-112، 140.
3- فتوح البلدان،(القاهرة، 1959م)، ص 173- 177.

على الأقاليم، وفي الفصل الثاني منه يتحدث عن تحرير المسلمين للجزيرة الفراتية، وأكثر رواياته أخذها عن الواقدي وعن ابن سعد،(ت 230 هـ، 845 م)، ومن المفيد الإشارة هنا إلى أن البلاذري في نقله عما ذكره الواقدي اكتفى بذكر الأحداث التاريخية، وأهمل ذكر الأساطير التي أوردها، والبلاذري هو المؤرخ الوحيد الذي يذكر تفاصيل الاتفاقيات بين المسلمين والمسيحيين في الجزيرة، كما يشير إلى موقف الفلاحين من حركة التحرير العربية الإسلامية، وهو لا يظهر انحيازاً إلى المسلمين، مع الفخر الذي بدا واضحاً في فصول أخرى في كتاباته عن الإنجازات المهمة التي حققها المسلمون الأوائل.

ج - كتاب «الفتوح» لابن أعثم الكوفي، (ت 314 هـ، 926 م).

ينفرد ابن أعثم الكوفي بإيراد تفصيلات مسهبة عن عملية تحرير الجزيرة منذ قرار الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بتحريرها، ويذكر نصوص الرسائل التي وجهها بهذا الصدد إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح وإلى عياض بن غنم، ويذكر معلومات مهمة وتفصيلية عن مراحل تحرير مدن الجزيرة، الرقة والرها وحران وآمد وميافارقين، فيذكر صفات خارقة للمسلمين في معاركهم وجهادهم في سبيل دينهم، كما أشار إلى وجود أعداد كبيرة من القوات البيزنطية في الجزيرة عند تحريرها، خاصة الرقة وحران.

ويعد كتاب ابن أعثم مصدراً مهماً لما بذله من جهد في تفسير مواقف قادة المسلمين وتوجهاتهم في أثناء عملية التحرير، وتجدر الإشارة إلى أن الفصل الخاص بتحرير الجزيرة مكتوب معظمه بالفارسية، (طبعة حيدر آباد، الدكن بالهند 1968م – 1970م)، ويختلف ابن أعثم عن البلاذري في عدم ذكره سند رواياته عن تحرير الجزيرة، لكنه يذكر في مقدمة الجزء الأول من كتاب الفتوح سنداً عاماً لكتابه.

4 - كتب التنظيمات المالية والإدارية:

استفدنا أيضاً من عدد من كتب الخراج، خاصة تلك التي عاش مؤلفوها في الفترة المبكرة من تاريخ الدولة العربية الإسلامية، ومع أن معظم معلوماتها نظرية فقهية، إلا أنها تدعم نظرياتها بروايات تاريخية مهمة، فروت بعض التفصيلات عن الجوانب الاقتصادية والسياسية لإقليم الجزيرة قبل الإسلام، وبعضها خصص فصلاً خاصاً عن نصارى بني تغلب، وأشار أبو يوسف إلى حدود إقليم الجزيرة وإلى مناطق وجود القوات الأجنبية الساسانية والبيزنطية فيها قبيل تحريرها، وفي بعض الروايات يستطيع الباحث أن

يستنتج ما كانت تتمتع به الجزيرة من غنى وثراء[1]، وقد اعتمدت تلك المصادر الإسناد في نقل الرواية والتعليل والمناقشة لتلك الروايات في أكثر الأحيان، وأهم تلك المصادر التي رجعت إليها هي:

أ - كتاب الخراج لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم، (ت 182 هـ، 798 م) .

ب - كتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشي، (ت 203 هـ، 818 م).

5 . المصادر الأدبية:

لا يمكن الاستغناء عن كتب الأدب في دراسة التاريخ العربي الإسلامي، ففيها الكثير من المعلومات والحقائق التاريخية التي يستطيع الباحث أن يستنتجها من دراسة تلك المصادر، ومن أهم المؤلفات التي لها علاقة بموضوع بحثنا :

أ - كتاب «العقد الفريد» لابن عبد ربه أبي عمر شهاب الدين أحمد بن محمد المرواني، (ت 328 هـ، 939 م) .

ب - كتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين، (ت 356هـ، 966 – 967م).

وفي هذين الكتابين معلومات مهمة ومفصلة تتعلق بتفرق القبائل العربية وهجرتها من موطنها الأصلي شبه جزيرة العرب بسبب الحروب القبلية التي دارت بينها (أيام العرب)،كما أشارا إلى منازلها الجديدة في إقليم الجزيرة.

ج - كتاب «نهاية الأرب في فنون الأدب» لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، (ت 733 هـ).

د - كتاب «صبح الأعشى في كتابة الإنشا » لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي، (ت 821 هـ، 1418م).

ومع أن هذه الكتب تعد متأخرة عن حقبة هذه الدراسة، إلا أنها ذكرت الكثير من الروايات والأحداث عن تلك المرحلة وأحوالها، ولابد من الحذر والتدقيق في تلك الروايات، لأنها كثيراً ما تكون مليئة بالمبالغة والإسهاب في مواضع كثيرة.

---

1. ينظر الفصل الثاني من هذا الكتاب.

ثانياً- المصادر المسيحية:

أفدنا في هذا البحث من الكثير من المصادر المسيحية [النصرانية] الأولية خاصة، فقد احتوت على معلومات تاريخية وجغرافية عن إقليم الجزيرة الفراتية في تلك الحقبة الزمنية، وعن تاريخها السياسي والاجتماعي، والحياة الدينية خصوصاً، وإذا كان العرب قد بدؤوا بتدوين تاريخهم عن طريق جمع الروايات الشفوية أواخر القرن الأول الهجري، السابع للميلاد وفي القرن الثاني للهجرة، الثامن الميلادي، فإن السريان بدؤوا بتدوين التاريخ إثر حوادث الاضطهاد التي عاشتها الديانة المسيحية تحت حكم الفرس والروم بتدوين سير شهدائهم منذ القرن الثالث الميلادي، وفي القرن السادس الميلادي أو قبله قليلاً بدأت حولياتهم في التاريخ[1].

ولما كان معظم مؤلفي هذه المصادر من طبقة رجال الدين النصارى، فإنها اهتمت بالأمور الدينية أكثر من الروايات التاريخية، وعلى كل حال فهناك الكثير من المعلومات التاريخية التي وردت ممزوجة بالمواضيع الدينية، تسلط الضوء على الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لمجتمع الجزيرة الفراتية في تلك الفترة، ومن المألوف أن تكون تلك المؤلفات مشحونة بالعاطفة الدينية، وربما بالتعصب أحياناً، لأن مؤلفيها كانوا من رجال الدين الذين سخّروا حياتهم لخدمة الكنيسة والعقيدة المسيحية[2].

تعتمد معظم تلك المصادر طريقة الحوليات في رواية الحوادث التاريخية، فهي متشابهة في ذلك مع بعض المصادر الإسلامية، وهي لا تعتمد الأسانيد في روايتها للحوادث، ولكن بعضها قد يشير إلى اسم المصدر الذي رويت عنه الحادثة، وقد لا يشير، وهي لا تروي الرواية من مصادر مختلفة وبعدة وجوه، كما تفعل المصادر العربية الإسلامية، بل تروي الحادثة التاريخية بوجه واحد، وكأنها حقيقة مسلم بها، وأهم تلك المصادر :

1 . الكتب العربية:

أ . كتاب ماري بن سليمان: «أخبار بطاركة كرسي المشرق»، وهو مكتوب باللغة العربية، وقد وردت فيه معلومات مختصرة عن انتشار النصرانية في الجزيرة وعن الأوضاع السياسية والاجتماعية فيها في القرن السادس الميلادي.

1- زاكية محمد رشدي، ميخائيل السوري وتاريخه الكبير، (1126 م – 1199م)،أطروحة دكتوراه في اللغات السامية «غير منشورة»،جامعة القاهرة، 1961 م، ص3.

2- جاسم صكبان علي، التاريخ العربي الإسلامي من خلال المصادر السريانية العراقية. مجلة عالم الفكر، المجلد الخامس عشر، العدد الثالث، (الكويت، 1984 م)، ص 62.

ب ـ نشر أدي شير كتاباً لمؤلف مجهول عرف باسم (التاريخ السعردي)، وسمي هذا الاسم لأن المطران أدي شير وجد القسم الأول منه في مكتبة مطرانيته بمدينة سعرد أو [سعرت]، والكتاب باللغة العربية، وقد اعتمد، شأن كتاب المجدل، مصادر قديمة، ومؤلفه مجهول، وأكثر الظن أنه سابق لسنة (411 هـ، 1020 م)، تناول هذا التاريخ أحداث السنوات من 251 م - 650 م، ماخلا فجوة واسعة هي أحداث السنوات 422 م -484 م. إن قيمة هذا المؤلف كبيرة فيما يتعلق بالأحداث السياسية والحياة الاجتماعية في الجزيرة الفراتية قبل الإسلام.

ج ـ ومن الكتب المسيحية المهمة والمكتوبة بالعربية كتاب (التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق)، ومؤلف هذا الكتاب هو سعيد بن البطريق، (ت 328 هـ، 930 م) حيث أورد معلومات مهمة عن أخبار الروم والفرس متطرقاً إلى الأحداث السياسية الهامة التي مر بها إقليم الجزيرة في القرن السادس الميلادي .

د ـ وهناك مصدر مسيحي آخر بالعربية ألفه آغابيوس بن قسطنطين المنجي، عنوانه: «العنوان المكلل بفضائل الحكمة المتوج بأنواع الفلسفة الممدوح بحقائق المعرفة»، وقد نهج آغابيوس منهج ابن البطريق نفسه في تناوله للأحداث السياسية والحروب التي دارت بين البيزنطيين والساسانيين في إقليم الجزيرة.

2 ـ الكتب السريانية:

أ ـ من المصادر السريانية التي اعتمدناها في هذا البحث تاريخ إيليا برشينايا[1]، وإيليا برشينايا النصيبي[2] من مشاهير الكتّاب عن كنيسة المشرق، وتاريخه هذا رزمة من الأحداث، وهو تاريخ استقرائي، اعتمد مؤلفه مصادر متعددة يونانية وسريانية وإسلامية، وهو المؤرخ السرياني الوحيد الذي يعرض الروايات التاريخية بأسلوب هادئ بعيد عن العاطفة، ومع أنه نسطوري المذهب فإنه يروي عن تاريخ اليعاقبة من دون تحيز، فضلاً على رواياته في التاريخ الإسلامي، ولذا فمن الصعب معرفة هويته الدينية من تاريخه، يروي مار إيليا الحوادث التاريخية بعد أن يسبق الرواية بذكر اسم المصدر الذي استقى منه الرواية، وهو يفعل ذلك بنهج دقيق مغربل للمصادر، وقد وضع قائمة بأسماء ملوك الرها، وأخرى بأسماء ملوك الفرس، وثالثة بأسماء أساقفة نصيبين، وذكر

---

1 - ترجم الكتاب إلى اللغة العربية يوسف حبي، (بغداد، 1975م).

2 - عاش في القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي، وكان مطراناً لمدينة نصيبين،المصدر نفسه،مقدمة المترجم.

معلومات عن أحداث القرن السادس الميلادي في إقليم الجزيرة الفراتية، وسياسة الدولتين الساسانية والبيزنطية والحروب التي دارت بينهما، فضلاً على الاضطهاد الذي واجهه المسيحيون من أهل الجزيرة الفراتية في تلك الحقبة.

ب - كتب مؤلف مجهول[1]، (ت بعد 61 هـ، 680م) كتاباً يتضمن تاريخ الكنيسة النسطورية، وذكر فيه أحداثاً تاريخية مهمة خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين، ومن الممكن أن هذا التاريخ كتب بين سنتي 50 هـ -61 هـ، 670 م-680 م، وأن المؤلف نسطوري المذهب ومن سكان القسم الشمالي من إقليم الجزيرة الفراتية، يتضح ذلك من سرده للأحداث[2]، فالكاتب لا يذكر تاريخاً للأحداث التي يرويها، لكنه يقول: «حدث في ذلك الزمان..»، أو «في هذه الأيام... »[3]، إن هذا المصدر مع صغر حجمه زودنا بمعلومات طيبة عن العلاقات السياسية والحروب التي دارت رحاها على أرض الجزيرة بين البيزنطيين والساسانيين.

ج - تاريخ سرياني آخر أفادنا في هذا البحث، كتبه يوشع العمودي[4]، (ت في القرن 6م)، تناول فيه الأحداث التي مر بها إقليم الجزيرة الفراتية وسوريا خلال الأعوام 495م - 506 م، ويشتمل على الحروب التي وقعت بين أنسطاس إمبراطور بيزنطة، (419م - 518م) وقباذ ملك الفرس (489-531م)، وقد وصل فيه مؤلفه إلى نهاية حكم أنسطاس عام 518م، يبدأ الكتاب بإهداء طويل إلى القس سرجيوس، ثم تلخيص مقتضب للحوادث التي وقعت بعد وفاة يوليانوس عام 363 م، ويتعرض الكتاب على نحو واسع لعصر فيروز، (457م – 484م) ملكة الفرس، ثم يبدأ موضوع الكتاب بتاريخ العلاقات المضطربة بين الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية في زمن حكم قباذ الأول، والحروب التي دارت رحاها على أرض الجزيرة، إن هذا المؤلف الذي زودنا بمعلومات مهمة عن الحالة السياسية والحروب والعلاقات الدولية آنذاك، والتي كان شاهد عيان عليها، أفادنا أيضاً بمعلومات قيمة عن الوضع الاقتصادي في الجزيرة ومحاصيلها الزراعية، وأثر الحروب بين الفرس والبيزنطيين في انتشار المجاعة وارتفاع الأسعار، كما يعرض الكاتب للقحط الذي مرت به الجزيرة الفراتية، ويسرد معلومات وافية عن الآفات الزراعية.

---

1 – حققه وترجمه إلى العربية الأب بطرس حداد، (بغداد، 1976م)، عنوانه (التاريخ الصغير).

2 – ينظر: المصدر نفسه، مقدمة المترجم والمحقق.

3 – المصدر نفسه، ص 104 .

4 – ترجمه إلى الانكليزية رايت W. Wright، (كامبرج، 1882 م) عنوانه:
The Chronicle of Joshua The stylite.

المراجع الحديثة:

ولا بد من الإشارة إلى طائفة من المراجع السريانية التي أفدت منها في هذا البحث مثل:

- كتاب "كلدو وأثور" لمؤلفه أدي شير الذي حوى معارف ثمينة عن مختلف جوانب تاريخ الجزيرة الفراتية في القرن السادس الميلادي.
- وكتاب "النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية"، كتبه الأب لويس شيخو، وهو من المراجع المهمة عن التاريخ الاجتماعي والسياسي للجزيرة في القرن السادس الميلادي.

كذلك استفدت مما كتبه الأب ألبير أبونا من مؤلفات قيمة مثل:

- أدب اللغة الآرامية.
- تاريخ الكنيسة الشرقية من انتشار المسيحية حتى ظهور الإسلام.
- شهداء المشرق .

وهي مؤلفات جامعة وقيمة عن التاريخ الحضاري والسياسي والاجتماعي للجزيرة.

ـ ومن المراجع العربية الحديثة التي حوت معلومات قيمة عن الجزيرة الفراتية:

- كتاب : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي.
- و كتاب: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، للأستاذ طه باقر.

ـ أما أهم الكتب المعربة ذات الصلة بالبحث فهي:

- إيران في عهد الساسانيين لآرثر كرستنسن، ترجمة يحيى الخشاب.
- علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب لدي لاسي أوليري، ترجمة وهيب كامل.

فقد حوت تلك المراجع معلومات مهمة عن إقليم الجزيرة الفراتية، وخاصة العلاقات العربية الساسانية والعربية البيزنطية في تلك الفترة.

وسيجد القارئ الكريم ثبتاً تفصيلياً بالمصادر والمراجع الأخرى في نهاية هذا الكتاب.

الفصل الثاني

جغرافية الجزيرة الفراتية

وأهميتها الاقتصادية

أولاً - جغرافية الجزيرة الفراتية(*)

1 . التسمية :

أطلق البلدانيون العرب على الجزء الجنوبي من أرض العراق اسم «السواد»، وعلى الجزء الشمالي منه اسم «الجزيرة» [1]، وذلك لأن أعالي دجلة والفرات يكتنف سهول هذا الإقليم[2] الذي يمتد فيشكل أيضاً الجزء الشمالي الشرقي من سوريا، وقد ورد اسم هذه المنطقة (الجزيرة) في سفر الخليقة باسم «أرض شنعار» [3]، ويدعوها الكلدان «بيث نهر أواثا» أي بين نهرين، وأطلق عليها اليونان اسم «**Mesopotamia** ميزوبوتاميا» [4]. ويبدو أن المؤرخ اليوناني بوليبوس (202-102 ق.م) كان أول من استخدم هذا المصطلح (**Mesopotamia**)، ثم تبعه الجغرافي المعروف سترابو (64 ق.م – 25 م)، ويقصد به ذلك الإقليم المحصور بين أعالي نهري دجلة والفرات ومنابعهما، وهو يرادف مصطلح الجزيرة الذي أطلقه البلدانيون العرب على الإقليم نفسه[5].

وقد أطلق بعض المؤرخين والبلدانيين العرب على هذا الإقليم اسم «الجزيرة العراقية» [6]، ومع قلة تداول هذا المصطلح في المصادر الجغرافية والتاريخية فإنه أطلق، كما يبدو، لأنه يشكل امتداداً طبيعياً لإقليم العراق والأقرب إليه من بلاد الشام ومن الأقاليم الأخرى.

(*)- سنكتفي بذكر أبرز الملامح الجغرافية الأساسية للجزيرة التي لها علاقة بهذه الدراسة وإطارها الزمني، وذلك لأن هذا الموضوع قد بُحث مفصلاً في المصادر الحديثة، ويمكن الرجوع إلى:
كل من فيصل السامر:الدولة الحمدانية، ومحمد جاسم حمادي:الجزيرة الفراتية والموصل، وسوادي عبد محمد : التنظيمات الاجتماعية،و

Ali، j،s.، The Christians of the Jazria op. cit

1 – قال ابن عبد الحق: « إنما سميت الجزيرة لأنها بين نهري دجلة والفرات »، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط1، تحقيق علي محمد البجاري، ج1 (القاهرة، 1954م)، ص251، وذكر الهمداني المعروف بابن الفقيه « إنما سميت الجزيرة لأنها تقطع الفرات ودجلة» مختصر كتاب البلدان، (ليدن، 1202هـ) ص28.

2 – لسترنج، كي : بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، (بغداد، 1954م)، ص 114 .

3 – الكتاب المقدس: سفر التكوين، ص 10 . 11 . 12 .

4 – أدي شير : تاريخ كلدو وآشور، المطبعة الكاثوليكية، مجلد 2 (بيروت، 1912 م – 1913م)، ص 1 .

5 – طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج1 منشورات دار البيان، مطبعة الحوادث، ط1 (بغداد 1973م)، ص 11.

6 – الاصطخري ،ابن إسحق إبراهيم بن محمد المعروف بالكرخي: مسالك الممالك (دي غويه بريل، ليدن، 1927م)، ص78،بنيامين التطيلي، رحلة بنيامين التطيلي، ترجمة عزرا حداد عن العبرية، المطبعة الشرقية، بغداد، 1945 م، ص 126، ابن الأثير: الكامل في التاريخ . مطبعة الاستقامة، (القاهرة د. ت) ج 11 ص184.

أما تسمية الجزيرة ((بالفراتية)) فقد وردت عند ابن خلكان[1] في معرض كلامه عن مدينة (دنيسر)، فقال أنها مدينة «بالجزيرة الفراتية بين نصيبين ورأس العين»، كما وردت عند القلقشندي[2]، وابن خلدون في معرض حديثه عن منازل مضر[3]، والراجح أن نعت الجزيرة بالفراتية يعود إلى انتشار روافد الفرات في معظم مساحاتها، حيث يشكل شبكة من الأنهار المتفرعة[4]، كما يحدّها نهر الفرات من الشمال والغرب والجنوب، وبذلك فهو يحد معظم أجزائها[5].

وفي الوقت الذي اتفق فيه المقدسي[6] مع غيره من الجغرافيين في سائر أوصاف الإقليم، فإنه ينفرد بتسمية إقليم الجزيرة «آقور»، وربما كان ذلك اسماً «قديماً» يطلق على ذلك السهل العظيم المحصور بين النهرين[7]، حيث ترد في مصادر أخرى أسماء مشابهة مثل «قور»[8] أو «آبور»، ولعل اللفظ تحريف أو تصحيف للفظة «آشور»[9].

2 . الموقع والحدود:

تهيأت لإقليم الجزيرة أهمية خاصة بسبب موقعه الجغرافي المتوسط بين العراق والشام وبلاد الروم وأرمينية وأذربيجان[10]، وكذلك لما يتميز به من أنهار ومواصلات وموارد طبيعية ومدن عريقة آهلة بالسكان، فكان من الأقاليم المهمة قبل الإسلام وبعده[11]، وقد شكلت الجزيرة (مع العراق وسوريا) جسراً «أرضياً» يوصل بين طرق

---

1 - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط1 ،(القاهرة، 1948 م)، ج4 ص 232 .

2 - صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، (القاهرة، 1913م-1922 م)، ج4 ص 314.

3 - تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر)، منشورات دار الكتاب اللبناني، (بيروت، 1956 م)، مجلد 2 ق3، ص 648.

4 - سوادي عبد محمد : التنظيمات الاجتماعية، ص2.

5 - محمد جاسم حمادي : الجزيرة الفراتية والموصل، ص 36.

6 - المقدسي البشاري:أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق دي غويه، مطبعة بريل،(ليدن، 1909م) ص136.

7 - لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص 114 .

8 - الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب :القاموس المحيط، المطبعة التجارية، ط2 (القاهرة، 1952م)، ص404 .

9 - ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله: معجم البلدان، باعتناء وستينفيلد، (لايبزج، 1866م)، ج1 ص119 .

10 غازي السيد : الأخطل شاعر بني أمية، ط3 (القاهرة 1976م) ص27 .

11 - فتحي عثمان : الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، الدار القومية للطباعة (القاهرة د.ت)، ص141.

المواصلات البحرية في جنوبي آسيا وطرق المواصلات البحرية جنوبي أوروبا، وذلك للموقع المتوسط بين البحر الأبيض المتوسط والخليج العربي، وكانت أهمية ذلك عظيمة جداً لتجارة الشرق والغرب، (إذ لم تكن قناة السويس قد فتحت، ولم يكتشف طريق الرجاء الصالح بعد)، فكانت الطرق التجارية عبر الجزيرة هي أقصر الطرق بين غربي أوروبا وجنوبي شرق آسيا[1]، فضلاً على ذلك فإن موقعها الاستراتيجي (العسكري) قد وصفه العسكريون بأنه مهم جداً، لوقوعها في قلب العالم القديم، بقاراته الثلاث، آسيا،أوروبا، إفريقيا، فهي جسر أرضي يصل بين عالم المحيط الهندي وعالم البحر المتوسط[2]، فلا غرابة أن يكون هذا الإقليم مسرحاً للصراعات، وهدفاً لأطماع القوى الأجنبية على مر العصور.

وعند الحديث عن حدود إقليم الجزيرة الفراتية خلال فترة البحث لا بد من الإشارة إلى أن ما عناه الجغرافيون العرب عند حديثهم عن حدود الأقاليم ضمن الإدارة الواحدة للدولة العربية الإسلامية يشير بوضوح إلى نهايات اختصاص جباة الضرائب التابعين لمركز معين محدد على الأرض، أو إلى نهايات امتداد الحدود الإدارية وسلطات الوالي أو الحاكم لذلك الإقليم[3]، وهو أمر يخضع حتماً للمتغيرات بين فترة وأخرى تبعاً لتغير التقسيمات الإدارية، لذلك اختلف الجغرافيون العرب في رسم حدود الجزيرة الفراتية، وخصوصاً من ناحيتي الشمال والجنوب، فالحدود الشمالية وضَح قسماً منها ابن حوقل عندما أشار إلى أنه ما كان غرب مدينة آمد فهو من أرمينية، ثم من آمد إلى سميساط ينتهي الحد الشمالي إلى مخرج ماء الفرات من حيث ابتداؤه من بلد الروم بعدما يتجاوز ملطية[4]، ويرى الإدريسي أن ميافارقين من أرض أرمينية، وقوم يعدونها من أعمال الجزيرة[5]، بينما يضع ابن رستة كلاً من سميساط وملطية ضمن ديار ربيعة[6]، أي في القسم الشمالي للجزيرة، وواضح هنا أن الاختلاف يكمن في إدخال بعض المدن من الحدود أو إخراجها، والحدود الجنوبية هي موضع اختلاف أيضاً، ففي الوقت الذي يشير

---

1 - ينظر مبحث الأهمية الاقتصادية للجزيرة في هذا الفصل.

2 - جاسم محمد الخلف :جغرافية العراق الطبيعية، والاقتصادية، والبشرية ،دار المعرفة (القاهرة 1965م) ص8،160،388،390، عبد المنعم ماجد،التاريخ السياسي للدولة العربية (القاهرة 1956م)ج1 ص207- 210.

3- Samarraie، Dr.Hussam Qawwam، Agriculture in Iraq During The 3rd/9th Chapter 1 (Beirut، 1972) p.1

4 - ابن حوقل،أبو القاسم النصيبي: كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت د.ت)، ص189.

5 - الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، قسم العراق والجزيرة، مستل من مجلد 23، مجلة المجمع العلمي العراقي، تحقيق إبراهيم شوكت، (بغداد، 1973 م)، ص 19.

6 - ابن رستة،أبو علي أحمد بن عمر: الأعلاق النفيسة (ليدن، بريل، 1891م)، ص 106-107.

فيه ابن حوقل إلى أن الفرات عندما يتجاوز الأنبار يخرج من حدود الجزيرة[1]، وهذه حقيقة لا يكاد يخالفه فيها البلدانيون الآخرون[2]، فإن الخلاف يكمن في إدخال تكريت أو إخراجها من حدود الجزيرة، فبعض البلدانيين يضعون تكريت ضمن أراضي السواد[3]، بينما الحقيقة هي أن تكريت تمثل آخر مدن الجزيرة، وتشكل حدوداً لإقليم العراق الشمالية نحو الغرب[4]، لأن هذا الحد نظراً إلى الجغرافية الطبيعية أقرب إلى التقسيم الطبيعي بين الإقليمين[5]، وقد وقد أشار أبو يوسف في معرض حديثه عن إقليم السواد إلى أن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ مسح السواد ما دون جبل حلوان، حيث لم يتعد حد تكريت[6]، وقال الاصطخري: وأما السواد فإنه في الطول حد تكريت إلى حد عبادان[7]، أما من ناحية الحدود الشرقية والغربية للجزيرة فمع أن الفرات يكوّن الحد الغربي للجزيرة عند مدينة الأنبار، ونهر دجلة الحد الشرقي عند مدينة تكريت، إلّا إن بعض البلدانيين العرب يلحق المناطق الشرقية والمناطق الغربية لنهر الفرات ضمن أرض الجزيرة، فيشير الاصطخري إلى أن في غرب الفرات مدناً وقرىً خارجة عن إقليم الجزيرة، وإن كانت تنسب إليها لقربها منها[8]، وذكر أبو الفدا أن كثيراً من البلاد الفراتية التي إلى الجانب الآخر من الفرات ومن بر الشام قد ضمت إلى الجزيرة لقربها من البلاد الجزرية[9].

أما تناول حدود هذا الإقليم بالدراسة خلال الحقبة السابقة للإسلام، أي حينما كانت أرضه خاضعة للاحتلال الساساني أو البيزنطي، فإنه من الأقرب إلى الدقة والوضوح أن يشار إلى ثلاثة تحديدات، هي كالتالي :

- يمكن تحديد الجزيرة الفراتية على أساس الظواهر الطبيعية المحيطة بها، حيث تحد الجزيرة من جهة الشمال جبال طوروس وبعض منابع روافد نهر الفرات، ومن جهة

---

1 - ابن حوقل : صورة الأرض، ص 189، القلقشندي :صبح الأعشى، ج4 ص 314.
2 - سوادي عبد محمد : التنظيمات، ص 6.
3 - النويري،شهاب الدين أحمد : نهاية الأرب في فنون الأدب (القاهرة د- ت)، ج1 ص 276، المقدسي :أحسن التقاسيم ص 115.
4 - القلقشندي: صبح الأعشى، ج4 ص 325.
5 - لسترنج : بلدان الخلافة ص41.
6 - أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم: الخراج، المطبعة السلفية ج 3، (القاهرة، 1382 هـ)، ص 38.
7 - مسالك الممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسين، (القاهرة، 1961)، ص56.
8 - المصدر نفسه، ص 71 – 72.
9 - أبو الفدا: تقويم البلدان، (باريس، 1840م)، ص 273 .

الشرق والشمال الشرقي يحدها وادي نهر دجلة وإقليم الجبال، أما من الغرب والجنوب الغربي فيحدها نهر الفرات وبادية الشام، وتشكل سهول أرض السواد حدوداً جنوبية لإقليم الجزيرة[1].

- كما يمكن تحديدها على أساس المناطق (الأقاليم) المجاورة لها، حيث يحدها من الشمال أرمينية وبلاد الروم، ومن الشرق أذربيجان، ومن جهة الغرب تحدها بلاد الشام ومن الجنوب إقليم السواد.

- كما تحدد الجزيرة أيضاً على أساس نهايات المدن الجزرية التي على حدودها من الجهات الأربع، وهي كما يلي:

- خط الحدود الشمالية الشرقية على مسار نهر دجلة، تشغله مدن حاني، وآمد، وسعرد (سعرت)، وتل فافان، وبلد، والموصل، والحديثة، وتكريت.

- حدود الجنوب يمثلها الخط الوهمي بين مدينة تكريت على نهر دجلة في الشرق، والأنبار على نهر الفرات من جهة الغرب.

- الحدود الغربية تبدأ بمدن مجرى نهر الفرات صعوداً من حديثة، وعانة، والرقة، وبالس، وجسر منبج، وسميساط، وملطية في أقصى الشمال[2].

وعند التمعن في هذه التحديدات الثلاثة يتضح أنها متطابقة كثيراً، ولما كانت فترة البحث تتناول أوضاع الجزيرة قبل الإسلام، أي قبل أن تصبح الجزيرة مركزاً إدارياً في كيان الدولة العربية الإسلامية، فإن الحدود الطبيعية ستعتمد أساساً في هذه الدراسة.

ولقد قسم الجغرافيون العرب الجزيرة الفراتية إلى ثلاثة أقسام، تحمل أسماء القبائل العربية التي هاجرت إليها قبل الإسلام، واستقرت فيها، فكانت هناك ديار بكر وديار ربيعة وديار مضر، وهناك من دمج ديار بكر بديار ربيعة[3]، وعدها كلها ربيعة، لأن قبيلة بكر هي واحدة من قبائل ربيعة[4].

ومع أن هذه الأسماء ترددت على ألسنة الجغرافيين العرب في القرنين الثالث والرابع الهجريين فإن هناك من الأدلة ما يشير إلى أنها كانت معروفة في صدر الإسلام، إن لم

---

1 - طه الهاشمي : مفصل جغرافية العراق، (بغداد، 1930م)، ص 532.
2 - ينظر مصور الجزيرة الفراتية.
3 - المقدسي : أحسن التقاسيم، ص 137، الاصطخري: مسالك، ص 71 .
4 - ياقوت الحموي: معجم البلدان، (دار صادر، بيروت، 1957م)، ج2 ص294.

تكن قبل ذلك، فلقد ورد ذكرها على لسان الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ في نص الرسالة التي بعث بها إلى قائد جيوشه في الشام أبو عبيدة عامر بن الجراح بعد اتخاذ قرار تحرير إقليم الجزيرة، إذ يقول:

« ... فإذا قرأت كتابي هذا فاعقد عقداً لعياض بن غُنْم، وجهز معه جيشاً إلى أرض ربيعة وديار بكر ...»[1]، وروى البلاذري أن عثمان بن عفان ﷺ أمر معاوية والي الشام والجزيرة « ... أن ينزل العرب بمواضع بعيدة عن المدن والقرى ... فأنزل بني تميم الرابية ... وفعل ذلك في جميع نواحي مضر، ورتب ربيعة في ديارها على ذلك ...»[2]، وهو ما يؤكد أن هذه الأسماء كانت متداولة ومعروفة منذ وقت مبكر.

وقد عينت الفواصل المائية (الأنهار) امتدادات هذه الديار ونهاياتها، فنهر دجلة يروي منطقة ديار بكر من منابعه حتى المنحنى الكبير الذي يكونه النهر أسفل «تل فافان»[3]، وبذلك تكون منطقة ديار بكر أصغر أقسام الجزيرة الثلاثة، وأقصاها إلى الشمال، وكانت مدينة آمد هي المدينة الرئيسة لهذه المنطقة.

أما منطقة ديار مضر فتقع بمحاذاة نهر الفرات، وتمتد لتشمل السهول كلها التي يرويها نهر البليخ، وهو أحد روافد نهر الفرات الذي ينبع من عين الذهبانة من أرض حران[4]، ويصب في الفرات في أسفل مدينة الرقة التي تعد أهم مدن ديار مضر وأكبرها[5].

وتقع ديار ربيعة شرقي ديار مضر وجنوبي ديار بكر، وتشغل المنطقة شرقي نهر الخابور وشرقي نهر الهرماس، وهو المجهز الرئيس لهذه المنطقة بالمياه، ويجري في وادي الثرثار، وكذلك تشمل منطقة ديار ربيعة الأراضي الممتدة على ضفتي نهر دجلة من تل فافان حتى جنوب تكريت، وهي المنطقة التي يرويها الزابان، الزاب الأعلى والزاب الأسفل، وكذلك نهر الخابور الصغير، وأهم مدن هذه المنطقة مدينة الموصل[6].

إن تقسيم الجزيرة إلى المناطق المذكورة تبعاً للقبائل العربية التي استوطنتها مع أنه التقسيم التقليدي الذي يعتمده جل الجغرافيين والمؤرخين المسلمين هو من الناحية العملية غير ممكن التحقق، مهما اجتهدنا في رسم حدود واضحة ومميزة له، وذلك لسببين :

---

1 -الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر : فتوح الشام، ط4، (القاهرة، 1966م)، ج2 ص 64 .

2 - البلاذري: فتوح البلدان، ص 182.

3 - لسترنج: بلدان الخلافة، ص 115.

4 - ابن سرابيون: عجائب الأقاليم السبعة (فينا، 1921م)، ص 120-121.

5 - ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج2 ص 494.

6 - لسترنج: بلدان الخلافة، ص 87.

الأول- تداخل تلك المناطق من الناحية الطبيعية.

الثاني- أن هذه القبائل وبطونها كانت في حالة تنقل مستمر في كل مناطق الجزيرة[1]، (وسيوضح هذا الأمر في الفصل الثالث).

ولابد من الإشارة أيضاً إلى أن إقليم الجزيرة في القرن السادس الميلادي كانت بعض أجزائه قد خضعت في بعض الأحيان للاحتلال الساساني وأجزاء أخرى للاحتلال البيزنطي، أي إن هناك بعض المدن كانت تحت النفوذ البيزنطي وأخرى تحت النفوذ الساساني[2]، وكان صعباً تعيين خط حدود فاصل بين منطقة نفوذ أي من الدولتين، لأن ذلك كان يعتمد مقدار قوة كل منهما آنذاك[3]، وقد تأثرت حركية القبائل العربية في الجزيرة الفراتية بالصراعات السياسية والعسكرية في تلك الحقبة[4].

3 . السطح :

يرجع تكوين سطح الجزيرة إلى الزمن الجيولوجي الثالث في عصريه الأخيرين، البلايوسين والميوسين حينما أصيبت رواسب هذين العصرين بالحركات الرافعة، والتي أدت إلى ارتفاع النطاق الجبلي (طوروس، زاكروس)، حيث قاومتها كتلة هضبة بلاد العرب التي هي جزء من العالم القديم (قارة كونداونا القديمة)، لهذا يلاحظ على القسم الشمالي من أرض الجزيرة وقسمها الشرقي أنهما أصبحا أكثر ارتفاعاً من باقي جهاتها بسبب موقعها عند مقدمات هذا النطاق الجبلي[5]، وبسبب امتداد صخور الهضبة الصلبة فإن أراضي الجزيرة من جهة الغرب، ولقربها من هضبة بلاد العرب كانت أقل تأثراً بالحركات الالتوائية في هذا الزمن[6]، وإجمالاً يمكن القول إنه تكونت في المنطقة ثلاثة اتجاهات للانحدارات، فهناك انحدار عام من الشمال إلى الجنوب، والانحدار الثاني يتجه من الشرق، أي من دجلة إلى غربي نحو الوسط، والانحدار الثالث من الغرب من الفرات إلى الشرق باتجاه الوسط، أي وادي الثرثار[7].

---

1 - محمد جاسم حمادي: الجزيرة الفراتية، ص 84.

2 - أبو يوسف : الخراج، ص 39.

3 - Ali، J. S. Op.Cit.، P18

4 - ينظر الفصل الخامس.

5 - إبراهيم شريف: الموقع الجغرافي في العراق وأثره في تاريخه العام حتى الفتح الإسلامي، (مطبعة شفيق، بغداد 1962م)، ج1 ص 72.

6 - جاسم محمد الخلف: جغرافية العراق، ص 20.21.

7- إبراهيم شريف : الموقع الجغرافي، ص 73.

وعموماً يمكن عدّ إقليم الجزيرة من ناحية التضاريس هضبة متوسطة الارتفاع ذات أراضٍ متموجة مرتفعة عن مستوى دجلة والفرات وروافدهما[1]، ويبلغ معدل ارتفاعهما (50-250م) فوق مستوى البحر[2].

وتحوي كل الخصائص الجغرافية، ففيها الجبال العالية والهضاب والسهول الخصبة، وهناك بوادٍ قليلة المياه واضحة الجفاف[3]، ولكن المتتبع للناحية الطبوغرافية يستطيع أن يميز بوضوح بين منطقتين تشكلان سطح الجزيرة، هضبة متموجة في الشمال، فيها بعض المرتفعات الجبلية، ومنطقة سهلية متداخلة مع الهضبة في الجنوب، وتشرف المنطقة الأولى على المنطقة الثانية بحافة تبدأ من جزيرة ابن عمر، ثم يأخذ مستواها بالارتفاع، فتعرف باسم جبال طور عابدين، ثم يقل هذا الارتفاع تدريجياً باتجاه ماردين مشكلاً هضبة قليلة الارتفاع، وعند غرب ماردين يعلو السطح ثانية ثم يعود إلى الهبوط مثلما كان عليه[4].

إن هذا التباين في سطح الجزيرة أدى إلى تباين في أحوالها الطبيعية والبشرية، ففي الوقت الذي ساعد فيه هذا التنوع الطبيعي على تنوع المحاصيل الزراعية التي تنتجها الجزيرة ووفرتها، أدى بالنتيجة إلى كثرة المستوطنات السكانية وكثرة المدن والقرى، وقابلية الأرض لاستيعاب المزيد من السكان[5]، كما كان في الوقت نفسه سبباً لأطماع القوى الأجنبية المجاورة، فقد كانت أرض الجزيرة ميداناً لمعارك وحروب طاحنة على مقدار القرنين الخامس والسادس للميلاد[6].

ولكن ومع طبيعة التكوين الجيمورفولوجي لأرض الجزيرة وكونها منطقة حصينة مع ما يتخللها من جبال وتلال، خاصةً كلما توغلنا شمالاً فقد صعب على مهاجميها أن يقتحموها من دون بذل تضحيات جسيمة، كما تميزت معظم مدنها التي شيدت على أعالي التلال أو بين المرتفعات بقلاع وحصون جعلتها منيعة في وجه أعدائها، لذلك نرى أن أسماء الكثير من المدن والمواضع فيها تقترن بكلمة حصن، أو تل، أو قلعة[7].

1- فيصل السامر : الدولة الحمدانية، ص 124 .
2- ماجد السيد ولي : منخفض الثرثار، دار الرشيد للنشر، (بغداد، 1979م)، ص 25.
3- السامر : الدولة الحمدانية، ص 124.
4- إبراهيم شريف: الموقع الجغرافي، ج1 ص 122-123.
5- محمد جاسم حمادي :الجزيرة الفراتية والموصل، ص 53، ينظر أيضا الفصل الثالث في هذا الكتاب.
6- ينظر الفصل الخامس.
7- السامر: الدولة الحمدانية، ص 124.

4 . المنــاخ :

يؤثر موقع الجزيرة وطبيعة سطحها في طبيعة المناخ فيها، والمناخ جزء من الحقائق الطبيعية المستقرة كثيراً، والتي تشكل جغرافية أي إقليم من الأقاليم، وبحسب التقسيمات الجغرافية الحديثة فإن الجزيرة الفراتية هي في المنطقة المعتدلة الشمالية من الكرة الأرضية، إذ تهب عليها الرياح العكسية شتاءً، والرياح الدائمة صيفاً، وقد تميزت بمناخ مطير شتاءً وجاف حار في فصل الصيف[1]، ومقدار الأمطار في المناطق الشمالية أكثر من المناطق الجنوبية، وفي المناطق الغربية أكثر منه في المناطق الشرقية، وعموماً فإن الأمطار يسقط معظمها في فصلي الشتاء والربيع[2]، وإذا ما قورنت الجزيرة بأرض السواد تبين أنها أكثر أمطاراً، وأن زراعتها أقل اعتماداً لمياه الأنهار والقنوات من الزراعة في إقليم السواد[3]، ويوصف مناخ الجزيرة بأنه مناخ قاري، وتتفاوت فيه درجات الحرارة ليلاً ونهاراً، [صيفاً وشتاءً]، وتزداد الحرارة كلما اتجهنا جنوباً[4].

ولا يختلف وصف المصادر الأولية لمناخ الجزيرة الفراتية عما هو عليه الآن[5]، مع أن تلك المصادر تعود إلى القرنين الثالث والرابع الهجريين، التاسع والعاشر الميلاديين، وهو حتماً لن يختلف كثيراً عما كان عليه في القرنين السادس والسابع الميلاديين، لأن الفترة بينهما أقرب، فياقوت الحموي يصف الجزيرة بأنها، «صحيحة الهواء، جيدة الريع والنماء، واسعة الخيرات»[6]، وأما المقدسي فيذكر في معرض كلامه عن خصائص إقليم آقور: « .... أما الهواء والرسوم فمقاربة للشام، مشابهة للعراق، وبه مواضع حارة، وكورة آمد باردة لقربها من الجبال[7]». نجد خلال ذلك تشابه المناخ في إقليم الجزيرة مع مناخ الشام، أي إنه يسود فيه مناخ البحر الأبيض المتوسط، أما المناطق الجبلية فهي باردة كثيرة الأمطار، و المواضع الحارة التي ذكرها فهي على الأرجح إشارة إلى المنطقة الجنوبية الغربية القريبة من الصحراء، وعموماً فإن الجزيرة كانت تتصف بمناخ مطير معتدل الحرارة، جعلها دائمة الخضرة، وقد تغنى الشعراء بأفياء الجزيرة وجمال طبيعتها، وما تحويه من أشجار، ورياض وطيب هواء، ونسيم عليل[8].

1- وهو ما يعرف بمناخ البحر المتوسط.

2 - سوادي عبد محمد : التنظيمات الاجتماعية، ص 11.

3 - سعيد حمادة : النظام الاقتصادي في العراق، (بيروت1939م)، ص19.

4 - محمد جاسم حمادي :الجزيرة الفراتية، ص 54

5 - ينظر المقدسي، ص 142، وابن حوقل، ص 149، والاصطخري، ص 52.

6- معجم البلدان، ج2، ص 134- 135.

7 - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 140.

8 - ينظر القشيري أبو علي محمد بن سعيد : تاريخ الرقة، تحقيق ظاهر النعساني، (حماة 1959م).

5 . الموارد المائية:

حظيت الجزيرة الفراتية على مر العصور بموارد مائية كافية، لأن تجعل من أراضيها زاخرة بالخصب كثيرة التنوع في محاصيلها، وقد مثل النهران الخالدان دجلة والفرات أهم صفة طبوغرافية بارزة في هذه البلاد، وقدما أقدم حضارة زراعية في الشرق الأدنى القديم، تعتمد زراعتها الري، وهما ينحدران من الجبال الأرمينية[1]، وبتعبير القدامى[2] من بلاد الروم، وهما مزودان بعدد من الروافد الجبلية التي تجعل مسالكها المتباعدة عن بعضها نحو خمسة عشر ميلاً صعبة الوصول إلى بلاد ما بين النهرين من دون عبور أحد هذين النهرين، وتصبح تلك المسالك مختلفة عن بعضها من حيث اتجاهها ونوعيتها بعد افتراقهما في المنطقة الجبلية عند مدينتي آمد وسميساط، حيث يأخذ نهر دجلة بالجريان شرقاً بسرعة، ثم يتجه جنوباً، ويسير موازياً لسلسلة جبال زاجروس ماراً بالقرب من نينوى وكالح آشور، وهي عواصم لثلاث إمبراطوريات آشورية متعاقبة، ويدخل أعالي السهل (أرض السواد) جنوب تكريت[3]، ويغذي نهر دجلة المناطق الشمالية الشرقية من إقليم الجزيرة، وجميع روافده تتصل به من جهة اليسار، ومعظمها يجري في مناطق وعرة ترتفع ضفافها عن مجاريها كثيراً، فضلاً على سرعة جريانها، حيث تجري في مناطق محدودة المساحة، لذلك فإن درجة الاستفادة منها أقل من فوائد نهر الفرات وروافده في مجال الزراعة والنقل ومن ناحية الاستيطان[4].

أما مسار نهر الفرات فيختلف تماماً عن مسار نهر دجلة، فهو عندما يترك الجبال يسير باتجاه الجنوب الغربي، ويصل إلى منطقة تبعد نحو تسعين ميلاً عن البحر الأبيض المتوسط شمال سوريا، عندها يبدأ بالاتجاه جنوباً وبمسار متعرج، ويصب رافداه الوحيدان البليخ[5] والخابور[6] من جهة اليسار أيضاً (داخل الأراضي السورية)، ثم يصل إلى السهل الرسوبي في العراق عند أسفل مدينة هيت مقترباً من نهر دجلة مكوناً معه تلك الدائرة الواسعة (الجزيرة)[7] وهي موضوع دراستنا هذه.

---

1 – ليو أوبنهايم، بلاد ما بين النهرين، ترجمة سعدي فيضي، دار الرشيد للنشر، (بغداد 1981م)، ص 51 .
2 – الاصطخري: مسالك الممالك، ص 71، ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص 92 .
3 – ليو أوبنهايم: بلاد ما بين النهرين، ص 51.
4 – لسترنج: بلدان الخلافة، ص 149.
5 – ويسمى البالخ أو بلخ، يسميه اليونان (بيليوخوس)، والأثوريون (باليخي)، وينبع من سلسلة جبال قراجه طاغ والمدعو عند اليونان جبل (ماسيوس)، ويصب في الفرات عند مدينة الرقة، أدي شير: كلدو وآثور، ج2، ص2، ويصب في نهر البليخ نهر (ديصان) الذي يجري على باب من أبواب الرها، وينتهي إلى نهر البليخ ،ينظر المسعودي: التنبيه والإشراف، (القاهرة 1938م)، ص13.
6 – ويسميه اليونان (أبوراس) أو (خابوراس) ينابيعه من جبال قراجه طاغ أيضاً وطور عابدين وسنجار: ويصب في نهر الفرات عند مدينة قرقيسياء ،وهو يتكون من نهر الهرماس وأنهار أخرى تتوارد من مناطق رأس العين وطور عابدين ومناطق أخرى داخل الجزيرة، أدي شير: كلدو و آثور، ج2، ص2.
7 – ليو أوبنهايم: بلاد ما بين النهرين ص، 52.

يغذي نهر الفرات الجهات الشمالية والغربية والجنوبية الغربية من أرض الجزيرة، ودرجة الاستفادة منه كبيرة لجملة من الخصائص التي يتميز بها هذا النهر، ومع أن كمية المياه التي يحملها تعد أقل من كمية المياه التي يحملها نهر دجلة[1]، ولكن بساطة ضفافه وقلة تعرجها وهو يشق مجراه في أرض منبسطة ساعد على الاستفادة منه أكثر في الزراعة وفي النقل المائي، لأن سرعة جريانه تكون بطيئة، ولذلك نجد أن مناطق الإنتاج الزراعي حول حوض نهر الفرات وروافده وعدد المستقرات السكانية فيها أكثر من نهر دجلة[2].

وقد اعتمدت الجزيرة الفراتية مع الأنهار وروافدها وتفرعاتها الأمطار وسيلة مهمة من وسائل الري، وخاصة المناطق الجبلية الشمالية والشمالية الشرقية، وهناك مناطق واسعة من إقليم الجزيرة تعتمد اعتماداً كلياً منذ وقت قديم مياه الأمطار، فيذكر البلاذري[3] أنه لما بلغ المسلمون المحررون إقليم الجزيرة الفراتية كانت (بالس) والقرى القريبة منها في حدها الأعلى والأسفل (أغذاء عشرية)[4]، ويروي الاصطخري[5] أن مدينة جسر منبج البعيدة عن الأنهار كانت مزارعها تعتمد الأمطار، فامتازت أرضها بالخصوبة، ويذكر ابن حوقل[6] أن سكان مناطق سنجار قد استحدثوا الصهاريج والبرك ليجمعوا ماء المطر.

كما نجد أن الجزيرة غنية بمورد آخر من موارد المياه، وهو العيون والينابيع، وأن كثرتها تظهر وفرة المياه الجوفية في الجزيرة وإمكان استغلالها للزراعة، حيث توفر المناخ الملائم والأراضي الخصبة، وقد كونت تلك العيون المورد الأساسي من المياه لسكان بعض مناطق الجزيرة التي لا تتوافر فيها مجار مائية[7]، وإن وجدت فليس بالمستطاع الاستفادة منها، وذلك لارتفاع ضفافها وعدم توافر وسائل استغلالها جيداً، ولذلك فإن المتتبع لتاريخ الجزيرة يجد مستقرات ومستوطنات سكانية كثيرة، تتناثر في الكثير من مناطقها، وهي ليست على مجار مائية، إذ كان اعتماد سكان هذه المستوطنات، وما زال إلى يومنا هذا، المياه الجوفية المتمثلة بالعيون والينابيع على نحو أساسي، خاصة القبائل العربية المتنقلة[8].

---

1 – بلاد ما بين النهرين، ص 53.

2 – محمد جاسم حمادي: الجزيرة الفراتية، ص 68-69.

3 – فتوح البلدان، ص 205.

4 – الأغذاء: الزروع التي يرويها المطر، المصدر نفسه والصفحة.

5 – مسالك الممالك، ص 74.

6 – صورة الأرض، ص 202.

7 – Ali J. S. Op.Cit P216

8 – محمد جاسم حمادي: الجزيرة الفراتية والموصل، ص 78-79.

ثانياً- الأهمية الاقتصادية:

- الزراعة والرعي :

كان لتوافر الموارد المائية والمناخ الملائم أثر في خصوبة أرض الجزيرة، فكانت على مر العصور إقليماً واسع الغنى وفير الثروة عظيم الإنتاج، خاصة في مجال الزراعة وتربية الحيوانات، وقد أجمعت المصادر الإسلامية وغير الإسلامية القديمة على خصوبة أرض الجزيرة، وما تميزت به من موارد اقتصادية متنوعة ووفيرة، وهو الذي يفسر الصراع الدامي الذي كانت أرض الجزيرة مسرحاً له بين مختلف القوى الأجنبية المجاورة الطامعة في أرض العرب.

فمن المصادر التي كتبت قبل الإسلام، وأكدت خصوبة أرض الجزيرة ووفرة محاصيلها الزراعية وتنوعها ما ذكره سترابو[1] (ت 25 م) في جغرافيته، فقد أشار إلى أن الجزيرة كانت تنتج الشعير والأعناب والخمور والخل وأنواع الأغذية، كما أشار المؤرخ السرياني يوشع العمودي الذي كتب «تاريخ الرها في القرن السادس الميلادي» إلى المحاصيل الوفيرة التي كانت تنتجها الجزيرة من الشعير[2] والفاصولياء والأعناب[3] والزيتون[4]، ويذكر أوبنهايم أن الوديان الخصبة وسقوط الأمطار الكافية كلها كانت تؤدي إلى محصول جيد من الشعير في تلك الفترة مساوٍ لمحصول الوقت الحاضر، إن لم يكن أكثر منه[5].

وقد كانت قريش قبل الإسلام تتحدث عن خصوبة أرض الجزيرة الفراتية، فقد ذكر الأصمعي: « ...كانت قريش تسأل في الجاهلية عن خصب باعربايا، وهي الموصل لقدرها عندهم، فلم ينلهم من خصبها شيء، وعن ريف الجزيرة وما يليها، لأنها تعدل عندهم في الخصب باعربايا »[6].

وتؤكد المصادر العربية الأولية خصوبة أرض الجزيرة، وتشير إلى وفرة الإنتاج وتنوعه، وتصفها بأنها خصبة ولطيفة[7]، وأنها صحيحة التربة[8]، وقد ذكر أن جبل سنجار من

---

1 The Geography of Strabo، Ed. And trans. H.C. Hamilton، (London 1881)، Vel.3، p.5

2 – The Chronicle of Joshua The stylite ،p29

3 – Ibid.، p34

4 – Ibid.، p.63

5 – ليو أوبنهايم: بلاد ما بين النهرين، ص55.

6 – ابن الفقيه الهمداني: مختصر كتاب البلدان، ص 135.

7 – الاصطخري: الأقاليم، (كوته 1927م)، ص 42 .

8 – ابن حوقل: صورة الأرض. ص 114.

أخصب الجبال[1]، وأن ميافارقين خصبة جداً وعانة وحديثة خصبتان، وكذلك الرقة[2]، وأن جزيرة ابن عمر ذات خصب كثير، وحران خصبة وذات تربة حمراء[3]، وأن دارا كثيرة الخصب[4]، ونصيبين كثيرة الخصب أيضاً[5]، ويذكر ابن حوقل أن الجزيرة كانت في بداية الإسلام خصبة، وتنتج الكثير من البقول[6]، وعندما سأل الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ عن الجزيرة وصفت له بأنها خصبة جداً[7].

وهناك أدلة أخرى كثيرة تشير إلى ما كانت تتميّز به الجزيرة من غنى، وما يتصف به سكانها من رفاهية وترف، فيروي ابن أعثم الكوفي أن حصة كل مسلم مقاتل ساهم في تحرير الجزيرة في جيش عياض بن غنم بلغت عشرة آلاف درهم، عدا الماشية والأمتعة الأخرى[8]، وهذا دليل واضح على أن الجزيرة كانت غنية، ويعيش أهلها حياة ترف وثراء قبل الإسلام[9]، ويمكن ملاحظة ذلك من حجم الموارد التي كانت تدرها الضرائب السنوية على الأراضي الزراعية للدولة في صدر الإسلام، والتي كان يحسب لها حساب خاص لأهميتها وكثرتها مقارنة بالأقاليم الأخرى[10]، فيذكر ابن خرداذبة أن خراج ربيـــعة فقط بلغ سبعة آلاف وسبعمئة ألف درهم[11].

وقد أكدت المصادر السريانية أيضاً خصوبة أرض الجزيرة، فقد أشاد دنسيوس التلمحري (ت 241 هـ 845م) بخصوبتها، وذكر أن الجزيرة كانت مشهورة بأعنابها وحقولها، وأن جميع أراضيها خصبة، وليس هناك مكان فيها من دون زرع، وأشار إلى كثرة ماشيتها، ولذلك فقد كثر الفلاحون والعاملون في الزراعة وتربية الحيوانات، وكان كل فرد في الجزيرة حتى الفقير منهم يملك مزرعة وبعض الماشية[12].

---

1 - ابن سعيد المغربي: بسط الأرض في الطول والعرض، (تطوان، 1958م)، ص9، ابن حوقل، ص 199.

2 - الاصطخري:الأقاليم، ص42.

3 - ابن حوقل: صورة الأرض، ص 199.

4 - المصدر نفسه، ص 202-203.

5 - الاصطخري: الأقاليم، ص 76-77، ابن حوقل: المصدر السابق، ص 203.

6 - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 190-191.

7 - المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس، ط1، ج3، (بيروت، 1965م)، ص37.

8 - كتاب الفتوح: مصدر سابق، ص 241.

9 - Ali، J. S.، Op. Cit.، p217

10 - H. Charles، Le chritianisime des Arabes Nomades sur les limes et dans le de'sert syro-Mesopotamien aux alent ours de l'hegris (Paris 1936)، p3.

11 - ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص 95.

12 - Tell-Mahre، Dionvsius، Chronique de denys. Ed Chabot (Paris 1895). P 137.

أما طبيعة المحاصيل التي تنتجها الجزيرة آنذاك فقد تميزت بالتنوع، فضلاً على وفرتها، حيث كانت تزيد على حاجة السكان، فتصدر إلى المناطق والأقاليم المجاورة، وبخاصة إقليم السواد[1] والشام، ويورد المقدسي أسماء تلك المحاصيل، فيذكر أن الموصل كانت تصدر الحبوب والعسل والجبن والشحوم والسماق وحب الرمان والمن، ومن سنجار كان اللوز وحب الرمان والقصب، ومن نصيبين البلوط، ومن الرقة الزيت، ومن حران العسل، ومن جزيرة ابن عمر الجوز واللوز والسمن ومن معلثايا الأعناب والفواكه الطازجة[2].

فضلاً على ذلك توافرت أيضاً في إقليم الجزيرة المراعي الواسعة التي تعد مورداً اقتصادياً مهماً، وذلك لتربية أعداد كبيرة من المواشي، خاصة الأغنام والماعز التي تعد مصدراً مهماً للغذاء والدخل (الأرباح)[3]، فالجزيرة منطقة سهول وهضاب ووديان غزيرة الأمطار تقريباً، وما زالت إلى يومنا هذا من أغنى مناطق الشرق الأدنى في تربية الأغنام والماشية[4]، وقد كان هناك الكثير من القبائل العربية التي تسكن الأرياف وأطراف البادية تهتم بتربية المواشي والخيول والجمال[5]، وهي مصدر معاشهم الأساسي، إضافة إلى أن المزارعين كانوا يقومون مع الزراعة بتربية الماشية[6] والجمال والخنازير[7] التي كان يربيها النصارى العرب، وقد ذكر المقدسي أن الجزيرة كانت معدن الخيل العتاق وموطن الجياد الأصيلة[8]، وتروي كتب الخراج قصة ذلك الأعرابي التغلبي في إقليم الجزيرة الذي قدرت فرسه بقيمة عشرين ألف دينار، فكان مقدار الضريبة المفروضة عليها عشرة آلاف درهم[9].

ومع أن سكان الجزيرة قد مارسوا مختلف أوجه النشاط الاقتصادي كالتجارة والصناعة، لكن الزراعة والرعي كانتا من أهم المهن، وذلك لملاءمة أحوال المناخ[10] ووفرة المياه[11]، فكان الفلاحون يشكلون أكثرية سكانية، وهم ينقسمون إلى ثلاث طبقات،

---

1 - المقدسي: أحسن التقاسيم، ص 142.
2 - المصدر نفسه: ص 145-146.
3 - ليو أوبنهايم: بلاد ما بين النهرين، ص55
4 - فيصل السامر: الدولة الحمدانية، ص 149.
5 - الاصطخري: الأقاليم، ص 54.
6 - قدامة بن جعفر، الخراج وصنعة الكتابة، (بريل ليدن، 1881م)، ص102.
7 - ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، ص 863.
8 - أحسن التقاسيم: ص 141.
9 - أبو يوسف: الخراج، ص 136، يحيى بن آدم القرشي: كتاب الخراج، (القاهرة، 1347 هـ)، ص 20.
10 -المقدسي: أحسن التقاسيم ص 144، ابن حوقل: صورة الأرض، ص 149 ،الاصطخري: مسالك الممالك، ص 52.
11 -ابن الفقيه: مختصر، ص 124، ابن سرابيون: عجائب الأقاليم، ص 195.

الأولى طبقة الأغنياء الذين يمتلكون الأراضي الزراعية، ويستغلون الفلاحين في حرث الأرض وزراعتها، ويثقلون كاهلهم بضرائب باهظة[1]، والطبقة الثانية طبقة فقراء الفلاحين الذين يملكون الأرض، ولكنهم غير قادرين على استثمارها بقدراتهم الذاتية، فيصبحون ضحية استغلال أثرياء المدن وكبار التجار والإقطاعيين[2]، أما الطبقة الثالثة فهم الفقراء الذين لا يملكون أرضاً، ويعملون أجراء في المزارع، ويتنقلون حيثما توافرت فرصة عمل[3].

ـ الصناعة :

نشأت في الجزيرة بعض الصناعات التي تعتمد أساساً المحاصيل الزراعية والإنتاج الحيواني، فقد جرى تصنيع اللحم المجفف في معلثايا، كما أنتج اللبن المجفف أيضاً في مدينة حران، وفي الرقة كانت صناعة الصابون والأقلام، وكذلك صنعت في مدينة آمد ملابس الصوف، والكتان في ديار بكر[4]، وكان النبيذ الجيد يصنع في جميع الأديرة تقريباً[5]، وكان الزيت يصنع في سروج[6] والرها وجزيرة ابن عمر[7].

كما وجدت صناعات أخرى في الجزيرة، أشارت المصادر الأولية إلى أنها كانت تصدر إلى المناطق المجاورة، وهي صناعات حديدية مثل السكاكين والسلاسل والسهام وأباريق القهوة (الدلال)، كما صنع الفحم من الخشب في الموصل، وجرى تصنيع الموازين في نصيبين[8].

وزاد الموقع الجغرافي في الجزيرة الفراتية أهميتها الاقتصادية لتوسطها بين الشرق والغرب، حيث كانت تمر بها قبل الإسلام طرق التجارة العالمية من جميع الاتجاهات[9]، سالكة الضفة الشرقية لنهر دجلة عبر أرض الجزيرة إلى الضفة الغربية لنهر الفرات[10]، فكان طريق الهند التجاري المهم يمر بأرض الجزيرة[11]، وكانت حران المقاطعة المركزية

---

1 – Tell-Mahre Op. Cit., P137

2 – Ibid., pp 32-93

3 – Ibid., pp 112-133

4 – المقدسي: أحسن التقاسيم، ص 145

5 – الشابشتي علي بن محمد: الديارات، مطبعة المعارف، (بغداد، 1951م) تحقيق كوركيس عواد، ص 110-112،116-147،جاسم صكبان علي: نصارى العراق، (رسالة ماجستير غير منشورة)، بغداد 1974م ص 141-146.

6 – ابن حوقل: صورة الأرض، ص 206.

7 – Joshua The Stylite. Op. Cot., pp 30-31.

8 – المقدسي: أحسن التقاسيم، ص 145.

9 – J. B. Sega, Edessa The Blessed City. (Oxford 1970)pp. 137-138

10 – ابن خرداذبة: المسالك، ص 62-65، المقدسي: أحسن التقاسيم، ص 135- 141.

11 – دائرة المعارف الإسلامية، ج 5، ص 313، مقال كندرمان مادة « تغلب ».

لآرام النهرين[1]، تمر بها الطرق الرئيسة إلى سوريا، حتى أصبحت مركزاً تجارياً مهماً وكان قد ورد ذكرها في الكتاب المقدس باسم (فدان آرام)، أي (طريق آرام)[2]، وقد استغل النهران الخالدان دجلة والفرات في نقل البضائع التجارية، وخاصة نهر الفرات، حيث كانت تشحن البضائع الآتية من الشرق عبر الخليج العربي إلى الشام خلال نهر الفرات، ومن ثم تنقل على ظهور الإبل إلى موانئ البحر الأبيض المتوسط وبالعكس، فكان سكان إقليم الجزيرة يقومون بحراسة هذه التجارة، ويشرفون على نقلها مقابل أجر معلوم، ويجنون من ذلك أرباحاً طائلة [3]، وتشير المصادر إلى أن بني تغلب كانوا ملاحين مهرة، وكانت تجارة السفن تدر عليهم المال وتجلب لهم السلطان[4]، ولقد كانت التجارة واحدة من أهم المهن التي اشتغل بها سكان الجزيرة لما توفر لها من موقع جغرافي ممتاز.

وعلى أي حال فإن أهمية إقليم الجزيرة الفراتية من الناحية الاقتصادية وما تميز به من خصوبة الأرض ووفرة المياه ومناخ ملائم للزراعة والرعي، والموقع الجغرافي الممتاز ذي الأهمية العسكرية والتجارية، ظهر في طبيعة الأحوال البشرية في هذا الإقليم ومنذ الفترة السابقة لظهور الإسلام، فقد أصبحت الجزيرة منذ وقت مبكر محط أنظار القبائل العربية، فتوجهت إليها واستوطنت فيها، ولغلبتها على المنطقة وكثرة أعدادها وتأثيرهم الثقافي والحضاري فيها سميت أقسام الجزيرة بأسماء القبائل[5].

وقد ظهرت تلك الأحوال في طبيعة الحياة الثقافية والاجتماعية للإنسان العربي في هذا الإقليم، فأبدع في إنشاء الحضارة، وأقام الدول القوية فيها عبر مراحل التاريخ القديم وحتى ظهور الإسلام.

ونتيجة لأحوال وعوامل اجتماعية وبيئية ودينية متعددة سادت بين عرب الجزيرة الفراتية قبل الإسلام حالة من الوعي الحضاري والثقافي، تميزوا بها من سكان الأقاليم غير العربية المجاورة، وكانوا مستعدين بهذا الوعي لقبول ديانة التوحيد السماوية، ورفض الوثنية والمجوسية، ولعل هذا الوعي هو الذي يفسر انتشار النصرانية في الجزيرة بعد ظهورها وقتاً قصيراً قبل الأقاليم غير العربية[6]، وهذا يفسر الموقف نفسه الذي اتخذه

---

1 - الكتاب المقدس، تكوين 24- 10، وسيشرح هذا المصطلح مفصلاً في الفصل الثالث .

2- الأب ألبير أبونا : أدب اللغة الآرامية، ط1، (بيروت، 1970م) ص 14، انظر الكتاب المقدس، تكوين 5-12:4، 2:28 .

3- Tell-Hamre,. Op. cit., pp 32-90

4 - دائرة المعارف الإسلامية، ج5، ص 313، مقال كندرمان مادة «تغلب».

5 - سيدرس هذا الموضوع في الفصل الثالث من هذا الكتاب.

6 - ينظر الفصل الرابع من هذا الكتاب.

عرب الجزيرة من المحررين العرب في مطلع القرن السابع، عندما اعتنقوا الإسلام بعد وقت ليس بطويل، وبعد أن اطلعوا على قيمه ومبادئه الإنسانية ورسالته السمحاء، وخير دليل على ذلك أن معظم مدن الجزيرة كانت قد فتحت صلحاً[1]، كما كانت تلك الخصائص والمزايا لإقليم الجزيرة سبباً لأطماع القوى الأجنبية، فكانت أرضها مسرحاً لحروب وصراعات طاحنة استمرت قروناً طويلة، بلغت أوجها في القرن السادس الميلادي، عندما خضعت بعض مدن الجزيرة لاحتلال الدولتين الكبيرتين آنذاك الساسانية و البيزنطية إلى أن حررها العرب في مطلع القرن السابع الميلادي.

---

1 - ينظر الفصل السادس من هذا الكتاب.

الفصل الثالث

سكان

الجزيرة الفراتية

أولاً - قدم الوجود العربي في الجزيرة الفراتية:

تعد الجزيرة الفراتية من أقدم الأقاليم التي سكنتها قبائل العرب، سواء كانوا من أهل الحضر أم من أهل المدر، إذ كانوا يجدون فيها ما يلائم ويصلح لمعاشهم البسيط ولرعي مواشيهم، فيتنقلون فيها من مكان إلى آخر من دون أن يتعرض لاستقلالهم أحد، أو يتدخل في أمورهم غير شيوخهم وأمراء عشائرهم[1]، وقد أنشؤوا فيها حضارة عريقة، ما زالت آثارها شاخصة إلى يومنا هذا مع مرور عشرات القرون من السنين[2]، كما تركوا أثرهم الواضح وطابعهم العربي المميز في حياة هذا الإقليم، وكان لهم نتاجهم الأدبي العربي الخالص، وأبرز ما وصلنا منه شعر الشاعر التغلبي عمرو بن كلثوم أحد أصحاب المعلقات السبع الذي كان من مواليد الجزيرة الفراتية[3].

وتدل أعلامها وأسماء مواضعها على قدم الوجود العربي فيها كباعربايا أو بيث عربايا[4] في المصادر السريانية، وهو اسم لثلاثة أماكن يسكنها العرب منذ القدم، أخصها مدينة نصيبين[5]، وأطلقت المراجع الفارسية على منطقة نصيبين وما حولها اسم (عربستان)، أي بلاد العرب، كما أطلق سترابو (ت25م) الجغرافي المعروف على مناطق الجزيرة في جنوب المنطقة الكردية اسم بلاد العرب[6]، والأسماء المتداولة بين العرب منذ صدر الإسلام لأقسام الجزيرة التي ثبتها البلدانيون والمؤرخون العرب القدامى بعد ذلك في مؤلفاتهم هي ديار ربيعة وديار مضر وديار بكر[7]، ويشير اسمها إلى أصل ساكنيها، وهو دليل واضح على أن العرب يشكلون أكثرية سكانية منذ القدم.

---

1 - لويس شيخو: النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، ق 1 (بيروت 1912م)، ص 92 .

2 - فؤاد سفر: الحضر مدينة الشمس، (بغداد د - ت)، ص17، سليمان الصايغ الحضر: نشرة مديرية الآثار العامة، (بغداد د- ت)، ص 3.

3 - ينظر الزوزني، أبا عبد الله الحسين بن أحمد : شرح المعلقات السبع، ط2، (بيروت، 1972م)، ص 163،عبد القادرعياش: الرقة كبرى المدن الفراتية القديمة، ق 1 (دير الزور، 1968م)، ص 9 .

4 - بيث عرباي أو باعربايا تطلق على الأرض الممتدة من بازبدي وبلد إلى نصيبين، وقاعدتها نصيبين، وكان بازبدا أو زبداي في وادي دجلة بين باعربايا وقردوا، وعاصمتها فنك أو بنك، شمال غربي جزيرة ابن عمر، وهي المعروفة اليوم باسم آزخ، ينظر روفائيل بابو اسحاق، مدارس العراق قبل الإسلام، مطبعة شفيق، (بغداد، 1955م)، ص 40.

5 - شيخو: النصرانية وآدابها، ص 93

6 - السامر: الدولة الحمدانية، ص 165.

7 - ينظر الفصل الأول من هذا الكتاب.

إن سكنى القبائل العربية في الجزيرة الفراتية يعود إلى عدة قرون قبل ظهور الإسلام، حيث هاجرو إليها من موطنهم الأصلي شبه الجزيرة العربية، واستقروا في مناطق مختلفة منها، وكانت هجراتهم إلى إقليم الجزيرة متواصلة وفي فترات تاريخية متباينة[1]، حيث كانت تلك الأرض تمثل امتداداً طبيعياً ومقدار حيوياً لهم، وكانت الجزيرة العربية يوم ذاك تمثل خزاناً هائلاً يزدحم بالسكان، فلم يجد بداً من إفاضة ما يزيد على حاجته، وكان انتقال الجماعات البشرية جملة أو أفراداً ظاهرة عامة في الشرق[2]، فلم يقتصر نشاط المجتمع العربي في شبه جزيرة العرب على تنقل الأفراد، أو على هجرات القبائل وتمازجها داخل الجزيرة فحسب، وإنما تعدى ذلك إلى أطرافها، وكان هناك تمدد لا ينقطع نحو الأطراف الشمالية خصوصاً، وقد يكون هذا التمدد بطيئاً لا يحس أحياناً، وواضحاً أحياناً حتى يثير النزاع والخصومات، ولكنه في كل الأحوال كان متصلاً وقل أن يتوقف[3]، وبذلك كانت جزيرة العرب مصدراً أساسياً لكل الموجات العربية (الأقوام العربية القديمة) ومنذ الألف الرابع قبل الميلاد، وكان الآراميون الذين استوطنوا الجزيرة الفراتية وبعض مناطق سورية آخرهم، وشكلوا ثقلاً بشرياً مهماً في الجزيرة، ترك آثاره الثقافية والحضارية فيها وفي عموم المنطقة منذ هجرتهم إليها نحو سنة 1500. 1200 ق.م[4].

وتعد سنة 612 ق.م، وهي السنة التي سقطت فيها نينوى وزالت دولة الآشوريين بداية لهجرات عربية ضخمة أخرى إلى الجزيرة الفراتية، فقد حدثت هجرة واسعة إلى الجزيرة، امتدت شمالاً إلى نصيبين وديار بكر، وإلى ما وراء الرها وسهل أنطاكية، حتى صارت الأقاليم الشمالية لما بين النهرين بعد قرن من سقوط نينوى تعرف باسم (عربايا)[5]، وقد أقامت بعض القبائل العربية إمارات مستقلة في الجزيرة، منها إمارة الحضر التي حكمتها سلالة عربية مدة ثلاثة قرون، وكان أول حكامها أميراً عربياً اسمه سنطروق، ورد ذكره في نقوش اكتشفت هناك، نصت على أن أباه يدعى نصراً وأن لقبه «ملك العرب»[6]، واستناداً إلى الطبري فإن حكام هذه الدولة كانوا من قبائل قضاعة[7]،

---

1 – حمادي: الجزيرة الفراتية، ص 127.

2 – فيليب حتي (وآخرون): تاريخ العرب المطول، ج1، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، ط2 (بيروت، 1952م)، ص 10-11.

3 – شكري فيصل، المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجري، دار العلم للملايين، (بيروت د – ت)، ص 26.

4 – طه باقر: مقدمة، ج1، ص، 491.

5 فؤاد سفر: الحضر، ص 17.

6 – سليمان صايغ: الحضر، ص 3، طه باقر: مقدمة، ج1، ص 608.

7 – تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص 47-48.

ويروي ياقوت الحموي: « ...إن بني قضاعة لما افترقوا سارت قبيلة منهم إلى أرض الجزيرة، وعليهم ملك يقال له الضيزن بن جهلمة أحد الأحلاف، فنزلوا في مدينة الحضر[1] »، واستمرت مملكة الحضر حتى حكم الملك الساساني سابور الأول (241-272م)[2].

ـ الآراميون في الجزيرة الفراتية:

عندما حدثت هجرات القبائل العربية الحجازية العدنانية خلال القرون الستة الأولى للميلاد، واستقرت في مواطنها المعروفة في الجزيرة الفراتية، لتأخذ اسمها الذي نعرف، ديار بكر، ديار مضر، ديار ربيعة، كان الآراميون ـ وهم آخر الأقوام العربية التي هاجرت إلى الجزيرة الفراتية من شبه جزيرة العرب ـ يمثلون الثقل السكاني الأكبر في المنطقة، وهم الذين قاموا بدور بارز جداً في الحياة الثقافية والتجارية قروناً طويلة في عموم المنطقة، فلغتهم العربية القديمة الآرامية أصبحت ومنذ القرن التاسع قبل الميلاد لغة أدبية ثقافية، ثم أصبحت بعد ذلك لغة التجارة والثقافة في بلاد ما بين النهرين خلال حكم الآشوريين [المتأخر] والبابليين والكلدانيين، وعندما خضعت المنطقة لسيطرة الغزاة الأخمينيين [الفرس] (539-332 ق.م) كانت تلك اللغة مستعملة بين مصر والهند، وظلت اللغة السائدة حتى بعد الهيمنة اليونانية على المنطقة، وبعد أن جعل الاسكندر المقدوني اليونانية لغة رسمية في الشرق[3]، واستمرت اللغة العربية القديمة الآرامية كذلك، حتى أخذت لغة القبائل العربية التي هاجرت إلى الجزيرة ابتداءً من القرن الثالث حتى السابع الميلادي تحل محلها[4]، لهذا فإن أي دراسة تاريخية لإقليم الجزيرة وخلال تلك الحقبة الزمنية لا بد أن تعطي نصيباً مهماً منها في دراسة هؤلاء العرب القدامى الآراميين والتطرق إلى تاريخهم وحضارتهم، وسيحاول الباحث دراسة ذلك باختصار حتى القرن السادس الميلادي.

من الهجرات العربية القديمة التي أعقبت هجرة الكنعانيين والعموريين، وانتشرت في أنحاء الهلال الخصيب هجرة الجماعات التي سميت الآراميين[5]، ولقب آرام وهو اسم

---

1 – معجم البلدان، ج2، ص 48.

2 – الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص 48

3 – طه باقر: مقدمة، ص 491- 493، وينظر جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت (مكتبة النهضة، 1969م)، ج2، ص 22.

4 – أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود في التاريخ، وزارة الثقافة والإعلام، ط5، (بغداد، 1981م)، ص 163.

5 – سوسة: مفصل العرب، ص 151.

جغرافي أطلق على الأرض المرتفعة شمال شرق سوريا، أي إقليم الجزيرة، ثم عمّ الاسم كل القبائل العربية التي تنتمي إلى أصل واحد، واستوطنت في تلك المنطقة[1]، وينسب الآراميون في الكتاب المقدس [بحسب النظرية التقليدية للأنساب العربية] إلى آرام بن سام بن نوح[2]، وهم قبائل رحل توزعوا في البادية بين أرض الجزيرة وسوريا، ويظهرون في النقوش البابلية والآشورية التي ترجع إلى القرن الرابع عشر (ق.م) باسم (أخلامو)[3] أو (آريمي)[4].

إن أول ذكر للعرب القدامى الآراميين ورد في رقيم (نرام سن) الأكادي، وإن لفظ آرام النهرين ذكر في نصوص مصرية في القرن السادس عشر (ق.م)[5]، وقد جاءت كلمة (آرام) في التوراة مضافة إلى عدة أماكن، يراد بها مستوطن أو قبيلة أو أرض عالية[6] مثل (آرام صوبه)[7]، و(آرام النهرين)[8]، و(آرام دمشق)[9]، ومصطلح آرام النهرين ذو علاقة بالبحث، ويعني هذا المصطلح بحسب ما ورد في التوراة الأقسام الشمالية الغربية من العراق والشمالية الشرقية من سوريا[10]، وهو يتطابق كثيراً مع حدود إقليم الجزيرة، ذلك المصطلح الذي أطلقه البلدانيون العرب على القسم الشمالي من وادي الرافدين[11].

لقد تميزت هجرات هذه الأقوام العربية القديمة بضخامة أعدادها وكثرة قبائلهم التي كانت تنتقل بوادي الشام والأجزاء الشمالية من بلاد ما بين النهرين (الجزيرة)، وقد تركوا أثراً واسعاً في تاريخ الشرق الأدنى، سواء كان ذلك من حيث التركيب السكاني أم التأثير اللغوي والحضاري، فمنذ بداية هجراتهم التي يحدد المؤرخون أنها وقعت بين القرن الرابع عشر والثاني عشر قبل الميلاد نشأت بينهم وبين عرب وادي الرافدين صلات كثيرة، أثرت في كلا الجانبين تأثيرات قوية[12].

---

1 – ألبير أبونا: أدب اللغة الآرامية، ص 12.

2 – الكتاب المقدس: تكوين 10 : 22 –23.

3 – ألبير أبونا: أدب اللغة الآرامية، ص 12، أخلامو (جمع خلم) أي حلف، فيكون معنى اسم القبيلة الأحلاف، طه باقر، مقدمة، ص 491.

4 – أوليري دي لاسي: علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب، ترجمة وهيب كامل، مراجعة زكي علي، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، 1962م)، ص 249.

5 – فولوس غبريال وآخرون: الآداب السريانية، ج1، منشورات الجامعة اللبنانية، (بيروت، 1969م)، ص8.

6 – أحمد سوسة: مفصل، ص 159.

7 – يراجع الكتاب المقدس، 1 صاموئيل 14 : 47، 2 صاموئيل 8 : 3 و 10.

8 – تكوين 24 : 2و5.

9 – الكتاب المقدس، 2 صاموئيل 8 : 5.

10 – أحمد سوسة، مفصل، ص 159.

11 – طه باقر، مقدمة، ج1، ص11.

12– طه باقر: مقدمة، ج1، ص 491–492.

إن واحداً من أهم الأدلة على قوة تأثير حضارة أي شعب أو قوم ما وانتشاره، هو انتشار استخدام لغتهم أو لهجتهم الخاصة واتساعها، لدى الشعوب الأخرى المجاورة، وهناك الكثير من الشواهد التاريخية لتدعيم هذا القول، وأقربها الحضارة العربية الإسلامية إبان ازدهارها وانتشارها، والتي ما زالت تأثيراتها ماثلة إلى يومنا هذا بين شعوب الشرق على الأقل، والأمر ينطبق هنا على الآراميين، وهم موضوع البحث، إذ أخذوا بأسباب الحضارة منذ بدايات استقرارهم في المنطقة، وأخذت لغتهم العربية القديمة تحل بمرور الزمن محل أختها الآشورية في الإمبراطورية الآشورية نفسها، وصارت في آخر الأمر اللغة المشتركة في آسيا الغربية تحت حكم الفرس، وحلت نهائياً محل اللهجات العربية القديمة لهجات كنعان الأقدم منها، بل انتشرت أيضاً في مصر، وهناك نقوش وجدت في تدمر تعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد، حيث كان أهلها العرب القدامى الآراميون يعيشون تحت سيادة العرب التدمريين، ووجدت نقوش من القرن الأول قبل الميلاد في بلاد النبط، تشير إلى أن العرب كانوا فيها يتخذون اللغة العربية القديمة الآرامية لغة أدبية، إذا جاز لنا أن نعدّ النقوش نتاجاً أدبياً[1].

لقد كان تاريخ العرب القدامى الآراميين السياسي في إقليم الجزيرة قبل هجرة القبائل العربية الحجازية واليمنية إليها حافلاً بالصراعات ضد القوى الكبرى، ذلك لأنهم تمكنوا من إقامة عدة دويلات في منحنى الفرات (الجزيرة)، منها مملكة الرها، وتل أحمر، وتل خلف وغيرها في أوقات متفاوتة، وكانت هذه الدويلات تختلف وتتقاتل فيما بينها أحياناً، أو تتحالف أحياناً أخرى، خاصة أمام الغزو الأجنبي، حتى جاء الفرس الأخمينيون (**539-332** ق.م)، وقضوا على كيانها السياسي، ولكن بين فترة وأخرى تنشأ لهم إمارة هنا ودويلة هناك، يحاول كل طرف من القوى الكبرى التي تعاقبت على احتلال المنطقة آنذاك، وهم على التوالي فرس ويونان، فرثيون ورومان، بيزنطيون وساسانيون كسب ودها ومحاولة التحالف معها ضد الطرف الآخر.

وجدير بالإشارة أن نجاح الاسكندر في القضاء على الدولة الأخمينية سنة **331** ق.م أدى إلى جعل منطقة الشرق الأدنى، ومنها الجزيرة الفراتية والعراق تحت سيطرة اليونان، ولم يعش الاسكندر طويلاً ليرى نتائج فتوحه الباهرة، فقد توفي سنة **323** ق.م في بابل التي اتخذها عاصمة لدولته الكبرى، فقسمت إمبراطوريته بين قادة جيوشه إلى ثلاث ممالك، فكانت المنطقة الآسيوية من نصيب القائد سيلوقس الذي اتخذ أنطاكيا

---

1 -أوليري: علوم اليونان، ص **249**.

عاصمة للدولة السلوقية (311-64 ق.م)، وقد أدى ضعف وجود السلوقيين في منطقة فارس إلى قيام الفرثيين بالتمرد والاستقلال عنهم سنة 247م، فكانت فرصة لاستقلال بعض الممالك العربية في منطقة الجزيرة[1]، فاستقلت مملكة الرها، وازدهرت في القرون الأولى قبيل الميلاد والقرون الأولى بعد الميلاد[2]، كما ظهرت مملكة حدياب وراء نهر دجلة وقاعدتها (أربل)، وبلغت عظمتها في القرن الأول الميلادي[3].

حكم بلاد الشام بعد السلوقيين الرومان سنة 64 ق.م، واستمرت الحروب والمناوشات بينهم وبين الفرثيين [الفرس] في الشرق، وكان مسرح تلك الصراعات أرض الجزيرة الفراتية حتى مجيء أوغسطين قيصر (31 ق.م – 14م) الذي أبرم الصلح مع الفرثيين، على أن يكون الفرات هو حد الحدود الفاصل بين الجانبين[4].

وعندما ظهرت المسيحية استجاب لندائها فريق من العرب القدامى الآراميين، ومنذ ذلك التاريخ صار اسم «سريان» يطلق على من اعتنق المسيحية على حين سمّي من ظلوا على وثنيتهم الآراميين[5].

حدث تطور سياسي جديد بعد أن أصبح سبتيموس ساويروس (193-211م) إمبراطوراً لبيزنطة، حيث توجه إلى إقليم الجزيرة واحتله كاملاً، ولكن بعد مجيء الساسانيين لحكم فارس وقضائهم على الفرثيين سنة 226 م تمكنوا من استرجاع سيطرتهم على إقليم لجزيرة الفراتية والمناطق المجاورة من الروم في زمن ملكهم أردشير، وأصبحت تحت الهيمنة الفارسية[6].

انتابت روما ثورات داخلية أوصلت قسطنطين (306-337م) إلى العرش، وعندما تنصر، أي اعتنق الديانة المسيحية، أطلق الحرية للنصارى، بعد أن نقل مقر حكمه إلى الشرق، واتخذ له عاصمة جديدة، بناها على أنقاض مدينة بيزنطة القديمة، أطلق عليها أول الأمر اسم روما الجديدة، ثم استبدل باسمها القسطنطينية نسبة إلى اسم مؤسسها قسطنطين، وهي مدينة اسطنبول الحالية، ليبدأ تاريخ جديد للرومان في الشرق، تعارف المؤرخون على تسميته الإمبراطورية البيزنطية، نسبة إلى مدينة بيزنطة القديمة، وبذلك

---

1 – غبريال: الآداب السريانية، ج1، ص 9 .

2 – أوسابيوس: المصدر السابق، الكتاب الأول، الفصل 13، ص 57–62، وينظر Segal، Edessa ،. pp9-39 .

3 – مشيخا زخا: أساقفة حدياب، ترجمه ونشره إسحاق أرمله،مجلة المشرق، المجلد 22، (بيروت، 1924م)، ص 184.

4 – غابريال: الآداب السريانية، ج1، ص9، شريف إبراهيم: الموقع الجغرافي ج2، ص 230–231، [وسنبين أثر هذا الاتفاق ونتائجه في واقع الجزيرة الاجتماعي والسياسي حتى نهاية القرن السادس الميلادي في الفصلين الرابع والخامس].

5 – سنناقش أصل هذه التسمية في الفصل الرابع.

6 – غبريال: الآداب السريانية، ج1، ص 10.

انشطرت الإمبراطورية الرومانية مؤقتاً إلى شقين، شرقي وعاصمته القسطنطينية وغربي ومقره روما التي بدأ يضمحل دورها تدريجياً حتى سقوطها سنة **476** م بيد القبائل الشمالية الهمجية.

حكم بعد قسطنطين تيودوسيوس الكبير (**379-395**م) الذي أقر النصرانية ديانة رسمية للدولة[1]، وكان يسعى إلى الصلح والسلام مع جيرانه، فأصبح خط الحدود الفاصل بين الساسانيين والبيزنطيين في زمنه خطاً يمر وسط الجزيرة الفراتية، من مدينة ميافارقين إلى دارا إلى نصيبين وقرقيساء، ويستمر نحو الجنوب حتى خليج العقبة[2]، ولم يكن تجدد هذا الاتفاق مصادفة، بل يبدو أنه يتفق ومصلحة الطرفين، فقد كان الفرات يؤدي وظيفته حاجزاً يمنع اصطدام القوتين وأصبحت القوات الرومانية والقوات الفارسية يواجه بعضها بعضاً على جانبي الفرات[3]، وهذا يعني أيضاً أن عدداً من مدن الجزيرة أصبحت تحت النفوذ الفارسي وأخرى تحت الهيمنة البيزنطية، وهو ما سيترك آثاره في طبيعة العلاقات بين الدولتين من جهة، وطبيعة علاقة كل منهما بسكان الجزيرة من جهة ثانية.

ثانياً ـ هجرة القبائل الحجازية[4] إلى الجزيرة الفراتية:

ابتداء من منتصف القرن الثالث الميلادي تقريباً كانت الجزيرة الفراتية تشهد قدوم هجرات عربية جديدة، مميزة من حيث العدد والخصائص واللغة لتتوزع في مناطق مختلفة في إقليم الجزيرة، وتضفي عليها طابعاً عربياً جديداً، وتتفاعل مع الواقع الاجتماعي والسياسي بسرعة، فيتعزز الوجود العربي في هذه المنطقة المهمة من أرض العرب في مواجهة تحديات القوى المجاورة والطامعة فيها، وهما تحديداً دولتا الفرس في الشرق والروم في الغرب، وكان مصدر هذه الهجرات هو شبه الجزيرة العربية موطن العرب الأول، فما نسب هذه القبائل العربية؟، وأين كانت منازلها في شبه جزيرة العرب؟، ولماذا هاجرت إلى الجزيرة الفراتية؟، ومتى؟، وأخيراً أين استقرت؟، وفي أي مناطق من هذا الإقليم الزاخر بالخصب والخير؟، هذا ما سنحاول بحثه و توضيحه.

---

1 - السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، (بيروت، **1982**م)، ص **30**.
2 - غبريال: الآداب السريانية، ج**1**، ص **10-11**.
3 - إبراهيم شريف: الموقع الجغرافي، ج**2**، ص **230-231**.
4 - سيتركز البحث على هجرة القبائل الحجازية الشمالية، أو العدنانية، خاصة ربيعة ومضر التي هاجرت إلى الجزيرة الفراتية، لأنها الأكثر عدداً حتى صارت لها الجزيرة دياراً سميت بأسمائهما، ولكن هذا لا يعني أنه ليس هناك قبائل جنوبية يمنية، أو قحطانية قد هاجرت واستوطنت في الجزيرة الفراتية.

يقسم النسّابون العرب القبائل العربية إلى قسمين، عرب الشمال (الحجاز)، وسموا العدنانية، وعرب الجنوب (اليمن)، ويسمون القحطانية(*) وكانت هذه القبائل في حركة وتنقلات مستمرة لأسباب وعوامل متعددة، دفعها إلى الهجرة إلى عدة مناطق مجاورة، ومن بينها الجزيرة الفراتية، ومن الضروري الإشارة باختصار إلى أصول تلك القبائل، ونسبها، والأماكن التي كانت تستقر فيها قبيل هجرتها.

يقول علماء الأنساب إن عدنان كان له ولدان معد وعك، وإن معداً أنجب عدداً من الأبناء، منهم نزار وقنص، وأن الجد المشترك لمعظم القبائل شمالي جزيرة العرب هو نزار، ويذكرون أنه كان له أربعة أولاد ربيعة ومضر وإياد وأنمار[1].

فمن زوجته سوده بنت عك بن عدنان جاء ولداه مضر وإياد، ومن زوجته جدالة بنت وعلان من عشيرة جرهم جاء ولداه ربيعة وأنمار[2].

وتأخذ شجرة الأنساب العدنانية بالتفرع والنمو بعد ذلك، ويكون لابني نزار مضر وربيعة الحظ الأوفر من عدد الأبناء وكثرة القبائل والبطون المنحدرة منها، فمضر أنجب ولدين، هما الياس وقيس عيلان، وأن لإلياس من زوجته ليلى بنت حلوان القضاعية المعروفة ب «خندف»[3] ثلاثة أبناء هم مدركة، وطابخة، وقمعة.

ومن قبائل قيس عيلان المشهورة فهم، وعدوان، وسُليم، وهوازن، وغطفان، وباهلة، وغني، وإلى هوازن تنتمي قبائل ثقيف وعامر بن صعصعة وجشم، ولقبيلة بني عامر بطون كثيرة، منها بنو نمير وبنو هلال وكلاب وكعب، ومن بطون كعب المشهورة الحريس وجعدة وعقيل وقشير والعجلان، وإلى غطفان تنتمي قبائل عبس وذبيان وأشجع وأنمار[4].

أما قبائل ربيعة[5] فإن كتب الأنساب ترجعها إلى فرعين، أسد وضبيعة والعدد والبيت في أسد بن ربيعة، ومن قبائلها المشهورة عنزة وعبد القيس ووائل بن قاسط والنمر بن قاسط.

---

1 – ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، ط3، (مصر، 1971م)، ص 9-10، النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، (القاهرة د. ت)، ج2، ص 325.

2 – الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص 168، دائرة المعارف الإسلامية، ج 10، ص 38، مقال كندرمان مادة «ربيعة ومضر».

3 – أصبح اسم خندف بعد ذلك علماً على قبائل ربيعة كلها.

4 – ابن حزم: جمهرة، ص 232-275.

5 – الاسم ربيعة شائع جداً بين القبائل العربية، وهناك قبائل مضرية تحمل هذا الاسم، وبعضها قبائل مهمة مثل ربيعة بن عامر بن صعصعة، ومنها خرجت كعب وكلاب وكليب، ثم ربيعة بن عبد الله بن كعب، وربيعة بن كلاب وربيعة بن الأضبط، وربيعة بن مالك بن جعفر، وربيعة بن عقيل، وربيعة بن جعدة، وهناك ثلاثة فروع من عبد شمس تسمى ربيعة . ومن القبائل اليمنية الكبرى ربيعة بن الخيار، وربيعة بن جرول، وربيعة بن الحارث بن كعب، أما بنو ربيعة أو بنو أبي ربيعة فعشيرة من عشائر شيبان، وأما ربيعة الكبرى أو الوسطى أو الصغرى فيطلق على ثلاثة بطون من تميم، ربيعة بن مالك بن زيد مناة (وتعرف أيضاً بربيعة الجوع وربيعة بن حنظلة بن مالك ابن زيد مناة، وربيعة بن مالك بن حنظلة، والجمع الربائع يشمل كل هؤلاء، ينظر ابن منظور: لسان العرب، م2، (دار صادر، بيروت1965م)، ص 112 مادة (ربع)، أما اسم مضر على خلاف ربيعة فلايكاد لا يذكر في تلك المواضع، ينظر دائرة المعارف الإسلامية، ج10، ص 39، مقال كندرمان مادة ربيعة ومضر.

❖نشرت لنا - بعد تأليف هذا الكتاب - دراسة في مجلة الجامعة الأسمرية [زليتن - ليبيا]، نطرح فيها رأياً آخر مغايراً لهذا التقسيم التقليدي لأنساب العرب، للمزيد ينظر الملحق (3) في نهاية هذا الكتاب.

ومن وائل بن قاسط تنحدر أضخم القبائل الربعية، وهي بكر وتغلب، ومن بطون بكر المشهورة يشكر وقيس بن ثعلبة وعجل وحنيفة وذهل وشيبان[1]، أما ضبيعة فهي قبيلة لم تكثر بطونها، ومنها بنو أحمس، وبنو الحارث، وبنو دوفن[2].

1 . منازل القبائل في شبه جزيرة العرب:

يتفق الجغرافيون العرب على تقسيم الجزيرة العربية إلى خمسة أقسام، هي تهامة، الحجاز، والعروض، ونجد واليمن[3]، وقد توزعت القبائل العربية على هذه الأقسام، فنزلت تهامة[4] والحجاز[5] من القبائل العدنانية كنانة، وكانت دارها في تهامة[6]، وقريش ومنازلها في مكة وما حولها[7].

ونزلت سراة الحجاز فهم وعدوان وتجاورهم قبيلة هذيل[8]، وكان بنو عامر يشتون في نجد ويصيفون بالطائف، ولكن قبيلة ثقيف أجلتهم عنها، واستقرت هي بالطائف[9]، واستقرت هوازن فيما والى بيشه وحنين وأوطاس[10].

ومن القبائل القيسية التي تسكن في الحجاز أيضاً بنو هلال ومعظم بني سُليم[11].

أما نجد[12] فقد نزلتها من القبائل العدنانية بنو كعب بن ربيعة ومنازلهم بالفلج وباديتها، وكذلك بنو أسد، وكانت منازلهم مجاورة لمنازل طي، ونزلت ضبة وعكل وتميم بلاد نجد، ثم مضوا حتى خالطوا أطراف هجر، ونزلوا بين اليمامة وهجر[13].

---

1 - ابن حزم: جمهرة، ص 275-308.
2 - محمد أحمد جاد المولى وآخرون: أيام العرب في الجاهلية، ط3، (مصر 1942م)ص 408-413.
3 - ولكنهم من جانب آخر يختلفون اختلافاً كبيراً في تعيين حدود كل منطقة من هذه المناطق، يراجع لتحديد مناطق الجزيرة تلك معجم ما استعجم للبكري، ج، 1، ص 7، وما بعدها معجم البلدان لياقوت الحموي، ج2، ص 76، وصفة جزيرة العرب للهمداني ،(القاهرة، 1954م)، ص 48.
4 - وهي المنطقة السهلية المنخفضة المحصورة بين سلسلة جبال السراة البحر من جهة الغرب، وأهم مدنها مكة وجدة، محمود شكري الآلوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ج1، (القاهرة، 1942م) ص، 187.
5 - الحجاز وتشمل سلسلة جبال السراة التي تمتد من الشمال إلى الجنوب من جهة الغرب، والمناطق المحيطة بها، ومن أهم مدنه يثرب وخيبر وتبوك والطائف، الآلوسي، بلوغ الأرب، ج1، ص 187.
6 - البكري، معجم ما استعجم، ج1، ص 88.
7 - ابن هشام ،محمد بن عبد الملك:السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا، ط2، (القاهرة، 1955م)، ص 124.
8 - البكري، معجم ما استعجم 1، ص 88.
9 - المصدر نفسه والجزء ص 77.
10 -المصدر نفسه والجزء ص 78.
11 -المصدر نفسه والجزء ص 90، ياقوت الحموي معجم البلدان ج2 ص 205.
12 - تقع نجد في الشرق من جبال السراة، وهي هضبة تمتد على أطراف العراق حتى السماوة، الآلوسي: بلوغ الأرب، ج1، ص 187.
13 - البكري: معجم ما استعجم، ج1، ص9 .

وفي اليمامة[1] نزلت قبائل بني باهلة بن يعصر، وبنو نمير بن عامر وتميم كلها[2]، أما الهجر حاضرة اليمامة وما حولها فقد سكنها بنو حنيفة[3].

أما القبائل التي هاجرت إلى الجزيرة الفراتية ربيعة ومضر فقد كانت منازلها قبل تفرقها كما يلي:

استناداً إلى البكري[4] كانت منازل ربيعة في سفوح جبل غمر ذي كندة، والقسم الأوسط من ذات عرق وما يليه من بلاد نجد إلى الغور من تهامة، وكانت منازل مضر عند تخوم الأرض المقدسة إلى السروات، كما كان من نصيبها جانب من منطقة الغور وما يليه.

عاشت هذه القبائل من أولاد معد في منازلها تلك ردحاً من الزمن في وئام وائتلاف واجتماع الكلمة، كأنهم قبيلة واحدة، وهم يد واحدة على أعدائهم، حتى نشبت بينهم الفرقة وقامت الحروب، وتفرق جمعهم وتباينت مساكنهم، ويقول في ذلك شاعرهم المهلهل يصف حال تفرقهم بعد وحدتهم واجتماعهم[5] :

غنيت دارنا تهامة في الدهر وفيها بنو معد حلولاً

فتساقوا كأساً أمرت عليهم بينهم يقتل العزيز الذليلا

وعندما أرادت القبيلتان ربيعة ومضر توسيع رقعة منازلهما أبعدتا أبناء معد الآخرين من مكة وناحيتها، وحين نزحت عبد القدس[6] وشن بن أفصى ومن معهم إلى البحرين وهجر[7] سكنت بعض قبائل ربيعة هضاب نجد والحجاز وتخوم تهامة، حيث أصبحت منازلهم الجديدة في الذنائب، وواردات، والأحص وشبيث وبطن الحريب والتلغمان[8]، وتفرقت عشائر ربيعة مرة أخرى نتيجة لحروب نشبت بينهم، فشقوا طريقهم إلى الأمام ووصل معظمهم إلى أرض الجزيرة، حيث سكنوا الأرض التي حملت أسماءهم بعد ذلك وهي ديار ربيعة وديار بكر[9].

---

1 – تشكل اليمامة والبحرين وما تلاها من المنطقة الساحلية الممتدة بمحاذاة الخليج العربي حتى عمان منطقة العروض، وتقع في الشرق من نجد وقصبتها (هجر)، الآلوسي: بلوغ الأرب، ج1، ص 87.
2 –البكري: معجم ما استعجم، ج1، ص 90
3 – ابن الفقيه، ص 28، البكري: معجم ما استعجم، ج1، ص 85.
4 – معجم ما استعجم، ج1، ص 78.
5 – نفسه، ص ج1، 19 .
6 – دائرة المعارف الإسلامية، ج10، ص 29، مقال كندرمان، مادة (ربيعة ومضر).
7 – البكري، المصدر السابق، ج1، ص 80.
8 – المصدر نفسه، ج1، ص18.
9 – دائرة المعارف الإسلامية، ج 10، ص 39، مقال كندرمان، مادة (ربيعة ومضر).

لقد كانت منازل بكر بن وائل أول الأمر مع إخوتهم تغلب وغفيلة وضيعة في ظواهر نجد والحجاز وأطراف تهامة، حتى وقعت الحرب بينهم وبين تغلب[1]، ولم تزل الحرب تنقلهم من أرض إلى أرض[2]، حتى توزعوا في مناطق متعددة، ولعل أبرز منازلهم قبيل هجرتهم إلى أرض الجزيرة الفراتية هي ذات رجل والخرج والأفاكل، وهي في اليمامة وما حولها، وكذلك وجدوا في البحرين وزبالة من أعمال المدينة وخساف بين الحجاز والشام والفراض والنباج، وهي مواقع بين البصرة واليمامة[3].

أما مضر فإنها بعد خروج ربيعة ظلت مقيمة وحدها بمنازلها في تهامة، حتى تباينت قبائلها، وكثر عددهم وفصائلهم وضاقت بلادهم عنهم، فطلبوا المتسع من المكان والأوفر من المعاش، وتتبعوا الماء والكلأ، وتنافسوا في المحال والمنازل، وبغى بعضهم على بعض، واقتتلوا.

ومضر كما مر بنا قبائل كثيرة ترجع إلى أصلين كبيرين قيس عيلان وخندف، فظهرت أولاً على قيس، فرحلت قيس من تهامة طالعين إلى بلاد نجد، إلا قبائل منهم انحازت إلى أطراف الغور من تهامة.

وخندف تشمل طابخة ومدركة فقد خرجت طابخة إلى ظواهر نجد والحجاز، وسارت قبائل منها حتى بلغت اليمامة وهجر والبحرين وعمان، وبطون منها بين أطراف البحرين إلى ما يلي البصرة، وأقامت قبائل مدركة بتهامة وما تلاها من البلاد، فصارت مدركة في ناحية عرفات وعرفة وبطن نعمان، وكان لهذيل جبال من جبال السراة، وسكنت فهم وعدوان بجوارها، وخزيمة بن مدركة أسفل هذيل، واستطالوا في التهائم حتى أسياف البحر[4].

هذه باختصار حكاية تفرق القبائل العربية الحجازية العدنانية من منازلها في الحجاز وتهامة وأسباب تفرقها إلى أنحاء جزيرة العرب، وقد حدث ذلك على الأكثر في القرون الأولى قبل الميلاد والقرون الأولى بعد الميلاد وبالتدريج[5].

---

1 - وهي الحرب التي عرفت باسم (حرب البسوس).
2 - البكري: ج1، ص 85.
3 - محمود عبد الله العبيدي: بنو شيبان ودورهم في التاريخ، (بغداد، 1984م)، ص 22-23.
4 - البكري، ج1، ص 90، دائرة المعارف الإسلامية، ج 10، ص 39، مقال كندرمان، مادة (ربيعة ومضر).
5 - جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، مراجعة وتعليق حسين مؤنس، طبعة دار الهلال، (القاهرة د – ت)، ص 202.

2 . تواريخ الهجرات العربية إلى الجزيرة الفراتية:

تفرقت تلك القبائل العربية بعد أن كثرت بطونها، فتوزعت على بلاد العرب، وتشير المصادر الأولى إلى ثلاث هجرات رئيسة إلى الجزيرة الفراتية[1]:

الهجرة الأولى:

حدثت في القرن الثالث الميلادي بسبب الصراع القاسي بين قبائل إياد وربيعة ومضر، ما أدى إلى أن تغادر بعض عشائر من إياد سهل تهامة متجهين نحو العراق، وليقيموا هناك ردحاً من الزمن، ثم يتجهوا شمالاً ليستقر بهم الأمر في تكريت في أعلى السواد جنوب الجزيرة الفراتية، بينما غادرت مجموعات أخرى من إياد إلى الموصل ومناطق مختلفة من الجزيرة[2]، ليجدوا هناك أبناء عمومتهم من بكر بن وائل قد استقروا قبلهم فيها[3].

ولقبيلة إياد بن نزار خبر مطول في كتب التاريخ والأدب، يتحدث بالتفصيل عن قصة رحيلهم عن موطنهم الأصلي تهامة، ومع الاختلاف بين بعض الروايات[4] فإن المتفق عليه أن إياداً، بعد أن كثر عددهم وتلاحقت نابتتهم، خالفوا إخوتهم من مضر وربيعة ما كان سبباً في نشوب نزاع[5] بينهم، أدى إلى خروج إياد من تهامة، وبعد أن طال بهم التطواف انتهى أمرهم بالوصول إلى سواد العراق، ثم استطالوا على الفرات، حتى خالطوا أرض الجزيرة، ووقعت بينهم وبين الفرس (الدولة الساسانية) حروب أدت إلى جلائهم عن أرض العراق (السواد) إلى إقليم الجزيرة، وقد هلك كثير منهم في هذه الحروب، وتشتت جمعهم، ونزلت طوائف منهم أطراف الشام، ولحق فريق منهم ببلاد الروم[6].

---

1 – Ali. J. S. Op. Cit. p4.

2 – البكري: معجم ما استعجم، ج1، ص 69-71، المسعودي: مروج الذهب، ج 1ص 279، التنبيه والإشراف، ص 205.

3 – الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص 57.

4 – جواد علي، المفصل، ج2، ص 637-639.

5 – وهي الحرب التي سميت يوم «خانق» التي يقول فيها أحد بني حفصة من مضر:

إياداً يوم خانق قد وطينا ... بخيل مضمرات قد برينا

ثعاداً بالفوارس كل يوم ... غضاب الحرب تحمي المحجرينا

فأبْنا بالنهاب وبالسبايا ... وأضحوا بالديار مجند لينا

ينظر البكري، ج1، ص7، وزيدان، ص 189.

6 –البكري، ج1 ص67، البلاذري: أنساب الأشراف، ج1 (القدس، 1936م)، ص 25.

ويروي المسعودي[1] أن سابور بن هرمز المعروف بـ سابور ذي الأكتاف (310-379م) ملك الفرس لم يرق له ما كان لإياد من غلبة على أرض السواد، كانت سيدة الموقف فيه بعد وفاة هرمز، حتى إنها لتمكنها وسيطرتها وإطباقها على البلاد قيل لها (طبق) في أيام ملكها الحارث بن الأغر الإيادي، وكانت إياد تصيف بالجزيرة وتشتي بالعراق، فأراد سابور الانتقام من إياد وإخضاعها للساسانيين، وينسب إلى رجل من إياد يدعى لقيط شعر[2] ينذر به قومه، ويخبرهم بقوم الفرس، وكان لقيط حبيساً عندهم، يقول فيه:

سلام في الصحيفة من لقيط — على من في الجزيرة من إياد

بأن الليث يأتيكم دلاقا — فلا يحسبكم شوك القتاد

أتاكم منهم سبعون ألفاً — يجّرون الكتائب كالجراد

ولكن إياداً استمرت بغاراتها على الفرس، ولم يأخذوا الحذر بما كتب لهم، فوجه إليهم كتاباً آخر يخبرهم فيه أن الفرس عسكروا وحشدوا، وأنهم سائرون إليهم، وكتب لهم شعراً جاء فيه:

يا دار عبلة من تذكارها الجزعا — هيجت لي الهم والأحزان والوجعا

أبلغ إياداً وخلل في سراتهم — أني أرى الرأي إن لم أعص قد نصعا

ألا تخافون قوماً، لا أبا لكم — مشوا إليكم كأمثال الدبى سرعا

ومع أن إياداً لم تحفل بإنذاره، إلا أن موقف لقيط هذا كان يمثل بادرة وعي قومي عند العربي في تلك الحقبة المتقدمة[3]، وقد فاجأت جيوش سابور إياداً، وأوقعت فيهم، ولم ينج منهم إلا من لحق بأرض الروم، وخلع سابور بعد ذلك أكتاف من ظفر بهم من العرب، فسمي سابور ذا الأكتاف[4]، ويبدو من تلك الروايات أن إياداً كانت قد استقلت في تلك الحقبة في أرض الجزيرة التي استوطنتها منذ زمن، ولم تخضع لسلطان الفرس[5].

وفي رواية أخرى للمسعودي ملخصها أن إياداً رجعت من أرض الروم بعد وفاة سابور ذي الأكتاف، ولكنها دخلت ضمن قبائل ربيعة من ولد بكر بن وائل، حيث كان ربيعة عظم

---

1 - مروج الذهب، ج1، ص 379-380.

2 - ينظر ديوان لقيط بن يعمر، تحقيق خليل إبراهيم العطية، (بغداد د– ت)، ص 28.

3 -العبيدي، بنو شيبان، ص 120.

4 - الطبري: ج2، ص 67، كرستنسن آرثر: إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب و عبد الوهاب عزام، (القاهرة، 1957م)، ص 12.

5 - جواد علي: المفصل، ج2، ص 626

شأنها في تلك الفترة وغلبت على السواد، بذلك تكون إياد قد صارت في جملة ربيعة[1]، ويفهم من ذلك أن إياداً لم تتمكن من أن تستعيد مكانتها السابقة، فدخلت في قبائل ربيعة التي هي من بكر بن وائل بعد أن كانت قد كسبت مكانة وسلطاناً في تلك الفترة[2]، ويذكر الدكتور جواد علي أن ذلك يمكن أن يكون بين عامي 383و388م، أي خلال فترة حكم سابور الثالث[3].

الهجرة الثانية:

كانت في حدود القرن الخامس الميلادي، وذلك عندما غادرت تغلب، وهي فرع مهم من ربيعة، منازلها من تهامة بسبب خلاف مع إخوتهم من بكر بن وائل، أدى إلى رحيل التغلبيين، وهم الذين طالما كانوا متزعمين على ربيعة وبيدهم لواؤها، وبعدما تفرقوا ردحاً من الزمن في أماكن متعددة وصلوا الجزيرة الفراتية، كما هاجرت في هذه الفترة أيضاً قبائل أخرى من ربيعة مثل النمر وغفيلة، حيث سكنتا في عانة وتخوم الجزيرة، بينما ذهبت بكر وضبة إلى تخوم السواد وهيت والمناطق المجاورة[4]، ومن الراجح أن تكون تغلب هي أول من نزل الجزيرة من قبائل ربيعة، وتبعها بنو النمر بن قاسط، وقد سكن التغلبيون في سنجار ونصيبين اللتين في ديار ربيعة[5].

الهجرة الثالثة:

إن أضخم هجرة للقبائل الشمالية العدنانية إلى الجزيرة الفراتية هي تلك التي حدثت في أواخر القرن السادس ومطلع القرن السابع لأسباب اقتصادية وخلافات اجتماعية بين بعض بطون وعشائر القبائل العدنانية في شمال جزيرة العرب[6]، فضلا على أسباب وأحوال وعوامل أخرى كثيرة.

3 . أسباب الهجرات:

درج معظم الباحثين والمؤرخين عند حديثهم عن هجرة القبائل العربية من موطنها الأصلي في شبه جزيرة العرب إلى الأقاليم المجاورة على أن يعزوها إلى سببين هما:

---

1 - مروج الذهب، ص 280.
2 - جواد علي: المفصل، ج2، ص 645.
3 - المرجع نفسه، والجزء ص 640.
4 - البكري: معجم ما استعجم، ج1، ص 86، الواقدي، حرب بكر وتغلب، (القاهرة، 1305م)، ص 88-89.
5 - الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص 57
6 -السامر: الدولة الحمدانية، ص 186.

أ ـ **العامل الاقتصادي:** حيث الجدب والجفاف في شبه الجزيرة العربية، يرافقه زيادة في عدد السكان، وهي من الأسباب المهمة للهجرة إلى مواضع أخرى فيها متسع من العيش الأفضل.

ب ـ **العامل الاجتماعي:** أي النزاعات والحروب الداخلية بين القبائل، أو بين أبناء القبيلة الواحدة.

ومع أهمية هذين العاملين فإن هناك أمراً لابد من أخذه في الحسبان، وهو أن الأرض المحيطة بشبه جزيرة العرب تشكل امتداداً طبيعياً لها، وأن سكانها حين ينتقلون من مكان لآخر داخل وطنهم إنما يرحلون إلى أرض وقوم يحملون السمات نفسها، ويتكلمون اللغة ذاتها، ولكن سكان الأقاليم المجاورة ينعمون بحياة أكثر استقراراً وتحضراً، ولهذا فإن سبب الهجرة أحياناً قد يكون حالة وعي مدني، ونزوع حضاري إلى حياة التمدن والاستقرار.

لقد كانت ظاهرة انتقال الجماعات البشرية بأي حجم كان، من الصحراء وحياة المراعي إلى الأراضي الزراعية وحياة المدن، حيث التمدن الاستقرار، ظاهرة عامة في الشرق، وما تتحدث عنه المصادر من وقوع بعض الحروب والصراعات بين القبائل المهاجرة وأهل المنطقة الأصليين، وتحاول أن تصفه بأنه أشبه ما يكون بالغزو، وتبالغ في هذا الوصف، يمكن أن يكون كثيراً حالة طبيعية كصراع أو تصادم بين مؤسستين اجتماعيتين، هما حياة البداوة وتقاليدها وطبائع سكان المدن والحواضر ونمط حياتهم وليس غير ذلك[1]، ولذا فمن الملاحظ بعد كل الهجرات العربية الكبيرة يحدث نوع من التفاعل بين هذين النمطين، وسرعان ما يترك المهاجرون بداوتهم، ويبدؤون حياة الاستقرار، فينتج عن ذلك مدنيات جديدة مزدهرة، تحمل خصائص جديدة، والواقع أن أزهى عصور الهلال الخصيب والحضارات العظيمة التي نهضت فيه هي التي كانت تعقب الهجرات العربية إليه[2].

إن السببين المباشرين لهجرة القبائل العربية إلى الجزيرة الفراتية هما العوامل الاجتماعية، والأسباب الاقتصادية، فضلاً على ما ذكرنا من عوامل حضارية أخرى، وقد

---

1 – أحمد أمين: فجر الإسلام، ط2، (القاهرة، 1933م)، ص 6، (وأصل هذا العداء كما يبدو، هو بين البداوة والحضارة من صراع طبيعي).

2 – صالح أحمد العلي: محاضرات في تاريخ العرب، ط2، (الموصل، 1981م)، ج1، ص 12.

احتلت العوامل الاجتماعية، أي أخبار الحروب والنزاعات الداخلية بين القبائل جانباً كبيراً ومهماً من تاريخ العرب قبل الإسلام، وهي ما اصطلح على تسميتها أيام العرب، والتي أضحت سجلاً من الذكريات للتاريخ البدوي للقبائل، وقد روت المصادر التاريخية أخبار تلك الأيام [المعارك] بشيء من المبالغة مع تضخيم واضح للأحداث، كبر مع تقادم الزمن نتيجة تناقلها شفهياً مدة طويلة، مع ما رافقها من اضطراب تاريخي أو انزلاق زمني، أي اختلاط حدث بآخر، فضلاً على اختلاف هذه المصادر في تحديد الزمن الذي وقعت فيه تلك المعارك، وفي ذكر القبائل التي شاركت فيها.

لقد توزعت القبائل الحجازية العدنانية بعد قدومها إلى أرض الجزيرة الفراتية في مختلف أنحائها، ونظراً إلى كثرتها وغلبتها فقد سميت مناطق الجزيرة نسبة إلى القبائل التي سكنت فيها، فالمنطقة الواسعة التي تمتد من جبل طور عابدين إلى دجلة وحصن كيفا وآمد وميافارقين، وقد تتجاوز إلى سعرت (سعرد) وحيزان وحيني (حاني)، وما يتخلل ذلك من البلاد شغلتها قبيلة بكر[1].

وكانت إياد من أقدم القبائل التي استقرت في الموصل ومناطق أخرى من الجزيرة، كما سكنت بعض قبائلها تكريت[2]، كما سكنت الموصل أيضاً مع بداية حركة التحرير العربية الإسلامية قبائل تغلب والنمر[3].

أما القسم الأوسط من الجزيرة فقد سكنته قبائل عربية أخرى، فكانت رأس العين مساكن للنمر بن قاسط، وفي الرها أقام بنو سُليم، وكانت المناطق المحيطة بحران سكناً لبني تميم وقسم من بني سُليم[4]، أما حران نفسها فقد كان يسكنها بنو هلال وقسم من بني عامر،نمير بن عامر بن صعصعة[5]، والمنطقة الممتدة من رأس العين إلى أذرمة إلى برقعيد كانت سكناً لبعض قبائل تغلب[6]، وسكن سنجار آل بشار[7]، وقد كانت الحضر ومنذ عصر

---

1 - ياقوت الحموي: معجم البلدان ،ج2، ص 636-637.
2 - البكري: معجم ما استعجم، ج1، ص 341.
3 - الطبري: تاريخ الرسل، ج4، ص 35-38،الأزدي: تاريخ الموصل، تحقيق علي حبيبة، (القاهرة، 1967م)، ج1، ص51.
4 - الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص 133.
5 - القلقشندي: صبح الأعشى، ج1، ص341.
6 - الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص133.
7 - القلقشندي: صبح الأعشى، ج1، ص 341-342.

بعيد موطن قبائل تزيد وعشم أبناء حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وبنو عوف بن ريان، وجرم بن ريان وقد كانوا فيها عندما غزا سابور ذو الأكتاف مدينة الحضر[1].

وسكنت حوض نهر الفرات، أي المنطقة الغربية من الجزيرة مختلف القبائل المضرية، وقد سميت ديار مضر، وتشغل المنطقة الممتدة من السهل شرقي نهر الفرات، أي من حران إلى الرقة وشمشاط وسروج إلى تل موزن[2]، وفي هيت سكن من هوازن بنو عامر بن صعصعة[3]، وفي الأنبار وحولها قوم من بكر بن وائل[4]، وكان أعالي الخابور سكناً لبني عقيل، واستوطنت الأقسام الوسطى والدنيا منه بطون تغلب[5].

---

1 - ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، ص ص 636-637.

2 - المصدر نفسه، ج 2، ص 637.

3 - القلقشندي: صبح الأعشى، ج1، ص 340.

4 - المقدسي: أحسن التقاسم، ص 146

5 - الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص 133.

الفصل الرابع

الحـــياة الديـــــنية

أولاً- المسيحية في الجزيرة الفراتية :

شهد إقليم الجزيرة الفراتية انتشاراً واسعاً للديانة المسيحية بعد وقت قصير من ظهورها، وقد وجدت قبل ذلك في الجزيرة أيضاً معتقدات وأديان أخرى كالديانة اليهودية[1] والصابئة[2]، فضلاً على المعتقدات الوثنية المختلفة، ولكنها لم تكن ذات أثر واضح في الحياة الاجتماعية لسكان هذه المنطقة، وذلك لقلة معتنقيها، إذا ما قورنت بعدد الذين اعتنقوا المسيحية، حتى صارت السمة الدينية الغالبة في الواقع الاجتماعي والثقافي للجزيرة، لذلك فإن الباحث سوف يركز في هذا الفصل على دراسة الديانة المسيحية وأثرها في الحياة الاجتماعية والسياسية خلال الحقبة الزمنية التي سبقت ظهور الإسلام.

تذكر المصادر السريانية أن الجزيرة الفراتية من الأقاليم الأولى التي انتشرت فيها النصرانية، ومنذ أيام السيد المسيح عليه السلام، ومع أن هذا الأمر موضوع بحث ونقاش، فليس ثمة براهين قاطعة تؤكد دخول هذه الديانة إلى الجزيرة منذ القرن الأول الميلادي أو تنفيه، إذ لم يتوافر نص كتابي يعود إلى هذا القرن، وعليه فإنه يجري عادة اللجوء إلى التقليد الجاري في الكنيسة الشرقية، وما ذكره المؤرخون السريان من أن الرسل الذين بشروا في منطقة الجزيرة والسواد أربعة، هم توما الرسول ثم أدي وتلميذاه أجاي وماري، وقد تكون هذا التقليد منذ القرن الرابع الميلادي، وازداد تأكيده بمرور الزمن[3]، ويرى معظم المؤرخين أن مار[4] أدي أحد تلاميذ المسيح الاثنين والسبعين[5]، وتلميذه مار ماري

---

1 - تشير المصادر إلى انتشار اليهودية وبحدود ضيقة جداً في إقليم الجزيرة، وتذكر أن بعض ملوك مملكة حدياب كانوا قد دخلوا فيها، (يوسابيوس القيصري: تاريخ الكنيسة، ص 80)، وهناك من يشير إلى تنصرهم منذ القرن الأول الميلادي، (ينظر مراد كامل: تاريخ الأدب السرياني، ص ص43-48.)، ولهذا لم تترك الديانة اليهودية أي أثر اجتماعي في الجزيرة الفراتية في الحقبة التي سبقت ظهور الإسلام.

2 - ديانة مجهولة الأصل، وجدت وسط الجزيرة في مدينة حران، انتشارها محدود، أكثر ما يميزها الاعتراف بخالق هو سيد الأرواح الذي سمي (رب الأرباب)، كذلك كانت هذه الديانة تعترف بمعلمين أشبه بالأنبياء، منهم شيت وإدريس، (عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي، ج1، ص 208)، وجعل أهل الأخبار الصابئة طائفتين، طائفة حنفاء، وطائفة صابئة مشركين،ولكن الذي يفهم من القرآن الكريم أن الصابئة كانت ديناً خاصاً، وأنها طائفة مثل اليهود والنصارى، (جواد علي: المفصل، ج6، ص 702)، ينظر القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص 314.

3 - ألبير أبونا : تاريخ الكنيسة الشرقية من انتشار المسيحية حتى ظهور الإسلام، المطبعة العصرية، ج1، (الموصل، 1973م)، ص 8-9.

4 - مار كلمة آرامية معناها السيد، تطلق على القديسين والبطاركة والأساقفة، برصوم: اللؤلؤ المنثور، ص 502.

5 - إنجيل لوقا : الإصحاح العاشر.

بشرا في الجزيرة والسواد وبلاد العرب وأرض المشرق[1] في المئة الأولى للميلاد، ودعموا رأيهم ببعض النصوص العريقة لكتبة النصارى القدامى في الشرق والغرب[2]، وروى المسعودي[3]: « ... إن أول البطاركة السريانيين الذين نزلوا كرسي المشرق في قديم الأيام بعد صعود المسيح إلى السماء ثلاثين سنة بعد توما أحد الاثني عشر، أدي السليح[4] قبل حدوث الخلاف بين النصارى، وهو أدي بر[5] ماري.. من السبعين».

وإذا كان اتفاق المؤرخين الذين كتبوا بعد القرن الأول الميلادي قد تقرر بشأن قدوم أدي إلى منطقة الجزيرة وبدئه التبشير بالمسيحية منذ القرن الميلادي الأول، فإن هناك بعض الاختلاف في المنطقة[6] التي بدأ فيها بنشر رسالته، واستناداً إلى رواية (رهاويه) التي نقلها وأيدها يوسابيوس[7] الذي كتب تاريخه في مطلع القرن الرابع الميلادي، وملخصها:

أن أبجر ملك الرها الملقب بالأسود (ت نحو 50م) لما سمع بخبر العجائب التي يفعلها السيد المسيح عليه السلام، أرسل إليه رسالة يرجوه فيها أن يحضر إليه ليبرئه من علته، ويعرض عليه في تلك الرسالة أن يقيم معه في مملكته بعيداً عن اليهود الذين يريدون به السوء،

---

1 - ماري بن سليمان: أخبار بطاركة كرسي المشرق، (طبع في رومية الكبرى، 1899م)، ص1-5.

2 - من هذه النصوص، قال ترتلبانس وهو من كتاب من أواخر القرن الثاني: ((أليس بالمسيح آمنت كل الأمم والفرثيون والماديون والعيلاميون والذين يسكنون بين النهرين...))، والمؤرخ يوسابيوس القيصري (263م-339م) يقول: (إن القديس توما بشر بلاد الفرثيين أيضاً لدى عبوره فيها في طريقه إلى الهند)، وذكر ديونسيوس السكندري الذي عاش في أواسط القرن الثالث وجود كنائس قبل عصره بين النهرين، وقال برديصان المتوفى سنة (222م) في كتابه (شرائع البلدان) الذي ألفه نهاية القرن الثاني، وكتبه تلميذه فيلبس نحو سنة (226م): (..إنه منذ القرن الأول كانت الديانة النصرانية قد انتشرت في بلاد بين النهرين والرها، ويقول: إننا حينما وجدنا نعرف بالمسيحيين نسبة إلى اسم المسيح...)، (روفائيل ميناس: الوثنية والمسيحية في المشرق، مجلة المجمع العلمي العراقي العدد الخاص بهيئة اللغة السريانية، المجلد التاسع، (بغداد، 1985م)، ص 274، ينظر لويس شيخو: النصرانية وآدابها، ج1، ص 75 -74، أدي شير: كلدو وآثور، ج2، ص 14، اسطيفان بابكا، أبرشية حدياب في التاريخ، مجلة بين النهرين، العدد 31، (الموصل، 1980م)، ص 273، ألبير أبونا : شهداء المشرق، ج1، (بغداد، 1985م)، ص 11 و بعدها.

3 -التنبيه والأشراف، (ليدن، 1893م)، ص 149.

4 - السليح، كلمة مأخوذة من شليحا الآرامية أي الرسول، (القس يعقوب أوجين منا : دليل الراغبين في لغة الآراميين، (الموصل، 1900م)، ص72.)

5 - بر كلمة آرامية معناها الابن ،القس أوجين منا : دليل الراغبين، ص 79.

6 - من المعروف أن أهم مملكتين كانتا تحكمان في إقليم الجزيرة في القرن الأول الميلادي هما مملكة الرها، (121ق.م-248م)، وملوكها العرب يعرفون بالأباجرة، والرها هي (Edessa)، كما يسميها اليونان، وهي من المدن المهمة والعريقة في الجزيرة، كانت تسمى في عصر السلوقيين (كالوري)، وتأويلها الينبوع الحسن، فاختصر كتبة الآرامية هذه الكلمة، وقالوا (أورهاي)، وسماها العرب (الرها)، وتدعى اليوم (أورفه)، ينظر (روفائيل بابو إسحاق، تاريخ نصارى العراق، ص 40)، والمملكة الثانية هي مملكة حدياب وعاصمتها أربل.

7 - يوسابيوس: تاريخ الكنيسة، الكتاب الأول، الفصل 13، ص 57-62.

فلما وصلت الرسالة إلى السيد المسيح عليه السلام اعتذر عن الذهاب إلى الرها، وكتب إلى أبجر واعداً إياه بأنه سيبعث إليه واحداً من تلاميذه بعد صعوده إلى السماء[1]، وتقول تلك الرواية إنه بعد قيام المسيح أرسل أحد تلاميذه إلى الرها وفاءً بالوعد الذي قطعه، حيث قام توما رسول الشرق بإرسال أدي إلى الرها مسؤولاً عن نشر تعاليم المسيح، وعندما وصلها شفى ملكها أبجر من مرضه، وكذلك أدهش الناس بمعجزاته العجيبة، ومنذ ذلك اليوم سخّرت المدينة لاسم السيد المسيح[2]، واعتنق أبجر النصرانية ديناً منذ ذلك التاريخ، وتبعه عدد كبير من حاشيته وأتباعه، وقام ببناء كنيسة في الرها[3]، ويقال إنه لا الملك أبجر ولا أدي أجبرا أحداً من الناس على الإيمان بالمسيح[4].

يرى الذين يأخذون بتلك الرواية أن النصرانية ظهرت في منطقة الرها في النصف الأول من القرن الأول بعد قدوم أدي وتلميذه أجاي إليها[5]، معززين موقفهم هذا بما ورد في (تاريخ الرها)[6] الذي كتبه مؤرخ مجهول في القرن السادس الميلادي، ويذكر فيه أنه في سنة 201م كان هناك فيضان هائل دمر الكنيسة، وهو إشارة إلى أن النصرانية كانت في الرها قبل ذلك التاريخ، كما يذكر تاريخ إيليا بارشنيايا[7] أن أبراهام[8] قد مات في الجزيرة قبل قيام ملك الفرس سنة 226م، وقد ذكر ميخائيل السوري في تاريخه قائمة بأسماء أساقفة الرها منذ منتصف القرن الأول وحتى الثالث[9].

وهناك رواية أخرى يؤيدها بعض المؤرخين[10]، تقول إن النصرانية ظهرت أولاً في مملكة حدياب، ثم انتقلت بعد ذلك إلى الرها والمناطق الأخرى، وتشير تلك الرواية إلى أن

---

1 – هناك الكثير من الدراسات عن توثيق هذه الرسالة، انظر في ذلك،
Segal، Edassa، PP73-76Ali، J. S.، Op. Cit. PP 285-288..

2 – يوسابيوس: تاريخ الكنيسة، الكتاب الثاني، الفصل 1، ص65-66، ماري بن سليمان: أخبار فطاركة، ص1-5، ألبير أبونا: شهداء المشرق، ج1، (بغداد، 1985م)، ص 12-13.

3 – W. Cureton، Ancient Syriac Documents. P13. W.Budge (Oxford، 1885) p. 109

4 – Cureton، Op.، Cit.، P. 14.

5 – Ali. J.S.، Op. Cit.، pp9-13
بطرس نصري: ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان، مطبعة دير الآباء الدومينكان، (الموصل، 1905م)، ألبير أبونا: شهداء المشرق، ج1، ص12-13.

6– Ed. In the Journal of Sacred Literature and Biblical Record (London، 1864)، Vol.5، P 13.

7 – تاريخ إيليا بارشينايا، عربه وقدم له وعلق عليه الدكتور يوسف حبي، (بغداد، 1975م)، ص 64.

8 – أبراهام، أحد جثالقة كرسي المشرق، بارشينايا: تاريخ، ص 64.

9 – Michael The Syrian، Choroneque de Michel Le Syrien.1st J. B. Chebot (Paris 1905) Vol. 3 PP 393-394.

10 – مشيخا زخا: أساقفة حدياب، ص 185، كرستنسن: إيران، ص 25، مراد كامل وآخرون: تاريخ الأدب السرياني، (القاهرة، 1949م)، ص43-48، منصور دوئيل: جدول أبرشيات كنيسة المشرق وأساقفتها، ترجمة بنيامين حداد، مجلة المجمع العلمي العراقي، هيئة اللغة السريانية، المجلد 7، (بغداد، 1983م)، ص 257.

أحد ملوك حدياب المدعو يزد كان وثنياً، وبعد أن اعتلى العرش سنة 36م اعتنق اليهودية، وكذلك أمه الملكة هيلانة التي وجدت أن ديانتهما الجديدة لم يظهر لها أي تأثير في الدولة، فقررت السفر إلى بيت المقدس، حيث أقامت هناك، وبنت مقبرة بديعة يطلق عليها اسم مقبرة الملوك، وقد اعتنقت النصرانية، وبذلك توطدت الصلة بين مملكة حدياب وفلسطين، ما كان سبباً في انتقال النصرانية إلى هذا الإقليم في النصف الثاني من القرن الأول[1].

ويذكر مشيخازخا صاحب تاريخ أساقفة حدياب[2] الذي عاش في القرن السادس الميلادي أن أدي كان مرسلاً إلى قرى حدياب الجبلية ليبشر بالنصرانية هناك، وأن من الذين عمدهم أدي رجلاً اسمه «فقيدا» تنصر سنة 99م، وأرسله إلى أربل عاصمة حدياب، فصار أول أسقف للنصارى هناك سنة 104م، ويحدد مشيخازخا بداية بعثة أدي في السنوات الأخيرة من القرن الأول، ويذكر أن أدي وماري كانا أول مبعوثين إلى كرخا (كركوك).

إن المؤيدين لهذه الرواية يسندون موقفهم هذا بقولهم إن الرواية (الرهاوية) كانت مأخوذة من أصل سرياني محفوظ في دار المحفوظات الرهاوية، وقد قبلها يوسابيوس[3] المؤرخ، وثبتها في تاريخه المكتوب في بداية القرن الرابع، وأنها قصة اختلقها الرهاويون بعد ذلك من أجل أن يصوروا أن النصرانية نشأت في مدينتهم، وقد ذكروا الكثير من الاستشهادات والأدلة لدعم موقفهم[4] هذا، ثم ينتهون إلى القول إن النصرانية دخلت إلى الرها نحو منتصف القرن الثاني، أي بعد دخولها في حدياب نحو قرن من الزمان، لأن أقدم إشارة إلى بناء كنيسة في الرها ترجع إلى ما جاء في «تاريخ الرها»، وفيه أن الفيضان الكبير الذي أصاب المدينة كان سنة 201م، وقد خرب هيكل كنيسة النصارى، كما أن ابن ديصان[5] الذي ولد في الرها سنة 154م كان قد اعتنق النصرانية في الرها في النصف الأخير من القرن الثاني، ومعنى هذا أنه كانت في الرها طائفة نصرانية ذلك الحين[6].

---

1 – مراد كامل: تاريخ الأدب، ص 44.

2 – أساقفة حدياب، ص 185.

3 – تاريخ الكنيسة، الكتاب الأول، الفصل13، ص59.

4 – راجع مراد كامل، ص44 – 48.

5 – ابن ديصان أو (برديصان) فيلسوف وشاعر مسيحي، ولد في الرها سنة 154م، وسمّي شماساً وقيل قساً، طرح بعض الأفكار الغريبة فنبذته الكنيسة، وتوفي سنة 222م، أشهر مؤلفاته كتاب شرائع البلدان، برصوم: اللؤلؤ المنثور، ص48.

6 – مراد كامل: تاريخ الأدب، ص 48.

من تدقيق تلك الروايات وتحليلها ننتهي إلى القول إن الديانة المسيحية كانت قد وصلت إلى منطقة الجزيرة الفراتية بحدود القرن الأول الميلادي، ومن المعروف أن حواري السيد المسيح وتلاميذه كانوا قد انتشروا في مناطق مختلفة من العالم، ليعظوا الناس بما جاء به الإنجيل[1] في تلك الحقبة، والمخطوطات السريانية تروي تفصيلات كثيرة عن ذلك، فهي تذكر أن أدي كان يبشر في الرها ومنطقة الجزيرة، وبعض هذه المخطوطات تضمنت فصلاً في (تعاليم أدي في الرها)[2]، وهذا يرجح وصول المسيحية إلى الرها في وقت ما من القرن الأول [3]، وليس بمستغرب أن كلاً من المملكتين اللتين كانتا ذات نفوذ آنذاك أرادت أن تنسب إلى نفسها شرف نبذها للوثنية واعتناقها الديانة النصرانية قبل غيرها، وبذلك تعددت الروايات، ولكن من المؤكد أن النصرانية كانت قد انتشرت في تلك المنطقة في أوقات متقاربة من القرن الأول الميلادي.

انتشرت النصرانية في مختلف مدن الجزيرة خلال القرون الأربعة الأولى للميلاد، وكان معظم من اعتنق النصرانية فيها من بقايا الآراميين[4]، وهم العرب القدامى الذين سكنوا المنطقة منذ العصور القديمة، وسموا منذ أول النصرانية «سرياناً»، أي مسيحيين، تمييزاً لهم من بني جنسهم الوثنيين[5]، فلفظة «سريان» لا تعني هنا بطناً من قبيلة أو فخذاً من قوم أو فرعاً من أصل، بل من أدرك النصرانية من العرب القدامى سكان سوريا[6]، ويعلل نولدكه سبب ذلك بقوله: « .. لأن اسم آرام القديم اكتسب أمام اليهودية والمسيحية المعنى الجانبي المكروه وهو وثني .. فإنهم تجنبوه وسموا أنفسهم ولغتهم بالاسم الإغريقي السريان»[7]، أما الأسباب التي دعتهم إلى اتخاذ هذا الاسم دون غيره فهي أن الديانة النصرانية كانت قد نشأت وانتشرت بادئ ذي بدء في بلاد سوريا، وكان الرسل الذين نادوا بها جاؤوا من قلب سوريا، أي سوريين، فصاروا ينسبون إليهم[8]، وقد يعترض

---

1 - يوسابيوس: تاريخ الكنيسة، الكتاب الثالث، الفصل الأول، ص 106، الطبري، ج1، ص ص 602 – 603.

2- Doctrine of Addaeus، In The Journal of sacred Literature and Biblied Record. London، 1858، Vol.7 P 430.

3- J. S. Ali.، Op. Cit.، PP.11-12

4 - الطبري: تاريخ، ج2، ص 20

5 - أقليمس يوسف داوود: اللمعة الشهية، المجلد 1، ط2، (الموصل، 1869م)، ص11-12،البير أبونا: أدب اللغة الآرامية، ص29.

6 - غبريال: الآداب السريانية، ص7.

7 - نولدكة: اللغات السامية، ترجمه عن الألمانية رمضان عبد التواب، دار النهضة العربية،المطبعة الكمالية، (القاهرة، 1963م)، ص 60.

8 - بطرس نصري: ذخيرة الأذهان، ص28.

بعض النصارى الحاليين على إطلاق لفظة (سريانية) على لغتهم، ويقولون إن الاسم الصحيح هو اللغة الآرامية، وهم مصيبون في ذلك مع إطلاق المصادر المختلفة هذه اللفظة على لغتهم، ولعل ذلك يرجع إلى العاطفة الدينية الشائعة آنذاك، والتي دفعتهم إلى تجنب اسم (آرام)، لارتباطه بالوثنية، ففضلوا أن يسموا أنفسهم ولغتهم بالاسم الإغريقي (السريان)، أي السوريين[1].

ثانياً- المسيحية بين القبائل العربية في الجزيرة:

انتشرت الديانة المسيحية بين القبائل العربية بفعل تأثير الرهبان الذين كانوا يعيشون بين أحياء العرب وينتقلون بين ديارهم، حيث أثروا فيهم بطريقة معيشتهم الخاصة وحياتهم النسكية وسلوكهم المستقيم[2]، كذلك انتشرت بفضل ما كان لكثير من المبشرين من علم ومن وقوف على الطب والمنطق ووسائل الإقناع وكيفية التأثير في النفوس، فتمكنوا من اكتساب بعض سادات القبائل، ويروى أن بعض سادات القبائل تنصروا بسبب مداواة الرهبان لهم ومعالجتهم، حتى تمكنوا من شفائهم، أو من المعجزات والبركات الإلهية[3]، فكان ذلك سبباً في دخول الكثير من أتباعهم هذا الدين[4]، كما كان للمزارات النصرانية الكثيرة المنتشرة في الجزيرة أثر واضح في انتشار النصرانية وفي اجتذاب النفوس لما تميزت به من رونق وتنظيم وهيبة وما تقدمه من خدمات وضيافة، خاصة تلك التي كانت بعيدة عن المدن وعلى الطرق التجارية للذين يفدون عليها، ومن أكثر تلك المزارات ذكراً مزارات (مار سرجيس)[5] الكثيرة، لقد كانت تلك المزارات تجذب الزوار، وكان لها الأثر في احتكاك العرب بالنصرانية «مع أن الوثائق لا تسمح لنا بتحديد مقدار تأثيرها الديني الحقيقي فيهم»[6].

إن المصادر المتوافرة في الوقت الحاضر لا تذكر تاريخاً محدداً لانتشار النصرانية بين عرب الجزيرة، ولكن استناداً إلى مصدر مسيحي قديم يذكر فيه أن المسيحية كانت قد انتشرت في الحضر في القرن الأول الميلادي، فقد كتب ابن ديصان (ت222م) ما نصه:

---

1 - جاسم صكبان علي: نصارى العراق، ص 410 .

2 - Sozmen، Op.، Cit.، PP. 55-54

اليعقوبي: تاريخ، ج1، ص 313 .

3 - جواد علي: المفصل،ج6، ص 587.

4 - لويس شيخو: النصرانية وآدابها، ج1، ص 81.

5 - CF.F.NAU، Les Arabes Chrestiens de Mesopstanieer Syrie du VII. Siecle (Paris، 1933)، P.15 .

6 - H. Charles، OP. Cit.، p 35.

«هؤلاء الذين عاشوا في الحضر لا يرجمون اللصوص، ولكنهم في أي مكان وجدوا أنفسهم فالقوانين المحلية لا تجبرهم على التخلي عن تعاليم المسيح»[1].

وكان على أهل الحضر من عرب قضاعة ملك يمتد ملكه في أنحاء الجزيرة، قال عنه عدي بن يزيد[2]:

وأخو الحضر إذا بناه وإذ دجلة تجبى إليه والخابور

وإذا كان النص الذي أورده ابن ديصان صحيحاً فهذا يعني أن القبائل العربية في الحضر كانت قد تنصرت في القرن الأول الميلادي.

روى المسعودي[3] أن عَمْراً بن عدي ملك الحيرة الذي حكم بين (273-300م) كان نصرانياً، ومع أن الطبري[4] يذكر أن ابنه امرأ القيس كان أول من تنصر في عائلته، فإنه في كل الأحوال إذا صح هذا القول فإن ذلك يعني أن بعض القبائل العربية في الجزيرة قد اعتنقت النصرانية قبل هذا التاريخ، لأن دخول النصرانية إلى أرض السواد جاء من منطقة الجزيرة[5].

ونظراً إلى تنصر بعض قبائل عرب الجزيرة الفراتية وبقاء الفرس على المجوسية الوثنية، فقد تعاطفت هذه القبائل مع البيزنطيين في حربهم ضد الفرس المجوس، وقد أشار الطبري إلى انحياز هذه القبائل إلى الإمبراطور المسيحي البيزنطي قسطنطين (309-337م) في حربه ضد سابور ملك الفرس[6]، وقد كانت قبائل تغلب وبكر بن وائل تشكل خطراً كبيراً على الدولة الساسانية ما دفع سابور الثاني إلى تهجير أعداد كبيرة منها من مواطنها في الجزيرة إلى منطقة الخليج العربي ومناطق أخرى[7]، وقد يكون سبب ذلك رفض هذه القبائل للهيمنة الفارسية وللديانة الوثنية المجوسية، حيث ظن ملوك الدولة الفارسية أن اعتناق بعض أعضاء هذه القبائل للمسيحية يشكل تحدياً لسلطتهم وربما انحيازهم لدولة الروم التي تدين بالنصرانية[8]، كما جاء هذا الإجراء لتفتيت وحدة القبائل العربية خوفاً من توحدها ولسهولة مواجهتها منفردة[9].

---

1 – Bardaisan، The Book of the Laws of Countries، ed. H.J.W. Drifver (Essen 1955)p.61 .

2 – الطبري، ج2، ص 50.

3 – مروج الذهب، ج2 ص 66.

4 – تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص 53.

5 – Sozmen، Op. Cit.، p 59.

6 – تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص 59-58.

7 – المصدر نفسه والجزء، ص 57، المسعودي: مروج الذهب، ج1، ص 284.

8 – Ali، J.S. Op. Cit.، p 21..

9 – سيبحث ذلك مفصلاً في الفصل الخامس.

وهناك حوادث أخرى يفهم منها أن بعض القبائل العربية مثل قبيلة إياد كانت على النصرانية في القرن الثالث الميلادي، روى ابن الشجري[1]: إن بني إياد قد بنوا عدداً من الكنائس قبل حكم سابور الثاني (309-379م)، وخلال حربهم ضده أطلقوا على أنفسهم اسم (عباد الله)[2]، وقد وجد الكثير من الأديرة في مناطق القبائل العربية في ديارها الثلاث، فقد بنى بنو إياد مثلاً دير الأعور ودير الجماجم ودير قرة[3]، كما بنى بنو تغلب دير مار سرجيس[4]، وقد بنيت هذه الأديرة في مناطق مختلفة من الجزيرة، في المدن وفي القرى وعلى الطريق التجارية.[5]

وقد ذهب بنو تغلب إلى أكثر من ذلك، حيث نقشوا صورة مار سرجيس على راياتهم، وكانوا يرفعون هذه الرايات في حروبهم ضد أعدائهم[6]، وقال في ذلك الأخطل[7]:

لما رأونا والصليب طالعاً	**ومار سرجيس، وسماً ناقعاً**
وأبصروا راياتنا لوامعا	**كالطير إذ تستورد الشرائعا**
والبيض في أكفنا القواطعا	**خلوا لنا راذان والمزارعا**

وقد استمر العمل بهذه العادات والتقاليد حتى ظهور الإسلام[8] مطلع القرن السابع الميلادي.

وربما وردت أسماء لأساقفة[9] عرب من بني معد وتنوخ وعُقيل، فقد جاء في ترجمة ماروثا أسقف تكريت أنه جعل تحت حكمه ثلاثة أساقفة، كانوا يديرون قبائل العرب[10]

---

1 – هبة الله بن علي: مختارات شعراء العرب، تحقيق علي محمد البجاوي، (القاهرة، 1975م)، ص 3.
2 – البكري: معجم ما استعجم، ص 24، ومصطلح (عباد الله) يعني ((جماعة من قبائل شتى، جمعت بينهم وحدة الدين، ووحدة الوطن، لذلك لم يطلق إلا على نصارى العرب من أهل الحيرة، أما غيرهم من نصارى العرب فلم يشملهم اسم العبادين))، جواد علي: المفصل، ج3، ص 17، وقد أطلقت هذه الكلمة أولاً على من اعتنق النصرانية من أهل الحيرة تمييزاً لهم من غيرهم من سكان المدينة الوثنيين، ثم توسع معنى هذا الاسم ليشمل جميع النصارى، وقد اختلف المؤرخون وعلماء اللغة في سبب هذا الاسم، ينظر في ذلك جاسم صكبان علي: نصارى العراق، ص ص 18 – 20.
3 – البكري: معجم ما استعجم، ج1، ص 69-71.
4 – المصدر نفسه، ج2، ص 600، الشابشتي: الديارات، ص 147-148.
5 – الشابشتي، ص 31.
6 – F.Nau. Op.Cit., p 16.
7 – الأخطل: غياث بن غوث، شعر الأخطل، تحقيق الأب أنطون صالحاني اليسوعي، ط2، (المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1910م)، ص309-310.
8 – J. S. Ali, OP.Cit . p 123.
9 – الأسقف (يونانية الأصل)، مصطلح ديني معناه الرقيب أو الناظر، وهو رئيس الكهنة الذي يتولى تدبير الأبرشية مراقباً من رعيته أمور دينها، جمعها أساقفة وأساقف، (أفرام برصوم: اللؤلؤ المنثور، ص 498).
10 – لويس شيخو: النصرانية وآدابها، ج 1، ص 99 .

من بين اثنتي عشرة أبرشية تحت ولايته،[1] ونظراً إلى وجود عدد من القبائل العربية المسيحية في الجزيرة الفراتية خلال القرون التي سبقت ظهور الإسلام، تقطن في المناطق الحدودية بين الدولتين البيزنطية والساسانية فقد ترك ذلك أثره في تاريخها[2]، وتاريخ المنطقة عموماً نتيجة تداخل العامل الديني بالعوامل السياسية، وهو ما سيبحث بالتفصيل في الفصل القادم.

ثالثاً- المسيحية والتحديات الصعبة:

يجد المتتبع لتاريخ المسيحية منذ أواخر القرن الخامس وطوال القرنين السادس الميلاديين، وحتى ظهور الإسلام مطلع القرن السابع، أن ذلك العصر كان من أصعب المراحل في تاريخها، إذ واجهت جملة من التحديات العصيبة، كان أبرزها:

1- النزاعات الداخلية.

2 - الاضطهاد الديني.

وإذا كانت الديانة النصرانية والنصارى عموماً قد تأثروا وعانوا الأمرين بسبب تلك الأحداث، فإن سكان إقليم الجزيرة الفراتية كانوا الأكثر تأثراً بها، وذلك لسبب معروف جعل هذا الإقليم مسرحاً للصراعات السياسية والعسكرية، ومن ثم الصراعات المذهبية، وفي تلك الفترة ذاتها منذ نهاية القرن الخامس الميلادي وحتى مطلع القرن السابع، وهذا السبب هو أن خط الحدود بين الإمبراطوريتين يمر في منطقة الجزيرة كما أشرنا سابقاً، ومع أن تلك الحدود لم تكن مستقرة أو ثابتة، إذ كانت عرضه للتوسع والضيق تبعاً لقوة أي من الدولتين ونتائج معاركهما على أرض الجزيرة[3].

وكانت مدينة نصيبين هي الحد الفاصل بين مملكتي الروم والفرس في الأكثر، لأنها كانت ساحة القتال والميدان الذي تنشب فيه الحروب بين هاتين المملكتين، فكانت تارة بيد الفرس وطوراً في يد الروم[4].

---

1 - مار أغناطيوس أفرام الأول الأنطاكي: القديس ماروثا التكريتي مفريان تكريت والمشرق 629-649م، المجلة البطريركية السريانية،العددان الرابع والخامس، (دمشق، 1933م)، السنة الأولى، ص 111.

2 - Joshua، The Stylite Op. Cit.، pp 64-45

الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص 58 – 60.

3 - J. S. Op. Cit.، P18.

4 - ماري بن سليمان: أخبار فطاركة، ص 56.

1 . النزاعات الداخلية:

ظهرت الأفكار المتباينة والاجتهادات المختلفة في أمور الدين المسيحي في وقت مبكر من تاريخ هذه الديانة، حيث تبلورت بعد ذلك مذاهب وفرق دينية متعددة، كان طابع العلاقة بينها العداء الشديد والتناحر المستمر، وكان جوهر الخلاف بين المسيحيين في شخص السيد المسيح نفسه، أهو إنسان أم إله؟، أم إله وإنسان؟، أهو من خلق الرب أم هو والرب سواء؟، أم هو منفصل عن الرب؟، كذلك في علاقة الأب بالابن ومكانة السيدة العذراء مريم، وقد أدى ذلك إلى قيام جدل ونقاش كانت نتيجته ظهور شيع وفرق وحركات أحدثت تصدعاً وانقساماً في الديانة النصرانية، وهو ما دفع الكنيسة إلى عقد المجامع [1] الكنسية للنظر في هذه الآراء ومناقشتها وتعيين صحتها أو فسادها، وقد نتج من ذلك انقسام رجال الكنيسة إلى قسمين، كل منهم يدعي أنه صاحب الحق، وما سواه على ضلال وهرطقة، فظهرت المذاهب الشرقية والغربية، وانقسمت الكنيسة على نفسها، وظهرت من الكنيسة الواحدة كنائس[2]، ومما زاد الطين بلة تدخل ملوك القسطنطينية الروم في أمور الدين، وجعلوا أنفسهم قضاة في المعتقدات المسيحية، وكان منهم من يعضد هذا الطرف ويدعمه أو ذاك، وينتمي إليه جهاراً كما فعل قسطنطيوس ووالنسس اللذان ناصرا الأريوسية[3]، وزينون وأنستانس المدافعان عن اليعقوبية[4]، وهرقل الذي دافع عن المنثوليين[5]، وكان أصحاب الآراء والاجتهادات يعقدون اجتماعات

---

1 – تعني كلمة مجامع تلك المجالس التي تضم رؤساء الدين، يتذاكرون فيها شؤون البيعة وشؤون الشعب وترتيب أحوالهما، وفيها يتقرر ما يتفق وروح الدين، ثم يحمله الرسل والمبعوثون إلى متفرق البلاد، ويبلغونه للناس، أحمد عبد السميع محمد : قوانين الملوك، منشورات كلية الآداب، (جامعة القاهرة، 1965م)، ص74.

وتقسم المجامع الكنسية إلى قسمين، الأول المجامع العامة الشاملة لكل الكنائس، وتسمى المجامع المسكونية، والثاني هي المجامع الخاصة، هي إما خاصة بملة واحدة وإما خاصة بإقليم أو منطقة معينة، تضم مذاهب ومللاً كثيرة، ينظر جاسم صكبان علي: نصارى العراق في العصر الأموي، ص 163.

2 – جواد علي: المفصل، ج6، ص 623–624،جاسم صكبان علي: نصارى العراق، ص56–57.

3 – نسبة إلى (آريوس)، وهو قسيس درس في أنطاكية، وظهر مذهبه في الاسكندرية في القرن الرابع الميلادي، وقد أنكر (آريوس) أن عيسى ابن الله ومساوٍ له، جاسم الصكبان علي: نصارى العراق، ص 58.

4 – نسبة إلى يعقوب التلي، (ت 578م)، الذي يعرف باسم يعقوب البرادعي، إشارة إلى الملابس الخشنة التي كان يلبسها عادة، (حزناً على ما يلقاه إخوانه من الاضطهاد)، أوليري: علوم اليونان ص 115، ولد في نصيبين سنة 500م من أسرة دينية، ودرس على يد (ساويروس) الذي صار بطريركاً لأنطاكية سنة 514م، ثم تركها لاختلافه مع رجال الدين فيها في شخص المسيح لقوله بوجود طبيعة واحدة فيه، ومنه أخذ يعقوب هذا الرأي، وصار يعقوب التلي أسقفاً على الرها سنة 514م، لمزيد من التفاصيل ينظر بطرس نصري: ذخيرة الأذهان، ج6، ص 631، جواد علي: المفصل، ج6، ص 631، أوليري: علوم اليونان، ص114–115.

5 – المنثوليون، كلمة يونانية تعني « المشيئة الواحدة »، وأطلقت على فئة نصرانية، قالت في المسيح مشيئة واحدة، (الأب الدكتور بطرس حداد : مقابلة شخصية، كنيسة مار بيثون / البلديات . بغداد، 1987 م).

ليناقضوا المجامع الرسمية[1]، وبذلك دخلت الكنيسة في مرحلة من المشاحنات والخصومات بين مختلف هذه الأطراف، وابتدأ تقهقر المسيحية منذ ذلك الحين في الشرق فترى تاريخ الكنيسة ينحصر كثيراً في تاريخ الخصومات والصراع[2].

من جانب آخر فإن تدخل ملوك الدولة الفارسية في شؤون الكنيسة، كما سيأتي بحثه بعد حين في هذا الفصل، زاد هو الآخر تعقيد الأمور، وتدخلهم هذا في شؤون الديانة النصرانية ودعمهم للمذهب النسطوري[3]، وهم على الوثنية ودين المجوس، لم يكن حباً بالنصارى ودينهم، ولا لقناعة بهذا المذهب أو ذاك، وإنما كانوا يسعون إلى الفائدة السياسية التي يحصلون عليها نتيجة إبعاد سكان هذه المنطقة عن إخوانهم في الدين وراء الحدود الغربية لدولة[4] الفرس، أي الدولة البيزنطية، وهم على مذهب آخر.

لمجمل تلك الأسباب اشتد الخلاف بين سادة النصرانية في تلك الأمور التي ورد ذكرها، وفي أمور أخرى تولدت من دخول الفلسفة اليونانية في صلب التعاليم الدينية، لأن أكثر من دخل فيها كان قد تشرب من مناهل الفلسفة اليونانية. فعقدت المجامع والمؤتمرات، وقد ساهم فيها أساقفة عرب ومن كان يتولى الكنائس التي أقيمت في بلاد العرب، وبهذا تسربت هذه الاختلافات إلى العرب وتمذهبوا ببعض عقائدها، وعلى الأخص المذهب النسطوري والمذهب اليعقوبي[5]، وهما من المذاهب التي ظهرت

---

1 - شيخو: النصرانية وآدابها، ق1، ص 87.

2 - شيخو، ص 86، ولا بد من الإشارة إلى أنه مع تلك الخصومات والمشاحنات فإن القرن السادس الميلادي كان حقاً كما وصفه معظم كتبة السريان العصر الذهبي في تاريخ النتاج الأدبي والفكري للسريان، ينظر برصوم: اللؤلؤ المنثور ص 146.

3 - نسبة إلى نسطوريوس، (381-450م) الذي ولد في جرمانيقي السورية، ثم أقبل إلى مدينة أنطاكية، حيث تلقى العلم، وصار راهباً، واقتبل الدرجة الكهنوتية، وتأثر بتعاليم ثيودوروس المصيصي السائدة في أنطاكية والمناطق المجاورة، وفي 10 نيسان سنة 428 م أقيم بطريركاً على العاصمة البيزنطية تجاوباً مع رغبة الملك، لقد وقع الاختيار عليه وهو دخيل تجنباً لإثارة الروح الحزبية العنيفة السائدة في العاصمة، وكان لا بد من إثارتها، لو وقع الاختيار على مرشح محلي، وبعد فترة من تسلمه منصبه الديني بدأ يطرح أفكاره التي خلاصتها أن مريم العذراء لم تلد الله، ولذا لا يحق لها أن تدعى أم الله أو والدة الإله، مع أن هذا اللقب كان متداولاً في الكنيسة منذ القرن الثالث على الأقل، وفي نظر نسطوريوس ليست الوحدة في المسيح سوى وحدة خارجية، وحدة المقدس مع الشخص الذي يسكنه، ينظر ألبير أبونا: تاريخ الكنيسة، ص 68، أوليري: علوم اليونان، ص 70، كرستنسن: إيران، ص 277.

4 - كرستنسن: إيران ص 278،

5 - يسمى أصحاب هذه المذهب أسماء أخرى أيضاً، منها المنوفستيون والأوطاخيون نسبة إلى أوطيخي، والساوريون نسبة إلى ساويرا أول بطريرك لهم، وهم من القائلين بالطبيعة الواحدة، وكذلك الديوسقوريون، راجع أدي شير، المصدر السابق، ج2، ص 132. شيخو: النصرانية وآدابها، ج1، ص 38. ولا بد من الإشارة إلى أن أصحاب هذا المذهب، مذهب الطبيعة الواحدة يرفضون أن يطلق عليهم أي من هذه الأسماء، ومنها اسم اليعاقبة، ويعدون ذلك انتقاصاً منهم، ويطلقون على كنيستهم اسم الكنيسة السريانية الأنطاكية الأرثوذكسية، راجع، مارأغناطيوس يعقوب الثالث: الكنيسة السريانية الأنطاكية الأرثوذكسية، (دمشق، 1974م).

وانتشرت في المشرق[1]، ووجدت لها مجالاً وانتشاراً في العراق وإقليم الجزيرة الفراتية والشام[2]، لقد شق هذا الانقسام المذهبي طريقه إلى المتنصرين من عرب الجزيرة، فقد قال يوحنا الأفسي في تاريخه السرياني: إن ما جرى بين قبائل العرب المتنصرة من الجدال بسبب المجمع الخلقدوني[3] شتت شمل كثيرين منهم، حتى أصبحوا خمس عشرة فرقة، ومثله ميخائيل الكبير وابن العبري في تاريخهما الكنسي [4]، وكان كل طرف يحاول أن يلقي تبعة هذا الانقسام وسوء التصرف والخروج على جوهر الدين على الطرف الآخر، متهماً إياه بالهرطقة والضلال.[5]

لقد تسابق رهبان كل من النساطرة واليعاقبة إلى عرب البادية، لينشروا بينهم أفكارهم[6]، ونتيجةً لذلك النشاط توزع العرب المتنصرون إلى قسمين، عدل قسم منهم وخاصة القبائل الواقعة شرقي الموصل حتى الخليج العربي إلى المذهب النسطوري، بينما كان القسم الآخر ومقامهم على الأخص غربي الموصل وفي ديار ربيعة وتخوم حلب وحمص وحماه قد تبع اليعقوبية.[7]

لقد أصبحت الرها معقل المذهب النسطوري، وأهم مركز ثقافي للنساطرة، ومن أبرز مراكز الأدب السرياني، وخاصةً في زمن الأسقف إيباس Ibas (436-457 م) الذي انتخب أسقفاً للمدينة بعد وفاة رابولا سنة 436 م، ثم نالت نصيبين مكانة كبيرة في

1 - في هذه الفترة بدأ يتبلور مصطلحان جديدان في الأدبيات النصرانية، هما الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية بعد ذلك الانقسام المذهبي الذي حدث في الكنيسة، وبعد أن كانت موحدة، وقد جاء ذلك الاسم نسبة إلى الجهة التي فيها، فالكنيسة الشرقية تشمل إقليم الجزيرة الفراتية والعراق (السواد) وآثور وفارس وتركستان والهند، ويسمى أهلها المشارقة، والكنيسة الغربية تشمل البلاد التي غرب الفرات، وهي سوريا أو بلاد الشام، ويسمى سكانها المغاربة، ويراد هنا بالمشارقة والمغاربة السريان أنفسهم في الجهة الشرقية أو الغربية من نهر الفرات، وهذان الاسمان تقريبيان، فيراد بالمشارقة الجهة الشرقية من نهر الفرات ابتداءً من حدود سلطة الروم، وهي منطقة نصيبين فنازلاً شمالاً وشرقاً، ويراد بالمغاربة سكان الجهة الغربية لنهر الفرات ابتداءً من حدود مملكة الفرس غرباً، ثم تطور هذا المعنى لاحقاً، فأصبح المغاربة تابعين إلى بطريركية روما، والمشارقة تابعين إلى البطريركيات الثلاث (الاسكندرية و أنطاكية، والقسطنطينية)، راجع، بطرس نصري: ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان، ص 29.

2 - جواد علي: المفصل، ج6، ص 635، جاسم صكبان علي: نصارى العراق، ص 59.

3 - وهو المجمع الذي عقد سنة 451م في خلقدونية بجوار القسطنطينية، والذي أسفر بعد نقاش وجدل مستفيض إلى نقض قرارات مجمع (القسطنطينية449م)، وانشطرت بعد ذلك الكنيسة إلى ثلاث شعب، (أوليري: علوم اليونان ،ص 73).

4 - نولدكه، تيودور: أمراء غسان، ترجمة بندلي جوزي وقسطنطسن زريق، (بيروت، 1933م)، ص 31 .

5 - شيخو: النصرانية وآدابها، ص 101.

6 - المرجع نفسه، ص101.

7 - المرجع نفسه، ص86، جواد علي: المفصل، ص 626-630.

النسطورية بعد وفاة إيباس وانتخاب نونوس أسقفاً للرها[1]، لأن هذا الأخير كان ميالاً إلى رأي البيزنطية كارهاً للنسطورية، لذلك وجد النساطرة ضرورة ابتعادهم عن تأثيرات نفوذ هذا الأسقف إلى مكان يضمن حريتهم واستقلالهم بعيداً عن اضطهاد الروم، فكانت نصيبين هي الموقع المختار، فانتقلوا إليها، واحتلت بعد ذاك مكانة الرها العلمية[2] نفسها، ومن نصيبين انتقلت النسطورية إلى عرب العراق «السواد» وفي مقدمتهم أهل الحيرة، ومنهم انتقلت إلى شبه جزيرة العرب[3].

أما اليعاقبة الذين انتشر مذهبهم في الجزيرة والشام فقد اصطدم مذهبهم هو الآخر بالكنيسة الرسمية البيزنطية، وعدته من المذاهب المنشقة الباطلة الخارجة عن الدين، واتهمته بالهرطقة، كذلك حاربه الحكام البيزنطيون، فاضطهدوا أتباعه وطردوا أسقفهم سنة 518م[4]، في الوقت الذي كان فيه اليعاقبة والنساطرة مختلفين في طبيعة السيد المسيح وكل منهم يحكم بهرطقة الطرف الآخر، ودخلوا في جدل عنيف، تطور بعد ذلك إلى عداء شديد وبغض دفين[5]، وقد تنقل مقر كرسي اليعاقبة في مناطق مختلفة من الجزيرة، وكان كبير أصحاب الطبيعة الواحدة يحمل لقب (أسقف)، وظل هؤلاء الأساقفة يقيمون ردحاً من الزمن في (دير مار متى)[6]، في مدينة الموصل طلباً للسلامة، لأن مذهب الطبيعة الواحدة لم يكن مسموحاً به رسمياً في فارس، ولكنهم بعد ذلك تحولوا إلى مدينة تكريت، وأول من حمل لقب «مفريان»[7] من الأساقفة هو ماروثا (سنة 629م)، وكان المفريان مطراناً[8] يرأس اثني عشر أسقفاً[9]، كانوا يتولون إدارة أبـــرشيات كل من

---

1 - برصوم: اللؤلؤ المنثور ص 208، أوليري: علوم اليونان ص 71 جواد علي: المفصل ج6 ص627.

2 - أدي شير: كلدو وآثور، ج2، ص130، جواد علي: المفصل، ج6، ص 628.

3 - جواد علي: المفصل، ج6، ص 628.

4 - ابن البطريق: التاريخ، ج1، ص194- 201، غبريال: الآداب السريانية، ص 14.

5 - كرستنسن: إيران، ص 277

6 - دير عريق جرى بناؤه في القرن الرابع الميلادي، وصار كرسياً مطرانياً لليعاقبة، وهو كذلك إلى وقتنا هذا، حوى في حقبته الأولى جمعاً غفيراً من الرهبان، وتقلبت به الأحوال، وأنجب الكثير من البطاركة والمفارنة والأساقفة، وهو في مدينة الموصل، وقد جدد بناؤه عدة مرات، (أفرام برصوم: اللؤلؤ المنثور، ص 514)، وآخر مرة جدد فيها بناؤه كانت في مطلع الثمانينيات من القرن العشرين على نفقة الحكومة العراقية وإشرافها، [المؤلف].

7 - كلمة سريانية معناها (المثمر)، وهو اسم لصاحب رتبه كنسية خاصة بالكنيسة السريانية مرادفة للجـاثليق (عند النساطرة)، فهو إذاً دون البطريرك وفوق الأسقف، وكان كرسيه في تكريت، ثم نقل إلى دير مار متى في الموصل، جمعها مفارنة، (برصوم: المرجع السابق، ص 502).

8 - كلمة أصلها يوناني، بفتح الميم وكسرها، والكسر أعم، أصلها (متروبوليت)، ومعناها رئيس العاصمة، يراد به الأسقف أو رئيس الأساقفة المقيم في مدينة كبيرة، جمعها مطارين ومطارنة، (ينظر برصوم، ص 502).

9 - Michael, The Syrian, Op. Cit., Vol. 2, p 313.

مؤرخ مجهول، التاريخ السعردي، نشرة أدي شير، ج2، (باريس، 1918م) ص 543، إسحاق أرملة: جثالقة المشرق ومفارنة السريان، مجلة المشرق، م 22، (بيروت، 1924م)، ص183، 369.

المدن الآتية: باعربايا، وسنجار، ومعلثايا، وأرزون، وكومل، وبارمان، وكرمة، وجزيرة قردو، وبنو هدرا، وفيرشابور، وشهرزور، والعرب التغالبة[1].

إن ظهور الاجتهادات والمدارس الفكرية التي سرعان ما تتبلور إلى فرق ومذاهب حالة تكاد تكون عامة في جميع الأديان على مر العصور، وتأتي نتيجة طبيعية لمسيرة تطور المجتمعات وظهور المستجدات والمتغيرات في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ومن ثم الاختلاف في الآراء بشأنها، وقد تصبح تلك الاجتهادات حالة قوة في المجتمع، عندما يكون ظهورها استجابة طبيعية لتطورات الحياة، فتكون بذلك مبعثاً للإبداع والعطاء، ولكنها كثيراً ما تكون حالة ضعف وسبباً من أسباب الفرقة والتمزق عندما يكون ظهورها مفتعلاً، أو حين تستغل تلك الاجتهادات والاختلاف في وجهات النظر من أطراف معادية لتلك الأمة، تسعى لتعميق تلك الخلافات لأغراض وأهداف غير نزيهة، وقد سعت كل من الدولتين الفارسية والرومية لتعميق شقة الخلاف بين النصارى، وذهبت إلى أكثر من ذلك، عندما مارست الاضطهاد الديني ضد معتنقي المذهب الذي تدعمه الدولة الأخرى.

2 ـ الاضطهاد الديني:

واجه المسيحيون خطراً آخراً، لا يقل ضرراً وأذى عن حالة الانشقاق والتمزق والصراع الداخلي الذي رافقهم قروناً طويلة، فقد واجهوا في ذلك العصر اضطهاداً وعنفاً شديدين من حكام الدولتين الكبيرتين اللتين كانتا تتقاسمان احتلال المنطقة آنذاك، وهما الفرس والروم، فضلاً على تدخلهم في شؤون الديانة المسيحية على نحو سافر، فمع الإمعان في الاضطهاد كان هناك سعي لتعميق شقة الخلافات بين الفرق والمذاهب، وبما يحقق أغراضهما السياسية ومصالحهما الخاصة.

لقد ازداد حجم الاضطهاد الديني للنصارى في ظل سياسة الظلم والتعسف التي مارستها الدولتان الفارسية والبيزنطية في عموم المنطقة التي كانتا تحتلان أجزاء منها، وقد كانت تلك السياسة نتيجة للصراعات والحروب الطاحنة بين الدولتين التي دامت عدة قرون[2].

ومن ممارسات الاضطهاد المعروفة ضد المسيحيين في الجزيرة الفراتية ما قام به الملك الفارسي سابور الأول (**241-272**م) نتيجة لحرب خاضها ضد البيزنطيين، فقد

---

1 – الأنطاكي: القديس ماروثا التكريتي ،مرجع سابق، ص **112**.

2 – ينظر الفصل الخامس من هذا الكتاب.

ألقى القبض على عدد كبير من النصارى العرب في سنجار وبيت عربايا وبيت زبدي، ومن مناطق أخرى في الجزيرة، وأجبرهم على السكن في مناطق أخرى مختلفة[1].

وكان أطول وأقسى اضطهاد للمسيحيين بدأ عام (341م) في عصر سابور الثاني الملقب بذي الأكتاف (309-379م) الذي استمر أربعين عاماً[2]، فقد أثقل سابور على النصارى العرب بالجزية وتأدية ضعف الضرائب المفروضة في ظل تشريعات المملكة، وفتح عليهم أنواع الظلم، وابتكر أساليب مختلفة لإبادتهم[3]، وقد تزامن مجيء سابور ذي الأكتاف إلى الحكم مع إعلان الدولة البيزنطية النصرانية ديناً رسمياً للدولة[4]، ما زاد شكوك حكام الدولة الساسانية بكل النصارى في حدود دولتهم، وأصبح كل نصراني مشكوكاً في ولائه، وربما عدّ جاسوساً للبيزنطيين، وخاصة بعد أن أعلن الإمبراطور البيزنطي قسطنطين أنه الحامي والمدافع عن كل المسيحيين في الدولة الساسانية[5].

ومن الإجراءات التي اتخذتها الدولة الساسانية لمواجهة انتشار النصرانية السريع في دولتهم، والتي باتت تهدد أيضاً معتقداتهم الوثنية، إعلانهم الزرادشتية ديناً رسمياً للدولة[6]، كما أصبح الموبذ[7] مستشاراً للملك ومن أكثر المقربين إليه، وكان له الدور الكبير في التحريض على اضطهاد النصارى لكراهيته لهم وحقده عليهم[8].

وتجدر الإشارة إلى أن اليهود كانوا سبباً في كثير من الاضطهادات التي حاقت بالنصرانية منذ عصرها الأول، فقد كان أول اضطهاد حقيقي للنصارى في روما زمن الإمبراطور نيرون، وكان اليهود هم المحرضين عليه[9]، كما أدّوا دوراً مهماً في تأجيج نار الكراهية ضد المسيحيين العرب في ظل كيان الدولة الساسانية، وكانوا المحرضين على كل ممارسات الاضطهاد التي مارسها سابور الأول، وهو أول من بدأ باضطهاد النصارى العرب في دولة الفرس[10].

---

1 – الطبري، ج2، ص 470–481، الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد: غرر أخبار ملوك الفرس، تحقيق روتنبرغ، (باريس، 1900م)، مؤلف مجهول، التاريخ السعردي، ج1، ص 222.

2 – التاريخ السعردي، ج1، ص 298، باريشنايا، تاريخ، ص 65.

3 – ماري بن سليمان: أخبار فطاركة، ص 10–23.

4 – Sozmen، Op. Cit.، p78.

الطبري، ج2، ص 58، بارشينايا: تاريخ، ص 103.

5 – Sozmen، Op. Cit. pp 55 54.

أدي شير: كلدو وآشور، ج2، ص 160–161.

6 – روفائيل ميناس: الوثنية والمسيحية، ص 267.

7 – الموبذ، قاضي المجوس، ينظر الخوارزمي: مفاتيح العلوم، (القاهرة، 1342هـ)، ص 71.

8 – Sozmen، Op.Cit.،pp59-60.

9 – أوليري: علوم اليونان، ص 55–54.

10 – Sozmen Op. Cit.، pp 59-60.

لقد ذكر عمرو بن متى الطيرهاني أن سابور الثاني أمر بقتل النصارى في بلاد آشور ووادي الفرات والمرج والجزيرة، وقد قتل ما يقارب من مئة ألف، وفي مصادر أخرى نحو تسعين ألفاً[1]، مبتدئاً برؤساء الكنيسة ومن مختلف الرتب من مطارنة وقسس ورهبان، ثم انتقل إلى عموم النصارى، وتعبيراً عن عميق حقده عليهم أمر بعدم دفن الضحايا وإبقائهم تحت الشمس طعاماً للطيور، وأقسم بالنار والشمس أن لا يتوقف عن قتل النصارى حتى يتخلوا عن ديانتهم ويعبدوا الشمس، وقد عمم أوامره تلك على كل أقاليم المملكة[2]، وتشير المصادر إلى أن عدد ضحايا الاحتلال الفارسي لتلك الفترة كان أكثر من ستة عشر ألفاً ممن عرفت أسماؤهم على نحو مؤكد، أما الذين لم تعرف أسماؤهم، فقد عجز الفرس والسريان عن إحصائهم[3]، ومهما يكن لدينا من تحفظ على دقة الأرقام المذكورة عن عدد الضحايا، فهي حتماً تظهر لنا حجم ما عاناه النصارى العرب من سياسة سابور الثاني[4].

لقد أمر سابور الثاني (379م) بقتل الجثاليق ابن بعشمين[5] بعد أن أحس بأنه انتخب سراً، وأمر كذلك بأن لا يقام رئيس للنصارى خلفاً له، وظل كرسي الجثاليق شاغراً مدة سبع وثلاثين سنة، أي حتى وفاة سابور الثاني[6]،كما قام بإلقاء القبض على عدد كبير من النصارى العرب في سنجار وآمد وهجرهم إلى مدينتي تستر و السوس في فارس[7]، لكي يقضي على أي محاولة للتحالف أو اتحاد كلمة القبائل العربية في الجزيرة الفراتية ضد الاحتلال الساساني.

وفي زمن يزدجرد الأول (399-420م) الذي تمكن النصارى في بداية حكمه من الحصول على بعض المكاسب والحرية نجح ماروثا أسقف ميافارقين من إقناع الملك بعقد مجمع عام للأساقفة، وجرى ذلك في سنة 410م، وذلك للتداول في أمور النصارى

---

1 - أخبار بطاركة كرسي المشرق من المجدل، (روما، 1896م)، ص 18.

2 - السعردي، ج1، ص 298-299، بارشنيايا: تاريخ، ص 95.

Sozmen، Op. cit.، p 67.

3- **Sozmen، Op. cit.، p 67.**

4 - **J. S. Ali، Op. Cit.، p 20.**

5 - أو (بربعشمين) الجثاليق، ومعناه ذو الأربعة أسماء، وهو من أهل باجرمي (كركوك)، وكان مشهوراً بالتقى والصلاح ،ماري بن سليمان: أخبار فطاركة، ص21.

6 - **James of Edessa، The chronological Canon، E.W. Books in Zeitschrift der Deutschen Herogenal Andischen Gesellschaft (ZDMG). (Leipzig 1809) Vol. 53، p310.**

7 - الثعالبي: غرر، ص 530.

ومشكلاتهم في ظل الحكم الساساني، ومن أجل توحيد الكنيسة، وافتتح المجمع برئاسة (إسحاق) أسقف سلوقية والمدائن بدعاء علني أجبروا عليه للملك لما حصل عليه النصارى من بعض الاستقلال والحرية في أمورهم الدينية[1]، ولكن يزدجرد سرعان ما انقلب في سياسته وعاد إلى اضطهاد النصارى بقسوة، حتى أمر بعدم انتخاب جاثليق لهم في حياته، ولا حتى بعد مماته[2]، ويبدو أن روح المسالمة التي أظهرها يزدجرد الأول في معاملته للمسيحيين كانت تمليها أحوال وأسباب سياسية[3].

وقد تدخل ملوك الدولة الساسانية في جوهر التعاليم الدينية للنصارى في مواقف كثيرة، ففي فترة رئاسة الجاثليق النسطوري أقاق (485-496م) الذي عاصر فترة حكم اثنين من ملوك الدولة الساسانية هما بلاش (485-488م) وقباذ الأول (488-531م) اضطر إلى اتخاذ قرار إلغاء معنى الرهبنة لرجال الدين، أي التزامهم بالبتولية، وسمح لهم بالزواج بحجة القضاء على ارتكاب الفواحش والسلوك غير الأخلاقي بين رجال الدين[4]، وقد تكون هذه التغيرات في جوهر التعاليم الدينية من أجل تحسين الصورة لديهم، ومجاملة لرجال الدين الزرادشتيين وملوك الدولة الفارسية الذين كانوا باستمرار يعارضون رهبنة رجال الدين النصارى وامتناعهم عن الزواج[5].

وعن فترة حكم قباذ الأول روى يوشع العمودي : لقد رأينا بأعيننا وسمعنا بآذاننا أسر سكان مقاطعات بأكملها وإبعادهم كما أحرق الكثير من الكنائس[6] وهدم، وقد قام قباذ بقتل ما يقارب ثمانية آلاف من سكان مدينة آمد[7]، أما كسرى الثاني (590-628م) فقد تظاهر بالتسامح وحسن المعاملة مع النصارى في بداية حكمه، وذلك إثر تحسن علاقته بالإمبراطور البيزنطي موريقي (582-602م) الذي كان قد وقف جانبه عندما أقصاه قائده بهرام عن الحكم، حيث قام موريقي بمساندة كسرى، وجهزه بالجيوش وأعاده إلى السلطة[8]، ولكنه سرعان ما عاد إلى سياسة أسلافه في اضطهاد المسيحيين وضاعف

---

1 – W. G. Patriarch. Shah and Caliph. (Rawalpindi، 1974) pp 27-36، J. S. Ali.، op. Cit.، p 22.
كرستنسن: إيران، ص257.

2 – بارشينايا : تاريخ، ص 66.

3 – كرستنسن، 258.

4 – ابن الطيب، أبو الفرج عبد الله: فقه النصرانية، (لوقان، 1957م)، ج1، ص 92.

5 – J. S. Ali Op. Cit.، p.23.

6 – Op. Cit.، p.4 Joshua، The Stylite.

7– James of Edessa Op. Cit.، p317.

8 – الطبري، ج2، ص 179–180. الثعالبي: غرر، ص668–671.

عليهم الضرائب[1]، بل إنه أمر بهدم جميع الكنائس في الجزيرة الفراتية وسوريا، واستولى على ممتلكاتها[2]، واتهم جميع النصارى بأنهم جواسيس أو عيون للدولة البيزنطية[3]، وقد منع انتخاب الجثاليق، فظل هذا المنصب شاغراً مدة (17) عاماً[4].

من سلوك كسرى المتذبذب مع المسيحيين يتضح لنا أن روح التسامح والمعاملة الجيدة التي تظاهر بها في بداية حكمه لم تكن إلا تزلفاً لموريقي صاحب الفضل عليه، وأنه كان يضمر الكره والبغضاء لهم[5]، فنراه مرة غاضباً على البطريرك إيشوعياب، ولكنه قرّب الجثاليق سبريشوع وأكرمه[6]، ثم وضع اليد على أموال خلفه غريغور[7]، ومنع انتخاب البطريرك بعد ذلك، وقد اتخذ مقتل موريقي ذريعة لمحاربة الروم، فتقدم نحو الجزيرة الفراتية، واحتل مدينة دارا ثم الرها التي لم تكن وصلتها الجيوش الساسانية من قبل، ومارس الاضطهاد والتعذيب ضد النصارى العرب وغير العرب[8].

ونتيجة لممارسة الاضطهاد والتعسف قام أهالي نصيبين سنة 559م بثورة ضد كسرى الثاني، وقتلوا المرزبان[9] الفارسي[10]، فغضب كسرى لذلك، وأرسل حملة عسكرية كبيرة يقودها ناخورجان، وأمر الجثاليق سبريشوع أن يرافقه مع أساقفة بيت كرماي وحدياب ونصيبين، فأغلق أبناء المدينة أبوابها في وجهه، ولم يفتحوها إلا بعد أن أقسم لهم وتعهد بأنه لن يعاملهم إلا بالحسنى، ولكنه ما إن دخل المدينة حتى نقض وعده، وألقى القبض على أكابر القوم، فعذبهم وعاث وجنوده في المدينة فساداً وتخريباً، وهدموا الدور، ونهبوا ممتلكاتها، وقتلوا عدداً كبيراً من سكان المدينة[11].

---

1 - توما المرجي: كتاب الرؤساء، ترجمة ألبير أبونا، (الموصل، 1966م)، ص 61.
2 - الطبري، ج2، ص 182-183،المنبجي،أغابيوس بن قسطنطين الرومي: كتاب العنوان المكلل بفضائل الحكمة، مطبعة الآباء اليسوعيين، (بيروت، 1907م)، ص 335.
3 - المنبجي: كتاب العنوان، ص 336.
4 - توما المرجي: كتاب الرؤساء، ص 49 ،عمرو بن متى: أخبار بطاركة، ص 52، بارشينايا: تاريخ، ص 68.
5- مؤلف مجهول، التاريخ الصغير، (بغداد 1976.)، ص69.
6 - ماري بن سليمان: أخبار فطاركة، ص 58-59.
7 - التاريخ السعردي، ج2، ص 203، ماري بن سليمان: أخبار فطاركة، ص61.
8 - مؤلف مجهول، التاريخ الصغير، ينظر تعليق المترجم، هامش 1، ص 70.
9 - المرزبان، كلمة فارسية مركبة من (مرز) و (بان)، أي حافظ الحدود، (أدي شير: الألفاظ الفارسية المعربة، (بيروت، 1908م)، ص 45، وتطلق عادة على حكام الأقاليم، كرستنسن: إيران، ص 547.
10 - التاريخ السعردي، ج2، ص 126-127.
11 - مؤلف مجهول، التاريخ الصغير، ص-64.

لقد سعى كسرى إلى اضطهاد النصارى جميعاً من نساطرة ويعاقبة، وإذا كان قد أبدى بعض التسامح مع اليعاقبة فترة من الزمن، فإن ذلك جاء بتأثير زوجته النصرانية شيرين[1]، كما اضطهد معتنقي المذهب الملكاني[2]، وأمر بطرد أساقفتهم من منطقة الجزيرة[3]، وحاول إجبار سكان الرها على ترك مذهبهم الملكاني، وأن يتحولوا إما إلى المذهب النسطوري أو اليعقوبي، وذلك لأن هذا المذهب كان مذهباً رسمياً للإمبراطورية البيزنطية[4].

لم يكن الفرس وحدهم الذين قاموا باضطهاد النصارى العرب في هذه المنطقة، بل إن الروم قاموا بذلك أيضاً، مع أن المعلومات المتوافرة عن سياسة الدولة البيزنطية في منطقة الجزيرة قليلة تقريباً[5]، فقد ذكر أن جوستنيان الأول (**518-527**م) قام باضطهاد النصارى اليعاقبة[6]، كما ذكر أنه في زمن ولاية الجاثليق ماروثا (توفي في القرن الخامس) أخذ الحاكم البيزنطي أسرى من منطقة الجزيرة وبيت عربايا قارب عددهم الأربعة آلاف، من بينهم عدد من الأساقفة[7]، وأن هرقل (**610-641**م) عندما احتل الجزيرة سنة **626**م أمر بقطع أنوف كل من لا يؤمن بالمذهب الملكاني وآذانهم، وصادر بيوتهم وممتلكاتهم، ونهب جنوده ممتلكات الكنائس والأديرة[8].

إن تلك الأساليب والسياسات التي مارستها كلتا الدولتين الكبيرتين آنذاك ضد سكان إقليم الجزيرة كانت جزءاً من سياساتها في عموم المنطقة العربية، والتي اتسمت بالتعسف والاضطهاد، وهي وإن اتخذت طابعها الديني أو السياسي، فإن ذلك العداء كان في جوهره عداءً عنصرياً، يخشى الوجود القومي العربي المتنامي، خاصة في بلاد الشام والعراق اللذين شهدا قيام أول حضارة في التاريخ بناها العرب القدامى، وبذلك اجتهد المحتلون الأجانب في تلك الحقبة لإضعاف العرب وتفتيت وحدتهم بمختلف الوسائل والأساليب،

---

1 - نفسه، ص **74**.

2 - الملكانية، تقول الملكانية إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح، وتدرعت بناسوته، وقد مازجت الكلمة جسد المسيح، كما يمازج الخمرأو الماء واللبن، ينظر الشهرستاني: الملل والنحل، ج**2**، (القاهرة، **1968**م)، ص **27**.

3 - التاريخ السعردي، ج**2**، ص**46**.

Michael The Syrian، Op، Cit.، pp 390-391.

4 - المنبجي: العنوان، ص **225-126**.

5.- J. S.Ali. Op. Cit p 28-29..

6- John of Ephesusl. Ecdisiatical History ed. J. P. Margolliuth (Leiden، 1909) p 2 .

7 - ماري بن سليمان: أخبار فطاركة، ص **21**.

8 - Michael The Syrian. Op. Cit.، Vol. 2، pp. 410-411 .

ومن جانب آخر فإن العرب لم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام تلك السياسة، بل قاوموا ورفضوا هذا الوجود الأجنبي بقوة[1]،حتى إن هاتين القوتين الكبيرتين آنذاك أخذتا تحسبان حسابهم، فنراها تتحالف مع هذا الطرف أو ذاك وتتقرب إلى هذه القبيلة أو تلك ساعية من وراء ذلك إلى تفتيت وحدة الوجود العربي، والحد من بوادر مرحلة النهوض الذي بدأ يتبلور في مطلع القرن السادس الميلادي، والذي سبق انطلاقة حركة التحرر العربية الإسلامية الكبرى بعد قرن من الزمان، حيث عبر فيها العرب من جديد عن نزوعهم الحضاري المتجدد، ونشروا فيه راية العدل والسلام على كل أرض وطئوها من دون انتقاص من قوم أو احتقار لدين أو مذهب، ولم يكرهوا أحداً على أمر، لا يتوافق ومبادئهم الإنسانية التي حملوها.

---

1 - ينظر الفصل الخامس.

الفصل الخامس

الحياة السياسية

أولاً- الصراع الفارسي الروماني قبل الإسلام :

كانت الإمبراطورية الرومانية في القرن الأول الميلادي تسيطر على معظم بلاد أوروبا وإفريقية وآسيا الصغرى، وبلاد الشام وجزء من إقليم الجزيرة الفراتية،وكانت هذه الدولة منظمة ومقسمة إلى عدد من الولايات[1]، ولكنها انقسمت بعد ذلك إلى قسمين، قسم في الغرب وقاعدته روما العاصمة القديمة للدولة، وقسم في الشرق وقاعدته القسطنطينية التي بناها الإمبراطور قسطنطين الأول (273-337م) على أنقاض مدينة بيزنطة القديمة، واستقر فيها سنة330م، وهو الذي أعلن النصرانية ديانة رسمية لدولته[2] .

وظهرت مملكة الفرثيين[3] في الشرق في بلاد فارس (250 ق.م-226 م) وعاصمتها طيسفون (المدائن)، وتوسعت فاحتلت السواد والجزيرة، واستقل عنها عدد من الممالك الصغيرة التي نشأت في زمن الاسكندر المقدوني بعد انتصاره على الفرس[4]، ومن هذه الممالك في إقليم الجزيرة مملكة سنجار وبيت كرماي، ثم أطيح بالدولة الفرثية سنة 226م على يد أردشير بن بابك الملقب بساسان، وقامت الدولة الساسانية على أنقاضها، التي سرعان ما بدأت بتنفيذ سياسة التوسع على حساب جيرانها، ما أدى إلى الصدام مع الدولة الرومانية[5] التي كانت هي الأخرى صاحبة أطماع ومصالح في هذه المنطقة الهامة فكانت الجزيرة الفراتية ميداناً للصدام ومسرحاً للصراع بين هاتين القوتين.

وكان في المشرق عدد من الممالك العربية المستقلة، منها في إقليم الجزيرة الفراتية مملكة الرها التي تأسست 121ق.م، واستمر وجودها قرنين ونصف قرن من الزمان[6]، ومملكة حدياب التي ظهرت بعد قرن من قيام دولة الرها[7]، كما كانت مملكة الحضر التي كان ملوكها من عرب قضاعة، سبق الحديث عنها، حيث استمرت حتى القرن الثالث

---

1 – أدي شير: كلدو وآثور، ج2، ص 1-2 علي جواد : المفصل، ص 126.

2 – السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية، ص 30.

3 – الفرثيون أو البارثيون ويسمون أيضاً الأرشاقيين نسبة إلى مؤسس الدولة (أرشاق)، كما يسمون الأشكانيين، ولغتهم البهلوية (الأشكانية)، طه باقر: مقدمة، ص599.

4 – المسعودي: مروج الذهب، ج1، ط1، دار الأندلس، (بيروت، 1965م)، ص257،روفائيل ميناس: الوثنية والمسيحية، ص 168-169.

5 – جواد علي: المفصل، ج2، ص 228.

6 – Segal, Edessa pp. 9-39.

7 – يوسابيوس: تاريخ الكنيسة، الكتاب الأول، الفصل الثالث عشر، ص 57-62.

الميلادي[1]، وهناك دولة المناذرة في الحيرة، ودولة الغساسنة في الشام، ومملكة تدمر العربية في بادية الشام، هذا باختصار واقع كيانات السياسة في تلك الفترة، ولكن ما موقع هذه القوى العربية في دائرة الصراع الدولي بين القوة الرومانية والساسانية؟، وما مواقفهم من الاحتلال والهيمنة الأجنبية؟، وكيف كانت نظرة تلك القوى الأجنبية إلى العرب وكيف تعاملت معهم؟، وما الأهمية التاريخية والجغرافية لإقليم الجزيرة الفراتية في ذلك الصراع؟، وفي حقبة مهمة من تاريخ العرب، سبقت انطلاقتهم المشهودة لتحرير رسالة السماء السمحاء إلى أرجاء المعمورة ونشرها، هذا ما سيحاول الباحث الإجابة عنه.

منذ أن ظنت الدولة الرومانية أن حدودها الشرقية لن تكون في مأمن من العدوان المباشر من جارتيها الشرقيتين الفرثيين وأرمينية إلا بالسيطرة على بلاد الشام وبقيامها فعلياً سنة 65 ق.م باحتلال سوريا، بدأ عصر جديد في الصراع بين الشرق والغرب، وبدأت سلسلة طويلة من الحروب الطاحنة، امتدت سبعة قرون بين الطرفين، كانت خلالها الحدود بينهما بين مد وجزر، فتتوسع هذه الدولة على حساب تلك، وكان ذلك يتوقف على نتائج المعارك بينهما ومقدار قوة أي من الطرفين، وكان موضع النزاع دائماً ومسرح أحداثه هو ذلك الإقليم بين دجلة وجبال لبنان[2]، أي إقليم الجزيرة الفراتية وشمال سوريا، واستمر الأمر على هذه الحال حتى مطلع القرن السابع الميلادي، عندما حرر العرب المسلمون الشام والعراق والجزيرة، ووحدوا هذه الأرض العربية مع شبه الجزيرة العرب بعد أن دحروا أكبر قوتين في العالم آنذاك.

لقد اعترف الإمبراطور الروماني أغسطس (63 ق.م- 14م) باتخاذ الفرات حداً بين دولته والدولة الفرثية[3]، كما اعترف باستقلال الدويلات العربية المذكورة سابقاً، وتعهد بعدم التدخل في شؤونها، وسارت الأمور على هذه الحال إلى أن جاء إلى حكم روما الإمبراطور تراجان (98-117م) الذي ظن أن الطريق التجاري للإمبراطورية الرومانية مع الشرق عبر بلاد ما بين النهرين هو من الناحية العملية مغلق[4]، لأن ضعف الدولة

---

1 - الطبري، ج2، ص 48-47.

2 - أوليري: علوم اليونان، ص 14، أسد رستم: الروم وصلاتهم بالعرب، ج1، ط1 (بيروت، 1955م)، ص 32.

3 - تسرآن، نيافة الكاردينال أوجين: خلاصة تاريخه للكنائس الكلدانية، ترجمة سليمان صائغ، (الموصل، 1939م)، ص 6، أوليري: علوم اليونان، ص 15.

4 - كان هناك طريقان تجاريان يربطان العراق بالشام، وعبرهما كانت تمر التجارة بين الشرق والغرب آنذاك، الأول هو طريق آشور، الحضر، نصيبين، حيث يسير بمحاذاة الضفة اليمنى لنهر الفرات نحو الخابور، والثاني هو طريق مختصر عبر الصحراء عن طريق دورا مارا بتدمر، ومنذ سنة 92 ق.م ظهرت فكرة التحالف بين الفرثيين والرومان بشأن تأمين هذه الطرق التجارية، إلا أن المصالح المتعارضة حالت دون هذا التفاهم، فبدأ الصدام ثانية بين الجانبين، وشهد الفرات معاركهما الطاحنة، هزم الرومان في آخرها سنة 53 ق.م في منطقة حران، فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية، ص 114.

الفرثية وارتباك أوضاعها الداخلية كان سبباً في عدم نجاحها في كسب القبائل العربية التي تسكن على الحدود بين الدولتين، وكانت صاحبة اليد الطولى والسيادة في المنطقة، فقرر أن يمد نفوذ دولته نحو الشرق، وقام بغزو أرض الجزيرة والسواد(العراق) سنة **115**م، وجعلها تحت سيطرة الإمبراطورية الرومانية[1]، ولكن يبدو أن الثمن الذي دفعه الرومان نتيجة احتلالهم تلك المنطقة كان غالياً، حيث اضطروا إلى الانسحاب منها بعد سنتين فقط، أي بعد مجيء هارديان (**117-138**م) إلى حكم الإمبراطورية الرومانية خلفاً لتراجان، ومن ثم اتخاذ نهر الفرات ثانية حداً للإمبراطورية سنة **117**م، واستمرت الحال هكذا حتى سنة **162**م عندما قاد (فيروس) نفسه شريك ماركوس (**162-180**م) في حكم الإمبراطورية الحملات ضد الأعداء الشرقيين (الدولة الفرثية)، ونجح الرومان في فتح ثغرة في صفوف الجيش الفرثي، وتسللوا إلى إقليم الجزيرة، وحاصروا الرها ودارا ونصيبين، ثم توجهوا إلى المدائن (طيسفون) مركز الفرثيين، ولكنهم اضطروا إلى الانسحاب إلى الجزء الغربي من الجزيرة، وأصبح أمير الرها تابعاً لروما، واستمرت المعارك بين الطرفين في منطقة الجزيرة، ففي عام **194**م قاد سبتيموس نفسه (**193-211**م) الجيش الروماني واحتل منطقة الجزيرة كلها، ولكن الفرثيين استجمعوا قواهم بعد أربع سنوات (عام **198**م)، وهاجموا الرومان في منطقة الجزيرة، حتى وصلوا نصيبين ودمروها، ولكنهم سرعان ما فقدوا كل شيء، وهزموا هزيمة نكراء، كانت السبب في ضعفهم، ومن ثم سقوطهم ومجيء آل ساسان سنة**226**م[2].

قامت الدولة الساسانية الفارسية (**226-636**م) في أعقاب الدولة الفرثية، وقد حكمها ملوك عرفوا بالاستبداد والتعسف، وأظهروا نياتهم العدوانية التوسعية[3] على حساب جيرانهم، فبنوا دولتهم منذ البداية على أساس حربي قوي[4]، لذلك اتخذ الروم موقفاً حذراً لمواجهة تلك التطورات، واختلفت الحال عما كانت عليه العلاقة بالفرثيين[5] ما كان سبباً في بداية مرحلة جديدة من الصراع بين الشرق والغرب، ودار الكثير من المعارك في منطقة الجزيرة وسوريا الشمالية، وقد كشف ذلك مجدداً عن أهمية هذه المنطقة الهامة في احتكاك الشرق والغرب.

---

1 - أوليري: علوم اليونان، ص **15**، إبراهيم شريف: الموقع الجغرافي، ص **251-252**.

2 - أوليري: علوم اليونان، ص **16**

3 - جواد علي: المفصل، ج**2**، ص **626**.

4 - كرستنسن: إيران في عهد الساسانيين، ص **196**.

5 - جواد علي: المفصل، ج**1**، ص **626**، أسد رستم، الروم، ص**44-46**.

وفي سنة 244 م، توقف القتال وأبرمت معاهدة سلام بين سابور الأول والإمبراطور فيليب العربي (204-249م)، نصت بنودها على ترك أرمينية للساسانيين[1]، ولكن الحرب تجددت بعد فترة ليست طويلة، أيام بهرام الثاني 276-293م، تقدمت فيها القوات الرومانية حتى بلغت المدائن، ولكنهم تراجعوا بسبب وفاة الإمبراطور كاروس (282-283م)، وعقد الصلح بين الطرفين سنة 283م، أصبحت به كل من أرمينية والجزيرة تحت السيطرة الرومانية[2].

استمرت تلك المعاهدة قرابة أربعين سنة، ساد فيها السلام بين الدولتين، ولكن طبول الحرب قرعت مرة أخرى، عندما هاجم سابور الثاني (309-379م) الرومان، واصطدم بهم في منطقة الجزيرة سنة 337م، وصمدت قلعة نصيبين الحصينة، واندحر الفرس في معركة سنجار، ولكنهم بعد محاولات الصلح غير الناجحة هاجموا قلعة آمد سنة 359م، وكاد النصر أن يكون من نصيب الرومان، إلا إن مقتل الإمبراطور الروماني جوليان «يوليان» المرتد (361-363م) عجل بعقد الصلح (أمده ثلاثون عاماً)، وأصبحت نصيبين وسنجار تحت الهيمنة الفارسية، وساد السلام إلى حين بين الإمبراطوريتين الكبيرتين،عدا بعض الصدامات والحروب الصغيرة حتى مطلع القرن السادس[3]،حيث بداية مرحلة أخرى جديدة في العلاقات بينهما، سنتناولها الآن بالتفصيل.

تميز القرن السادس الميلادي بازدياد حدة الصراع بين الروم البيزنطيين والساسانيين وقد دارت رحى معارك طاحنة بينهما على أرض الجزيرة، وكان من أسباب ذلك ازدياد حجم كلتا الدولتين وقوتهما وظهور عدد من الملوك الأقوياء[4] الذين عملوا على توطيد سلطانهم[5] واتخاذ عدد من الإصلاحات الإدارية الاقتصادية وبناء قوتهم العسكرية[6]، كما كان السبب المهم لذلك الصراع ما يتميز به إقليم الجزيرة من أهمية في موارده الاقتصادية ومن موقع جغرافي مهم من الناحيتين العسكرية والتجارية.

1 - كرستنسن: إيران، ص 209.
2 - المرجع نفسه، ص 217
3 - المرجع نفسه، ص 223-267، رستم، الروم: ص75.
4 - حكم الدولة الساسانية في تلك الفترة. قباذ الأول، (489-531م)، كسرى الأول، (531-579م)، هرمزد الرابع، (579-590م)، كسرى الثاني أبرويز (590-628م)، أما الإمبراطورية الرومانية فقد كان يحكمها جستين الأول (518-527م)، جستيان الأول، (527-565م)، جستين الثاني، (565-578م)، تباريوس الثاني، (578-581م)، موريس «موريقي» (582-602م)، فوقا (602-610م)، هرقل الأول، (610-614م).
5 - كرستنسن: إيران، ص ص 338-353.
6 - الطبري، ج2، ص 99-103.

استهل القرن السادس الميلادي بالحرب التي نشبت بين الطرفين في شهر آب سنة 502م، وكان سببها المباشر هو رفض الإمبراطور البيزنطي أنسطاس (491-518م) دفع مبلغ من المال، كان مقرراً دفعه سنوياً إلى قباذ الذي كان يدفعه إلى ملك الهياطلة (الهونيين) تجنباً لغاراتهم على الطرق التجارية الممتدة على حدود الدولتين الشمالية[1]، وكان الإمبراطور البيزنطي يأمل فتور العلاقة بين الساسانيين والهياطلة الذين كانوا يشكلون خطراً جدياً على دولتهم[2]، وكان الحدث المهم في هذه الحرب التي بدأها قباذ على الروم استيلاؤه على مدينة آمد في إقليم الجزيرة بعد حصار طويل، وقد عاث فيها فساداً وتخريباً[3]، وسبى أهلها وأمر بتهجيرهم إلى مدينة بنيت جنوب العراق بين فارس وعربستان[4]، سماها رام قباذ، وهي التي تسمى بومقباذ، وتدعى أيضاً أرجان، ولكن أنسطاس أعد جيشاً كبيراً، وحاصر دارا وآمد، وحقق انتصاراً على قباذ الذي هرب إلى نصيبين، ولكن قباذ تحالف مع العرب[5] في المنطقة، وطلب النجدة منهم ما ساعده على تحقيق النصر، واضطر القائد الروماني إلى الانسحاب إلى الرها، وفي سنة 503م أغار قائد بيزنطي آخر بجيش كبير على المنطقة، ولكنه هزم أيضاً، وحاول قباذ احتلال الرها من دون جدوى، فقام بحرق كنائسها، وتوجه نحو الرقة وعاث فيها تدميراً وخراباً، في الوقت الذي كان فيه الروم يحاصرون آمد، وينهبون ما جاورها[6]، وقد نجحت القوات الرومانية بإلحاق الهزيمة بالجيش الساساني سنة 504م والاندفاع نحو الأراضي التي كانت تحت السيطرة الفارسية ما اضطر قباذ إلى طلب السلم سنة 506م[7].

تجددت الحرب بين الطرفين سنة 527م، وذلك عندما قام الإمبراطور البيزنطي جيستان (527-565م) ومنذ أيامه الأولى بتقوية الحصون والقلاع التي على الحدود في إقليم الجزيرة، وكان تحصينه لمدينة دارا الخاضعة لحكم الروم آنذاك المجاورة لمدينة

---

1 - لمزيد من التفاصيل ينظر

Joshua، The Stylite، Op. Cit.

فقد عاصر أحداث الحروب ووصفها وصفاً دقيقاً.

2 - أدي شير: كلدو وآثور، ج2، ص 162.

3 - ابن البطريق: التاريخ المجموع، ص 192.

4 - الطبري، ج2 ص 94، ويذكر الدينوري أنه احتل آمد وميافارقين وهجّر أهلها، أبو حنيفة أحمد بن داوود الدينوري، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة جمال الدين الشيال ط1، (القاهرة، 1960م)، ص66.

5 - ويرجح أسد رستم أنه تحالف مع النعمان الثاني (النعمان بن الأسود)، الذي قضى مدة حكمه في إقليم الجزيرة وسوريا يحارب الروم، وتوفي سنة 504م في أثناء حصار الرها، (الروم، ج1، ص 136).

6 - أدي شير: كلدو وآثور، ج2، ص 163

7 - كرستنسن: إيران، ص ص 347-353.

نصيبين الخاضعة للسيطرة الفارسية سبباً مباشراً لقيام تلك الحرب التي لم يحقق فيها أي من الطرفين نتيجة مهمة مع انتصار البيزنطيين سنة 503م[1]. إضافة إلى ذلك ـ كما يرى كرستنسن ـ كان سبب قيام تلك الحرب هو أن قباذ الذي أراد أن يظهر تمسكه بالزرادشتية ديانة رسمية لدولته قد أجبر أهل جورجيا النصارى على قبول الدين والمراسيم الزرادشتية، وحرم عليهم دفن موتاهم، وأوجب عليهم أن يعرضوها للشمس وفقاً للشعائر الإيرانية، ما دفع ملك جورجيا التابع للساسانيين إلى أن يستنجد بالإمبراطور البيزنطي الذي يعدّ نفسه حامياً للنصرانية ما كان سبباً في قيام تلك الحرب[2]،بينما يرى دوفال[3] أن الداعي لتلك الحرب كان بسبب رفض جيستنيان خليفة أنسطاس في عرش الإمبراطورية البيزنطية دفع الجزية السنوية التي طلبها منه قباذ، ما دفعه إلى التحالف مع العرب في إقليم الجزيرة والطلب منهم غزو الحدود البيزنطية.

ومهما تعددت أسباب تلك الحروب فقد كان وراءها دوافع سياسية ومصالح اقتصادية، وربما اتخذت أحياناً غطاءً دينياً، فإن هدفها بالنتيجة إحكام الهيمنة على تلك المنطقة الغنية المهمة.

انتهت الحرب بموت قباذ ومجيء كسرى أنو شروان (531-579م) إلى حكم الدولة الساسانية الذي عقد الصلح مع الروم في أيلول 532م، ولكنه ما إن وجد جيستنيان مشغولاً في حروبه ضد البرابرة في غرب الإمبراطورية البيزنطية[4] حتى أعلن الحرب ضده سنة 540م، فجهز جيشاً، «وسار حتى أوغل في بلاد الجزيرة، وكانت إذ ذاك في يد الروم فسيطر على مدينة دارا ومدينة الرها ومدينة قنسرين ومدينة منبج ... حتى انتهى إلى أنطاكية فأخذها» [5]، وقد قام كأسلافه بممارسة أسلوب التفتيت والتهجير للقبائل العربية خوفاً من وحدتها ومن بقائها بعيدة عن مركز الإمبراطورية، وما يترتب على ذلك من خطر على الدولة المحتلة، فقد قام بنقل أعداد كبيرة من أهل أنطاكية وأسكنهم في مدينة قرب المدائن بناها لهذا الغرض سميت الرومية[6] .

---

1 - فتحي عثمان: الحدود الإسلامية، ص 117.

2 - كرستنسن، إيران، ص 343

3 - Daval، R.. Histoire Politique Religieuse et Litte'raim d' Edessa Jusqu'a la Premie're Ccroisade (Paris، 1892) pp. 199-200. أدي شير: كلدو وآثور، ج2، ص 163.

4 - شير أدي، كلدو وآثور، ج2، ص 180، العريني، الدولة البزنطية، ص 75.

5 - الدينوري، الأخبار الطوال، ص 69.

6 - المصدر نفسه والصفحة، الطبري، ج2، ص 102، المسعودي، مروج الذهب، ج1، (دار الأندلس، ط1، بيروت، 1965م)، ص291-192، ابن البطريق: التاريخ، 208.

استمرت تلك الحروب حتى عام 546م، وظلت الأمور كما هي عليه، ولكن النزاع تجدد ثانية سنة 576م، وكان مسرحه أرض الجزيرة أيضاً، وسببه أن المجوس حرضوا كسرى أنوشروان على أن يجعل النصارى العرب مجوساً مثلما يفعل ملك الروم في أن يجبر جميع الذين في مملكته على أن يكونوا على مذهبه، فقبض المجوس على ثلاثة أساقفة في الجزيرة، وقتلوهم وهدموا الكنائس، وبدؤوا يبنون معابد للنار، فقاومهم النصارى وقتلوا المرزبان الفارسي، وحاصر الروم نصيبين، ثم رفعوا الحصار عنها بعد أن احتل الفرس مدينة دارا، وعقد الصلح بين الروم والفرس سنة 574م، ولكن المعارك تجددت بإغارة الفرس على إقليم الجزيرة سنة 577م، ونهبوا وأحرقوا مدن دارا ورأس العين وميافارقين والرها وحران[1]، وفي عام 579م نفسه مات كل من الإمبراطور البيزنطي جستين الثاني والملك الساساني كسرى أنوشروان في الوقت الذي كانت تجري فيه مفاوضات الصلح بين الطرفين[2] التي عمل هرمزد الرابع (578-590م) على إخفاقها، عندما تولى عرش المملكة الساسانية من بعد كسرى[3]، واستؤنفت الحرب بين الطرفين عندما أرسل قائده أذرماهان إلى إقليم الجزيرة، حيث حاصر الرها وأحرق جميع الكنائس والأديرة والقرى التي في ضواحيها، ولكنه هرب أمام الجيش البيزنطي الذي كان يقوده موريقي إلى مدينة الرقة، حيث لحقه وانتصر عليه هناك[4]، وفي عام 581م حمل موريقي على مدينة أرزون وأحرقها، وسبى خلقاً كثيراً من أهلها، ونقلهم إلى جزيرة قبرص، ولعل النساطرة في هذه الجزيرة كان أصلهم من هؤلاء الأسرى[5].

وفي عام 582م توج موريس (موريقي 508-602م) ملكاً على بيزنطة، ومنذ ذلك الحين حقق الفرس بعض الانتصارات على الروم في سنوات 586-589م، وتمكنوا من السيطرة على مدن أرزون وميافارقين[6]، وحدث تطور جديد في العلاقة بين الدولتين نتيجة الأحداث التي شهدتها الدولة الفارسية والصراع على العرش بين الملك هرمزد وقائد جيشه (بهرام) وولي العهد كسرى بن هرمزد، وقد انتهت بلجوء الأخير إلى موريقي ملك الروم الذي عجل باستغلال هذا الوضع، فأسنده وجهزه بجيش كبير أعاده إلى عرش

---

1 – Bar-Habraeuus، The Chronography، Trans، W. Budge (London1932) p.82.

أدي شير: كلدو وآثور، ج2، ص 198-199.

2 – كرستنسن: إيران، ص 359.

3 – نفسه، ص 427.

4 – ماري بن سليمان: المصدر السابق، ص55 ،أدي شير: كلدو وآثور، ج2، ص 204.

5 – التاريخ السعردي، ج2، ص 60، ماري بن سليمان: المصدر السابق، ص 55

6 – ابن البطريق: التاريخ، ص 76، أدي شير: كلدو وآثور، ج2، ص 204

الدولة الساسانية[1]، وكان موريقي يطمح من وراء ذلك الموقف إلى أن يحصل على بعض المكاسب في أكثر المناطق أهمية، وهي إقليم الجزيرة، وفعلاً أبرم كسرى سنة 591م معاهدة مع البيزنطيين، تنازل فيها عن المناطق التي احتلها في الإقليم الشرقي من الجزيرة، ومن ذلك مدينتا دارا وميافارقين، ولم تنطو المعاهدة على شرط الجزية الذي كانت تدفعه بيزنطة لفارس[2].

وبعد سنوات حدث تطور آخر داخل الدولة البيزنطية أثّر في العلاقات بين الدولتين، فقد حدث صراع على العرش البيزنطي، وقتل على إثره فوكاس (فوقا 602-610م) الملك موريقي (582-602م)، فكان ذلك سبباً تذرع به كسرى لإعلان الحرب على البيزنطيين[3]، فأغار على دارا، وحاصرها تسعة أشهر، ثم اقتحمها سنة 604م، وكانت الجيوش الفارسية بعد أن استولت على ميافارقين وآمد عبرت نهر الفرات سنة 607م، واحتلت منبج وقنسرين وحلب وأنطاكية.

وفي سنة 609م جرى الاستيلاء على الرها، وعومل أهلها بقسوة، ومع أن هرقل طرد فوقا (610-641م) من العرش إلا أن الحرب استمرت، وغزت الجيوش الفارسية جهات من آسيا الصغرى ودمشق وبيت المقدس، واستولوا على خشبة الصليب المقدس، وبعثوا بها إلى المدائن[4]، وكان كسرى قد بلغ أوج قوته آنذاك، أي بحدود سنة 615م[5].

ومن الأمور التي يسرت على كسرى احتلال الجزيرة والشام وفلسطين ما كان يسود تلك المناطق من أحوال مضطربة، ومن فرقة وانقسام بين سكانها، شجعت عليه الأنظمة الحاكمة المستبدة، إضافة إلى الاضطهاد الديني، فالمعروف أن معظم السكان ولاسيما بالشام لم يدينوا بالمذهب الأرثوذكسي الذي يجد التأييد من الحكومة البيزنطية، وعُرِّض النساطرة ثم المونوفيزيتون في الشام وفلسطين للاضطهاد من الحكومة البيزنطية، فلربما كان السكان يأملون ببعض التسامح معهم من الفرس عبدة النار نكاية بالبيزنطيين أعداء النسطورية.

---

1 - مؤلف مجهول، التاريخ الصغير، ص 56-54. الدينوري: الأخبار الطوال، ص85 . 105 .
2 - كرستنسن: إيران، ص 428 ،أدي شير: كلدو وآثور، ج2، ص 206، العريني: الدولة البيزنطية، ص 105 .
3 - مؤلف مجهول، التاريخ الصغير، ص 70، (انظر هامش المترجم1).
4 - الطبري، ج2، ص 181-182، الدينوري، الأخبار الطوال، ص 106، ابن العبر: تاريخ مختصر الدول، ص155.
5 - كرستنسن: إيران، ص341.

لقد استطاع هرقل أخيراً أن يوقف التقدم الفارسي، وابتداءً من سنة 623م أخذ يستعيد السيطرة على الأقاليم التي اغتصبها الفرس[1] كلها، وعاثوا فيها فساداً وقتلاً وتخريباً، وتقدم في إقليم الجزيرة والموصل، وسار نحو المدائن، واستعد لحصارها، ولكن كسرى غادرها هارباً، وقد قتل بعد فترة قصيرة، وجاء من بعده قباذ الثاني سنة 628م الذي حكم ستة أشهر فقط[2]، ولم يلبث أن عقد الصلح مع هرقل، وعادت المناطق كلها، ومنها إقليم الجزيرة التي كان يحتلها كسرى إلى عاصمته بيزنطة بعد غياب عنها بسبب تلك الحروب دام ست سنوات[3]، وقد ظلت الأوضاع على هذه الحال حتى وصول جيش التحرير العربي الإسلامي إقليم الجزيرة سنة 639م.

ثانياً- الموقف العربي من الصراع والاحتلال :

في خضم تلك الأحداث السياسية والفترة المضطربة التي شهدت الصراع بين الروم والفرس وجد العرب أنفسهم غير بعيدين عن دائرة الصراع، فقد احتكوا بسياسة كلتا الدولتين سواء في الشام أم العراق وفي مناطق أخرى حتماً، وقد شكل إقليم الجزيرة محور ذلك الصراع، وكانت في الوقت نفسه منطقة الاحتكاك المباشر بين سياستين، تحركهما مصالح كثيرة وحضارتان وديانتان مختلفتان، فكيف تعاملت هذه القوى مع العرب في المنطقة؟، وما هو الموقف العربي منها؟.

الموقع الاستراتيجي للجزيرة الفراتية فرض على الساسانيين والبيزنطيين التعامل مع العرب والسعي إلى استرضائهم، ووضعوا لهم حساباً خاصاً في التعامل، فإضافة إلى أن لكلتا الإمبراطوريتين حدوداً واسعة وطويلة معهم، وأن هناك قبائل عربية ذات شأن كانت

---

1 - وقد وعد القرآن الكريم بذلك النصر، فيقول الطبري: إن سورة الروم نزلت في كسرى ملك فارس، وملك الروم هرقل، ويقول إن قول الله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۞ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۞ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۞ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۞ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ إن الروم وفارس اقتتلوا في أدنى الأرض يومئذ أذرعات، بها التقوا، فهزمت الروم، فبلغ ذلك النبي ﷺ وأصحابه، وهم بمكة فشق عليهم، وكان النبي ﷺ يكره أن يظهر الأميون المجوس على أهل الكتاب من الروم، وفرح الكفار بمكة وشمتوا، فلقوا أصحاب النبي ﷺ، فقالوا: إنكم أهل الكتاب، والنصارى أهل كتاب ونحن أميون، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم، فأنزل الله ﴿ الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾ إلى ﴿ وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۞ ﴾، فخرج أبو بكر الصديق ﷺ على الكفار، فقال : أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا، فلا تفرحوا ولا يقرن الله أعينكم، فوالله ليظهرن الروم على فارس، أخبرنا بذلك نبينا، الطبري، ج2، ص 184، ينظر مفصل تفسير الآية تفسير الطبري، ج2، ص 13 (طبعة بولاق).

2 - الطبري، ج2، ص182-183.

3 - كرستنسن: إيران، ص 478، العريني: الدولة البيزنطية، ص 127.

تسكن في المناطق الهامة وعند الحدود بين الدولتين[1]، فإن هناك سوابق تاريخية ومواقف عربية في تحدي هاتين القوتين والوقوف ضد تعسفهما، أقنعت كلاً منهما بأن يتعامل مع العرب على نحو خاص، وأن يحترم استقلاليتهم وخصوصيتهم القومية، وسنشير إلى بعض تلك المواقف العربية قبل التطرق إلى الأساليب والسياسات التي مارستها هذه الدول للحيلولة دون وحدتهم ونهوضهم، في الوقت نفسه الذي كانت تسعى فيه باستمرار للتحالف معهم وخطب ودهم بكل الوسائل تفادياً لخطرهم عليها.

إن أبرز تلك المواقف العربية التي ظلت راسخة في ذهن من حكم الدولتين الكبيرتين طوال فترة وجودهما، وعبرت عن النزعة الاستقلالية وروح الإباء التي يتصف بها العربي ورفضه للاحتلال والهيمنة الأجنبية ما كان من موقف لملكة الحضر العربية بوجه أرديشر الأول (226-241م) ومقاومته بقوة عندما أراد التجاوز عليها[2]، وكذلك تحديها لسابور الأول (241-272م) الذي لم يرق له ما كان يتصف به ملكها الضيزن من نفوذ وأن ملكه قد بلغ الشام، وتطرف بعض السواد، وأصبح ملك كل أرض الجزيرة، فتقدم سابور بجيوشه، وظل مرابطاً أمام حصونها طوال أربع سنوات من دون أن يحقق أي شيء، وبعد دفاع مجيد من عرب الجزيرة للمحافظة على دولتهم ووجودهم لم يتمكن سابور من اقتحامها إلا بعد أن تعاون معه بعض الخونة، وبهذا الصمود يفخر الشاعر عمرو بن الجدي بن حلوان القضاعي[3]:

لقيناهم بجمع من علاف وبالخيل الصلادمة الذكور[4]

فلاقت فارساً منا نكالاً وقتّلنا هرابذ شهزور[5]

دلفنا للأعاجم من بعيد بجمع كالجزيرة في السعير

وكان سابور قد أصابه الزهو والغرور بعد انتصاره على الإمبراطور الروماني فالريانوس، وفي طريق عودته إلى بلاده استخف بأذينة ملك تدمر العربي، وتقصد إهانته، ولكن أذينة لقنه درساً مهماً في السلوك عندما جمع ما لديه من قوة، وأسرع فباغت الجيش الساساني، وأوقع فيهم الرعب والفزع[6]، واضطرهم إلى الارتداد إلى وراء

---

1 - جواد علي: المفصل، ج2، ص 626.

2 - كرستنسن: إيران، ص 208.

3 - الطبري، ج2، ص 47-48. الثعالبي، ص 492.

4 - هو علاف بن حلوان بن قضاعة، وإليه تنسب الخيل العلافية، والخيل الصلادمة القوية الشديدة، (الطبري، ج2، ص 48.

5 - الهرابذة سدنة بيوت النار المجوس، (كرستنسن: إيران، 548)

6 - جواد علي: المفصل، ج2، ص 634.

نهر الفرات بعد تكبيدهم خسائر فادحة، وحرر الكرخ ونصيبين، وامتد سلطانه إلى الشام حاكماً مستقلاً فيها، حتى إن الإمبراطور الروماني جالينوس أطلق على أذينة لقب (الإمبراطور)، وقد استمر الساسانيون في محاربة تدمر بغية الثأر والانتقام حتى سنة 265م من غير جدوى، إذ قتل أذينة من دون أن يتمكن سابور من أخذ الثأر منه، وقد استولت أرملته الزباء من بعده على مقاليد الحكم وصية على ابنها وهب اللات الذي أراد أن يستقل نهائياً عن الإمبراطورية الرومانية، إلا أن الرومان هاجموا تدمر بجيش قوي، وخربت المدينة بعد دفاع مجيد نظمته الزباء عنها[1].

ومن مواقف الرفض الأخرى التي وقفها بعض العرب آنذاك ضد سلطان الفرس ودولتهم موقف قبيلة إياد، لما اتصفت به من مكانة وسيادة، سواء في سواد العراق أم في الجزيرة، وهو موضوع سبق الحديث عنه[2]، وكان من الأسباب التي دفعت سابور ذا الأكتاف إلى الانتقام من العرب ما كان للقبائل العربية من سلطان كبير داخل كيان الدولة الفارسية، حتى إنها كانت تتدخل في الأمور الداخلية للدولة، لذلك نراه ما إن اشتد سلطانه حتى بدأ يضرب هذه القبائل في كل المناطق، ووصل إلى ديار بكر وتغلب في أرض الجزيرة وعلى الحدود مع الدولة البيزنطية[3]، وقد جاء رد الفعل العربي عنيفاً ضد سابور إذ انتهز العرب الفرصة للانتقام منه على ما كان من قتله للعرب، فاجتمع على ما ذكره الطبري[4] مئة وسبعون ألف مقاتل عربي، وتحالفوا مع لليانوس (جوليان 361-363م) ملك الروم لقتال سابور، فقاتلوه وفضّوا جمعه، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وهرب سابور فيمن بقي من جنده، وسيطر لليانوس على المدائن عاصمة سابور، وظفر ببيوت أمواله وخزائنه فيها، وقد كان سبب تحالف العرب مع الروم ما لاقوه من تعسف وظلم من سابور، فأرادوا بذلك الانتقام من الفرس والأخذ بالثأر من سابور عند أول فرصة، وفعلاً فقد لقن درساً حمله على تغيير سياسته تجاههم، وحاول التقرب إليهم واسترضاءهم بعد[5] ذلك، وفي الوقت نفسه فإن العرب بعد أن حققوا انتصارهم هذا ووجدوا أن الإمبراطور البيزنطي أراد من تحالفه معهم فرض سيطرته عليهم تركوه وانقلبوا عليه، وألحقوا به خسائر كبيرة[6].

---

1 - كرستنسن: إيران، ص 213-217.
2 - ينظر الفصل الثالث من هذا الكتاب.
3 - الطبري، ج2، ص 57
4 - تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص 59-58.
5 - جواد علي: المفصل، ج2، ص 643.
6 - المرجع نفسه والجزء، ص624.

وأخيراً لابد من الإشارة إلى ذلك الموقف القومي الذي اتخذه النعمان بن المنذر (585-613م) في تحدي الدولة الساسانية، إذ كان يعبر عن تبلور في الوعي القومي العربي آنذاك، كما كان يمثل مرحلة جديدة في حياة العرب، وانعطافاً خطيراً في تاريخ العلاقات العربية الساسانية التي شهدها القرن السادس الميلادي، حينما تحدى ملكهم وأمته، ووضع العرب وما يتصفون به من الكرامة وإباء النفس وعفتها في موقعها المعتاد، فلقد تأكد للنعمان حقيقة مواقف الدولة الساسانية المناهضة للعرب، في الوقت نفسه الذي كانت فيه قوة القبائل العربية في تعاظم مستمر، تجسد خلال وحدتها وازدياد وعيها القومي، لذلك اختط لنفسه سياسة جديدة لا تنسجم والمصالح الساسانية بالتأكيد.[1]

فبعد أن لمس النعمان أن كسرى كان يحاول الاستخفاف بالعرب، ويضمر لهم شراً للغدر بهم بعد لقاء جمعهما أرسل إلى رؤساء القبائل العربية[2]، واستقبلهم في قصره في الحيرة وخاطبهم:

«قد عرفتم هذه الأعاجم وقرب جوار العرب منها، وقد سمعت من كسرى مقالات، تخوفت أن يكون لها غور، أو يكون إنما أظهرها لأمر أراد أن يتخذ به العرب خولاً كبعض طماطمته في تأديتهم الخراج إليه، كما يفعل بملوك الأمم الذين حوله».

وأخبرهم بما دار بينه وبين كسرى من حوار يثير الريبة ويدعو إلى الحذر، [3] وكان النعمان قد أوصاهم عندما أشار إليهم بالتوجه إلى كسرى لمقابلته: «...وإذا دخلتم نطق

---

1 – كستر: الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية، ترجمة الدكتور يحيى الجبوري، دار الحرية للطباعة، (بغداد، 1976م)، ص 42.

2 – كان وفد القبائل العربية يتكون من أكثم بن صيفي وحاجب بن زراره: (من تميم)، والحارث بن عباد وقيس بن مسعود (من بكر بن وائل)، وخالد بن جعفر وعلقمة بن عامر بن الطفيل (من عامر بن صعصعة «مضر»)، وعمر ابن شريد (السلمي)، وعمرو بن معد يكرب (الزبيدي)، والحارث بن ظالم (المري)، وهو ذات الوفد الذي بعثه النعمان لمقابلة كسرى، (ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج1، ص 10، ويلاحظ في تشكيلة هذا الوفد أنه يمثل سادة أكثر القبائل العربية شأناً، سواء في السواد أم الجزيرة (تميم، وربيعة، ومضر، وسليم...وغيرها) وأن ذلك الموقف العربي المؤيد لموقف النعمان لا يمكن أن يقتصر على القبائل التي في السواد لقربها من الحيرة، وإنما كانت القبائل العربية في العراق والجزيرة وشبه جزيرة العرب في تواصل وتمازج مستمر، لم ينقطع يوماً ما، (انظر في ذلك شكري فيصل، المجتمعات الإسلامية، ص 22، كستر: الحيرة ومكة، ص 42 وما بعدها)، وإن هذا التواصل والتفاعل تدعمه شواهد تاريخية كثيرة، وإلا بماذا نفسر توسط المنذر الثالث لإنهاء حرب البسوس بين تغلب وبكر ابن وائل سنة 525م، ولماذا انتصرت القبائل العربية في شبه الجزيرة لانتصار العرب الكبير في ذي قار، حتى قال رسولنا الكريم ﷺ قولته المشهورة بذلك، (انظر ص 93 في هذا الفصل)، لقد كان النعمان في تلك الفترة يمثل رمزاً قومياً التفت حوله القبائل العربية لمواجهة التحدي الأجنبي، وكان بداية للوعي القومي الكبير الذي عبر عن نفسه بجلاء في معركة القادسية الأولى.

3 – ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج2، ص 10.

كل رجل منكم بما حضره، ليعلم أن العرب على غير ما ظن أو حدثته نفسه، ولا تخذلوا له انخذال الخاضع الذليل[1]».

وعندما وصلوا إلى المدائن واجتمعوا بكسرى، وتحدث كل منهم بما كان عليه العرب من العز والإباء، وما يتصفون به من الفصاحة والمنطق دهش كسرى، وقال لمن حوله من الوزراء والمرازبة:

«ما خفت من العرب قط كخوفي منهم اليوم، وإني لأحسب الأمر الذي كنا نتوكفه[2] من أفضاء الملك لهم قد دنا !»[3]، يعلق كستر على ذلك بقوله: «ينبغي أن يكون هناك شيء من الحقيقة في شكوك كسرى»[4]، هذه ويبدو أن الخوف من العرب قد سيطر على تفكير كسرى، وبدأت شكوكه في نيات النعمان التحررية تتحول إلى حقيقة، وربما انحصر تفكيره وتخطيطه بالأسلوب أو الصيغة التي يمكن بوساطتها أن يأمن جانب العرب، لذلك نراه يسرع إلى التخطيط للغدر بالنعمان بن المنذر واغتياله[5]، فكان ذلك سبباً مباشراً لمعركة ذي قار التي هزمت فيها قبائل ربيعة جيش كسرى وحققت انتصارها الباهر، هذا الانتصار الذي قال فيه رسولنا الكريم محمد ﷺ: «هذا أول يوم انتصف فيه العرب من العجم وبي نصروا» [6]، وقد ترك هذا الانتصار الكبير آثاره الإيجابية في تنامي الوعي القومي لدى عموم القبائل العربية، ودخل موقفها من الفرس مرحله جديدة[7]، وكان بداية لانطلاقة العرب الكبرى في مطلع القرن السابع الميلادي.

ومع عدم وجود كيانات سياسية عربية كبيرة معروفة خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين في إقليم الجزيرة، إلا أنه من الواضح أن القبائل العربية في هذه

---

1 - المصدر نفسه، والجزء والصفحة.

2 - يتوكف الخبر، ينتظره ويتوقعه، الدينوري: الأخبار الطوال، ص 11.

3 - الأصمعي، عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي: نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب، مخطوطة في مكتبة المتحف العراقي رقمها 613، (الورقة 242ب)

4 - كستر: الحيرة ومكة، ص 42.

5 - تذكر بعض المصادر أسباباً تحتاج إلى إعادة نظر لاغتيال النعمان، منها مثلاً رفضه تزويج إحدى بنات العائلة الحيرية إلى كسرى، أو بسبب قتله لعدي بن زيد، (انظر الطبري، ج2، ص193، الأصمعي: نهاية الأرب، الورقة 247م وبعدها)، ولكن الحقيقة هي أكبر من ذلك، وقد عبر عنها كسرى أبرويز نفسه في خطاب له بعثه إلى ابنه شيرويه قال فيه: (فإن النعمان وأهل بيته واطأوا العرب وأعلموهم توكفهم خروج الملك عنا إليهم، وقد كانت وقعت إليهم في ذلك فقتلته، ووليت الأمر أعرابياً لايعقل من ذلك شيئاً)، انظر الدينوري: الأخبار الطوال، ص 11، وأوضح أن كسرى لايمكن أن يفرط بتحالف دولته مع مملكة الحيرة الذي استمر زمناً طويلاً، وكانت سداً منيعاً لحدوده الشرقية لأسباب بسيطة، لو لم يكن الأمر أكثر جدية وخطورة.

6 - الطبري، ج2، ص 193

7 - وات، مونتغمري: محمد في المدينة، ترجمة شعبان بركات، (بيروت د- ت ص213.

المنطقة كان لها ثقل سياسي مؤثر، كانت الدولتان الكبيرتان تحسبان حسابه، وتتجنبان ما أمكن التدخل في شؤون هذه القبائل واستقلاليتها، لأن المقاومة العربية لهذا الوجود الأجنبي كانت قوية ومستمرة، وتعبر عن نفسها بطريقة مختلفة.

هناك وثيقة يعود تاريخها إلى سنة 484م[1]، نشرها القس نو (F.Nau)[2]، وهي رسالة كتبها برصوما أسقف نصيبين[3] إلى البطريرك النسطوري أقاق (484-496م)[4]، يخبره فيها عن الأوضاع في منطقة الجزيرة الفراتية في تلك الفترة، نستطيع من مضمونها أن نستشف الكثير من الحقائق عن حقيقة العلاقة بين العرب والوجود السياسي والعسكري لهاتين الدولتين في المنطقة.

النص {المترجم} للرسالة[5]:

«...إننا نعيش في بلد يعد جديراً بالحسد...، وإن له أعداءً كثيرين...، فمنذ سنتين ونحن مصابون بالقحط لقلة الأمطار، وإن أعداداً كبيرة من قبائل الجنوب تجمعت عندنا[6]، وقاموا بمهاجمة قوات الروم، وأخذوا منهم غنائم وأسرى، فجمع الروم جيشاً كبيراً، وأرادوا الأخذ بالثأر من العرب في المنطقة الخاضعة للفرس، وحاول حاكم نصيبين الفارسي أن يتدبر الأمور، فاقترح أن يجمع رؤساء العرب والفرس، فيسترجع منهم الغنائم والأسرى عندما يعيد العرب في المنطقة الخاضعة للروم الماشية والأسرى التي سبق أن أخذوها في مرات كثيرة من الفرس، وأن تحدد المناطق بمعاهدة، وفي أثناء هذه المداولات ذهب الحاكم الرومي وكبار رجاله إلى نصيبين، وقاموا بزيارة إلى حاكمها الفارسي، فاستقبلهم الرجل استقبالاً حافلاً، بينما كانوا يأكلون ويشربون معاً علموا أن العرب ويقدر عددهم بنحو (400) فارس،هجموا على القرى البعيدة التي فيها جيش الروم، فادعى الروم أن الحاكم الفارسي كان قد نصب لهم مكيدة، وبقيت الأمور على هذه الحال، ولم يتغير أي شيء... ».

من هذا الخطاب نعلم أن برصوما الذي كان مكلفاً أيضاً بمهمة مفتش على فرق الحدود من الدولة الساسانية إضافة إلى منصبه الديني أسقفاً لنصيبين، لذلك فإنه في

---

1 - يشير كرستنسن: ص 277 إلى أن تاريخ الرسالة يعود إلى سنة 485م (استناداً إلى لابور، ص144).
2 - Op. Cit. pp 15-13..
3 - وكان برصوما يقوم أيضاً بمهام المفتش على فرق الحدود بين الدولتين الساسانية والبيزنطية، إذ كان خط الحدود بينهما يمر في نصيبين، (كرستنسن: إيران، ص 278.)
4 - كان مقر البطريركية النسطورية في المدائن.
5 - ترجمها لي عن الفرنسية مشكوراً الأب الدكتور بطرس حداد،كنيسة مار بيثون - البلديات، بغداد، 1987م.
6 - على الأرجح هي إشارة إلى الهجرة العربية الكبيرة التي حدثت أواخر القرن الخامس، (ينظر الفصل الثالث).

أسلوبه يشعر بالضيق من موقف العرب الرافض والمقاوم للوجود الأجنبي، كما نعلم من هذه الرسالة أن العرب كانوا يقاومون الوجود الأجنبي، أياً كانت صفته، فيغيرون على الروم في الوقت نفسه الذي يهاجمون فيه المواقع الفارسية، ولذلك فقد شغل هذا الأمر حاكمي الدولتين في هذا الإقليم، واضطرهم إلى التفاوض مع رؤساء العرب في المنطقة لإبرام معاهدة، تنظم العلاقة بين هذه الأطراف على السواء.

هذه بعض المواقف العربية في مواجهة الوجود الساساني والبيزنطي وتحديه في تلك الفترة، وهي تعطينا جواباً عن التساؤل: لماذا وضعت هذه الدول حساباً خاصاً في التعامل مع العرب؟، هذه الخصوصية التي يدعمها الكثير من الوقائع والأحداث التي اتسمت بنمطين من السلوك نحو العرب:

الأول - نظرة الاحترام والمهابة لهم التي فرضتها عليهم تلك المواقف، إضافة إلى صفة الشخصية العربية التي تتسم بالإباء والاستقلالية ورفض الهيمنة الأجنبية[1]، كذلك ثقل العرب البشري وامتدادهم الحضاري العريق.

والثاني- ممارسة كل الأساليب لتفتيت وحدتهم ومحاولة إضعافهم، ليسهل عليهم تحاشي خطرهم، وقد لجأت بذلك إلى أساليب التحالفات والإغراءات بالمال والجاه تارة، أو إلى الغدر واستخدام العنف معهم تارة أخرى، وقد مارست الدولتان أيضاً أسلوب التهجير للقبائل العربية من مكان إلى آخر، ثم محاولة التفرقة بين العرب أنفسهم والسعي لاحترابهم ضد بعضهم، وغير ذلك من الأساليب التي سيرد ذكرها .

. أمثلة وشواهد:

قامت الدولتان الساسانية والبيزنطية على أساس حربي قوي، وكان امتداد سيطرتهما العسكرية يشمل رقعة جغرافية واسعة، تضم الكثير من الشعوب في آسيا وأوروبا وإفريقية، وكانت الحروب المستمرة بين الدولتين أو ضد أعدائهما الآخرين قد فرضت عليهم تهيئة أعداد كبيرة من الجيوش، اضطروا فيها إلى إجبار تلك الشعوب على القتال تحت رايتهم ضد العدو المقابل، ومثلاً كان الذين يقاتلون تحت راية الجيش الساساني فرقاً من الأمم الجبلية المختلفة في القوقاز وشمال بحر قزوين والجيليين والكادوسيين والورت والألبانيين والديالمة، ربما كان بعض هذه الشعوب مستقلاً استقلالاً

---

1 - يشير كستر إلى أن الشعر العربي يظهر بوضوح مقاومة القبائل العربية للحكم الأجنبي، فالشعراء يمتدحون رؤساء قبائلهم بأنهم حاربوا الملوك وقاتلوهم، (الحيرة ومكة، ص 42).

تاماً، كما كونوا بالمال والمرتزقة فرقة البون، وكان الفرسان الأرمن يحاربون تحت الراية الإيرانية، وهم موضع رعاية خاصة[1]، ولا تشير المصادر إلى مشاركة العرب في القتال تحت راية الدولة الساسانية أو البيزنطية، وإذا حدث أن قاتل العرب إلى جانب الساسانيين أو الروم طرفاً آخر، فإن ذلك يجري بصيغة التحالف المؤقت ضد عدو مشترك، أي يكون تحالفاً يتخذ أهدافاً ومصالح عربية[2].

وقد تميز الملوك العرب باستقلالية ونفوذ متميزين، سواء لدى ملوك الحيرة أم الغساسنة أم الحضر أم تدمر، وقد سبق الحديث عن ذلك، وكيف كانوا يحظون بالاحترام، سواء من رعاياهم العرب أم من ملوك الدولتين الكبيرتين، وحملوا الألقاب الفخمة، فنجد أذينة يلقبه الإمبراطور الروماني جالينوس بـ(الإمبراطور)[3]، أو (حاكم الشرق)[4]، وعندما استقل وهب اللات بن أذينة نهائياً عن الدولة الرومانية أطلق على نفسه لقب «أغسطس العظيم»[5] أو ملك الملوك[6]، كما وجد في نقش النمارة المكتوب بحروف نبطية على قبر امرئ القيس لقب (ملك جميع العرب)[7].

ومن الأدلة الأخرى التي تشير إلى مكانة العرب وهيبتهم التي ترسخت في أذهان ملوك الدول الأخرى آنذاك حرص الملوك الساسانيين على نقش تماثيلهم التي تمثل حروبهم ضد القبائل العربية، حيث أرادوا أن يخلدوا هذه الحروب بنقشها على الصخور[8].

كل هذه الأدلة تشير إلى ما كان يحظى به العرب آنذاك من مكانة مع وجود دولتين كبيرتين تتقاسمان احتلال أرضهم.

ومن الأدلة على نظرة الفرس الخاصة للعرب جعل الفرس عاصمة دولتهم في أرض عربية هي المدائن القريبة من بابل في العراق، مع أن إيران بلاد واسعة، وفيها مدن كبيرة وحصينة، من الممكن جداً أن تتخذ عواصم لدولتهم.

---

1 - كرستنسن: إيران، ص 199-200، وإن أسماء الشعوب التي ورد ذكرها هي شمال الدولة الساسانية وشرقها.
2 - ينظر الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص 58-59. أمثلة لبعض تلك التحالفات تجدها في هذا الفصل.
3 - كرستنسن: إيران، ص 213
4 - فتحي عثمان: الحدود الإسلامية، ص 65.
5 - كرستنسن، إيران، ص 215.
6 - فتحي عثمان: ص 65
7 - دسو رينو: العرب في سوريا قبل الإسلام، ترجمة د. عبد الحميد الدواخيلي، مراجعة محمد مصطفى زيادة، (القاهرة، 1959م)، ص37-32.
8 - كرستنسن، إيران ص 219.

أيكون ذلك الإجراء تعبيراً عن خوف ورهبة، وينطوي على نظرة خاصة إلى العرب وما يمثلونه من خطر على الدولة الفارسية لنزوعهم المستمر إلى التحرر والاستقلال، وإن بقاء مركز دولتهم على أرض عربية هو خير سبيل لتفادي خطرهم[1]، أم يكون سبب ذلك هزيمة حضارية، وهم مجبرون على الاعتراف بالحضارة العراقية التي راحوا يقلدونها في كل شيء، فقرروا السكن بجوار «بابل» عاصمة أعرق حضارة في التاريخ، ليعطوا لأنفسهم قيمة وهيبة أمام الشعوب الأخرى؟، أم إن كان كلا السببين وراء ذلك الإجراء؟.

أمام تلك المواقف العربية وصور التحدي للمحتلين والنزوع المستمر إلى الوحدة والنهوض الحضاري الذي بات يهدد وجود هاتين الدولتين ويقض مضاجعهما باستمرار، كان لابد لهما من اعتماد سياسة خاصة في التعامل مع العرب، هدفها الأخير إضعافهم وتفتيت وحدتهم، وقد تشابهت سياسة الدولتين كثيراً في التأثير في العرب، واتخذت صوراً متعددة.

فالأسلوب الأول الذي اعتمد ضد القبائل العربية في المنطقة هو اللجوء إلى القوة والعنف وضرب أي محاولة لتوحيد العرب، وقد ذكرت أمثلة كثيرة لهذا الأسلوب في التعامل، سواء ما كان مع مملكة الحضر أم تدمر أم ما سلكه الروم تجاه الحارث بن المنذر الغساني (569-581م) الذي رفع لواء التحدي ضدهم، وأراد الاستقلال النهائي، ورفض التعامل معهم، فغدروا به وقتلوه[2]، على أن أكثر تلك الأمثلة تعبيراً عن الحقد العميق على العرب ما فعله سابور ملك الفرس من مجازر دموية وقتله العرب، وبخاصة ما فعله مع قبيلة إياد، هذا الحقد الذي كان ينمو بنموه بغضه لهم ويجري منه مجرى دمه[3]. حيث عامل من وقع بيده من الأسرى معاملة بعيدة كل البعد عن القيم الإنسانية، فنكل بهم، وخلع أكتافهم، ولذلك سمته العرب بذي الأكتاف[4]، ويرى كرستنسن أن هذا الاسم صحيح، ولا يستبعد من خلع سابور لأكتاف العرب، لأن هذا النوع من التعذيب القاسي المؤلم كان معروفاً تلك الأيام[5]، ومن كثرة ما أحدثه سابور من قتل بين القبائل العرب

1 - يقول ميكافيلي: «عندما تكون الدول التي جرى احتلالها قد ألفت الحرية في ظل قوانينها الخاصة فهناك ثلاث سبل للاحتفاظ بهذه الدول، السبيل الأولى تجريدها من كل شيء، والثانية أن يذهب الملك المحتل ليقيم في ربوعها، والثالثة أن يسمح لأهلها العيش في ظل قوانينهم مكتفياً بتناول الجزية منهم، انظر كتاب الأمير: ترجمة خيري حماد، الطبعة السابعة، (بيروت، 1975م)، ص 76.

2 - فتحي عثمان: الحدود الإسلامية، ص 69-70.

3 - الثعالبي: غرر، ص 39.

4 - الطبري، ج2، ص 67. المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص 279-280.

5 - إيران، 225.

فقد خاطبته امرأة عربية بتحد قائلة: «أيها الملك إن كنت تطلب ثأراً فقد أدركت وزدت، وإن كنت تعم قبائل العرب فاعلم أن لهذا قصاصاً ولو بعد حين»[1]. وقد حقق العرب بعد زمن حلم هذه المرأة العربية الشجاعة، ولقنوا ملوك الفرس دروساً في الشجاعة والقيم النبيلة، كما لم تثنِ تلك المواقف العرب عن مواصلة كفاحهم وجهادهم ضد المحتلين، بل زادت وعيهم ووحدتهم وتكاتفهم، إلى أن حققت القبائل العربية انتصارها العظيم في معركة ذي قـــار سنة 610 م تقريباً.

والأسلوب الآخر الذي استهدف إضعاف العرب وتفتيت قوتهم هو السياسة التي اتبعتها هاتان الدولتان في تهجير هذه القبائل من مواطن سكنها إلى مناطق أخرى، وإلى بيئات لم يتعودوا السكن فيها، فقد قام سابور بعمليات واسعة لتهجير القبائل العربية من منازلها إلى منازل أخرى عقاباً لها، وضماناً لعدم قيامها بغارات على الحدود، وهي سياسة قديمة معروفة استعملتها الحكومات في معاقبة القبائل[2]، فيذكر الطبري أن سابور فرق القبائل العربية، فأسكن بعض قبائل تغلب وبكر بن وائل وعبد القيس كرمان وتوج الأحواز[3] الأهواز، وعن تهجير هذه القبائل يذكر الغياثي أن سابور فرقها إلى أربع طوائف، وكل طائفة أسكنها في مكان، فأنفذ بني تغلب إلى جانب البحرين، وبني عبد القيس إلى الهجر واليمامة، وبني بكر بن وائل إلى جانب اليمن وعمان وحدود كرمان، وبني حنظلة إلى البصرة[4]، وهذا الاختلاف الوارد بين روايتي الطبري والغياثي ربما كان سببه أن سابور عمد إلى تهجير أبناء القبيلة الواحدة إلى أكثر من مكان إمعاناً في تفتيت وحدتهم وإضعاف قوتهم، ولكن مع ذلك ظل وجود قبائل بكر وتغلب وإياد كبيراً ومؤثراً في إقليم الجزيرة حتى وقت تحريرها، ما يدل على أن هذا التهجير كان يشمل جزءاً من القبيلة أو بعضاً من بطونها.

وعندما غزا الملك الفارسي قباذ الجزيرة الفراتية سنة 502م واحتل مدينة آمد وميافارقين قام بتهجير القبائل العربية منها، وأسكنهم في مدينة بين فارس والأحواز [الأهواز] سمّاها رام قباذ[5]، ويروي الدينوري أنه قام بتوزيعهم على أربع نواح

1 - الثعالبي: غرر، ص517.
2 - جواد علي: المفصل، ج2 ص 640.
3 - تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص 61.
4 - الغياث ،عبد الله بن فتح الله البغدادي: التاريخ الغياثي، مخطوطة في مكتبة المجمع العلمي العراقي رقمها (567)، الورقة 72-73.
5 - الطبري، ج2، ص 94.

(طساسيج)، من ضمنها طسوج الأنبار، وكان منها هيت وعانات[1]، كذلك فعل كسرى أنو شروان بأعداد كبيرة من أهل أنطاكية، كما ذكرنا، فنقلهم إلى أرض السواد[2]، ولقد درج ملوك بيزنطة على اعتماد هذا الأسلوب أيضاً في الانتقام من القبائل العربية والحد من نفوذها وقوتها، فلقد قام موريقي (موريس) قائد الجيش البيزنطي عندما احتل مدينة أرزون في إقليم الجزيرة بإحراقها وتهجير أعداد كبيرة من أهلها إلى جزيرة قبرص[3]، وهناك أمثلة وشواهد تاريخية كثيرة تفصّل لنا كثيراً هذه السياسة في تهجير القبائل العربية وإضعاف وحدتها.

ولقد لجأت كلتا الدولتين إلى سياسة أخرى لتفتيت وحدة العرب، هي سياسة التحالفات مع هذا الطرف العربي أو ذاك، الهدف منها ضرب العرب ببعضهم، والسعي لدخولهم في صراعات ومعارك بين بعضهم من، دون أن تتدخل فيه عندما يحدث، ما دام لا يؤثر في مصالحهما، حتى إذا ما بلغ ذلك الحد، اضطرت إلى الوقوف بحزم وصرامة أمامه إذا كانت تملك الحزم والقوة، وإذا ما عجزت عمدت إلى أسلوب الإغراء واسترضاء سادات القبائل الكبيرة بالهدايا والمنح والألقاب والامتيازات[4]، لقد دار محور سياسة تلك التحالفات إلى السماح بظهور قوة عربية موحدة أو حاكم عربي قوي يستطيع توحيد كلمة العرب، وإذا ظهر هذا الحاكم سعت مباشرة إلى التخلي عن حلفها معه، وتحالفت مع قوى صغيرة أخرى، وقد تجلت تلك السياسة بوضوح في القرن السادس ومطلع القرن السابع الميلادي، وهي المرحلة التي شهدت نضج الوعي القومي العربي الذي كان يشكل خطرا جدياً على وجود الدولتين الساسانية والبيزنطية، فنجد أن الملك كسرى بن هرمزد بعد أن شعر بموقف النعمان بن المنذر المناهض للوجود الفارسي، ورأى التفاف القبائل العربية حوله بعث إليه كتاباً مع وفد القبائل العربية الذي أرسله النعمان إلى كسرى (سبق أن أشرنا إليه)، الذين تحدث كل منهم بما يجب أن يقال في مجلس كسرى ما كان مدعاة لغضبه وخوفه، وجاء في الكتاب : (...من الملك كسرى بن هرمزد إلى النعمان بن المنذر، فقد أتتني وفودك، وسمعت أقوالهم، وحملت غلظة كلامهم لعلمي أن لا ملوك لهم،

---

1 - الأخبار الطوال، ص 66، الطسوج، الناحية، المصدر نفسه والصفحة.

2 - انظر في ذلك الدينوري: الأخبار الطوال، ص 69. الطبري، ج2، ص 102 . المسعودي: مروج الذهب، ج1، ص 261، ابن البطريق: التاريخ، ص208.

3 - ابن البطريق: التاريخ المجموع، ص 105، أدي شير: كلدو وآثور، ج2، ص 204.

4 - جواد علي: المفصل، ج2، ص 629-630، ومن أبرز تلك التحالفات في الفترة التي سبقت ظهور الإسلام التجاء الساسانيين إلى اللخميين ملوك الحيرة، والتجاء البيزنطيين إلى الضجاعمة، ثم إلى أهل تدمر وأخيراً إلى الغساسنة، ينظر الطبري، المصدر السابق، ج2، ص149.

فينطقون بين أيديهم منطق الرعية الخاصة، فقد رأيت أن توجه إلى أشراف العرب ممن كانت لهم الأتاوات والرياسات في أيامهم، من كل قبيلة رجلاً لنملّك كل رجل على قومه وأسند إليه أمر قبيلته)[1]، والمدقق في هذا النص يلمس، إضافة إلى غطرسة هذا الملك، مقدار تخوفه من وحدة القبائل العربية ومن قوة النعمان ونفوذه بين القبائل، فأراد من كتابه هذا أن يعزل القبائل العربية عن النعمان أولاً، فيسلب النعمان بذلك قوة التأثير، وثانياً حتى يتعامل مع القبائل العربية كل على انفراد مباشرة وليجعل هذه القبائل في نزاعات وصراع فيما بينها.

أما الرومان فقد سارت تحالفاتهم في الاتجاه ذاته، وتتابع حكامهم على اعتماد سياسة واحدة مع القبائل والإمارات العربية، وهي محاولة الاستفادة منها ومساعدتها، لتحمي حدود الدولة مع الحيلولة دون بلوغها درجة من القوة، فتصبح خطراً عليها، عند ذاك تتخلى عن تحالفها معها، وتتدخل لإضعافها أو زوالها.

لقد عثر في حران على كتابة باليونانية والعربية يرجع تاريخها إلى سنة 568م، يرد فيها ذكر لاسم أمير عربي، يدعى شراحيل بن ظالم، ويروي نولدكه أنه من كندة، لأن الاسمين شائعان فيها، وبذلك يكون شراحيل هذا معاصراً للحارث بن جبلة الملك الغساني، ويستنتج نولدكه من ذلك أن عدداً من الأمراء والمشايخ ظلوا على نفوذهم حتى بعد تألق آل غسان، وهذا يتفق وسياسة الروم الذين لم يكن من مصلحتهم ظهور أمير واحد قوي، بل يسعون إلى وجود جملة أمراء متنافسين يضربون بعضهم.[2]

ولعل ما يذكره ابن حبيب البغدادي يسلط لنا الضوء على بعض جوانب هذه التحالفات وأهدافها، فذكر أنه لما غلبت غسان سليحا خاف ملك الروم من اتساع نفوذهم وخشي تحالفهم مع الفرس، فأرسل إليهم طالباً منهم التحالف، وكتب بينه وبينهم كتاباً: «إن دهمكم دهم من العرب أمددتكم بأربعين ألف مقاتل من الروم، وإن دهمنا دهم من العرب فعليكم عشرون ألف مقاتل، على أن لا تدخلوا بيننا وبين فارس فقبلوا وكتبت الكتب بينهم»[3].

وربما كان حجم المدد مبالغاً فيه، ولكن سواء جرى عقد الكتاب هذا بين الطرفين أم لم يجر فإن الخبر يعبر عن أهداف هذا الحلف ومحاولة من الروم لضرب العرب ببعضهم،

---

1 - الأصمعي: نهاية الأرب، الورقة 245-246.

2 - أمراء غسان، ص 17، عثمان فتحي: الحدود الإسلامية، ص 69.

3 - المحبر، ص 371.

وأما الطلب إلى الغساسنة بعدم الدخول بين الروم والفرس فهو صحيح، إذ كان المقصود منه عدم التحالف مع الفرس ضد الروم[1]، وهو يعني قبائل الجزيرة الفراتية، لأنها على الحدود بين الدولتين.

ودخل الدين والصراعات المذهبية في سياسات هاتين الدولتين للتأثير في العرب، فلقد استغلت الاختلافات الدينية والمذهبية لتفتيت وحدتهم بالمشاحنات الدينية والمذهبية بينهم، وتبني هذا الطرف أو ذاك[2]، ومما يثير الاستغراب والعجب أن يشجع الساسانيون، وهم مجوس يعبدون النار، أحد المذاهب النصرانية، وهو المذهب النسطوري، ويسمحوا بنشره في العراق والجزيرة، ويتساءل المؤرخ جواد علي بالقول: «من يدري؟، فلعلهم ساهموا من طرف خفي في توسيع شقة الخلاف بين هذا المذهب ومذهب الروم[3]»، وكان دافع الفرس لذلك واضحاً، وهو استغلال هذا الخلاف لأسباب سياسية وعزل النصارى عن التقارب مع الروم، أعدائهم التقليديين، وإلهائهم عن مواجهة الخطر الأساسي المتمثل في الوجود الأجنبي على أراضيهم، يضاف إلى ذلك زرع بذور الخلاف بين القبائل العربية بتبني مذهب مغاير للمذهب الذي يعتنقه عرب الشام مثلاً.

أما البيزنطيون فقد كان تبني النصرانية ديناً لديهم قد أسهم في تعزيز موقف الدولة من شعوبها، وكذلك المد الثقافي الفارسي وتأثيراته[4]، وأصبح سنداً لسياستهم في نزاعهم ضد الدولة الساسانية[5]، وعدّت الدولة البيزنطية نفسها الحامي والمدافع الوحيد عن النصرانية وعن النصارى، واتخذت ذلك ذريعة للتدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى[6] بغية التأثير في النصارى في تلك المناطق، ومن جملتهم النصارى العرب، خاصة في المناطق الحدودية الهامة[7]، فكان إقليم الجزيرة الفراتية من أكثر المناطق التي شهدت آثار تلك السياسات وعانتها، لأنها بسبب كونها منطقة الاحتكاك والصدام بين الدولتين.

---

1 – البطاينة: محمد ضيف الله، المرجع السابق، ص 37

2 – انظر الفصل الرابع.

3 – جواد علي: المفصل، ج2، ص 629.

4 – بينز ثورمان: الإمبراطورية البيزنطية، تعريب د.حسين مؤنس ود. محمد يوسف زايد، ط2، (القاهرة، 1957م)، ص 9.

5 – جواد علي، ج2، ص628.

6 – البطاينة، المرجع السابق، ص 40.

7 – جواد علي، ج6، ص564–566.

الفصل السادس

تحرير

الجزيرة الفراتية

أولاً- سير عملية التحرير:

كان مطلع القرن السابع الميلادي يمثل مرحلة المخاض التي كانت تنبئ ببزوغ فجر العرب ثانية، فأوضاع الدولتين الساسانية والبيزنطية مضطربة، والحروب بينهما مستمرة، ما زاد ظلمها وتعسفها نحو الشعوب المغلوبة، كما كانت الأديان والمذاهب تمر بفترة من الاحتراب والانقسام، أدى إلى خروجها عن جوهر التعاليم الدينية والابتعاد عن السلوك القويم، من جانب آخر ظهر بين العرب موقف جديد، تمثل في وحدة موقفهم وتنامي وعيهم القومي ورفضهم للوجود الأجنبي، فكان ذلك مقدمة لحالة التفاعل الصميمي التي حدثت بين العروبة والإسلام منذ ظهوره في شبه جزيرة العرب، عبرت عن نفسها في تلك القوة الكبيرة التي تفجرت في الذات العربية، وفي تلك الانطلاقة الحضارية التي تجدد بعثها بعد غياب دام قروناً طويلة، فما هي إلا سنوات قليلة من الجهاد الشاق والعمل المثابر لعرب الجزيرة لتثبيت دعائم دينهم ودولتهم، حتى تمكنوا من حمل رسالتهم إلى أرجاء المعمورة مبتدئين بتحرير أرض العرب من الهيمنة الأجنبية، فكانت أرض العراق والشام وجهتهم الأولى.

أقر الخليفة الأول أبو بكر الصديق ﷺ مطلع سنة 12 هـ/شباط 633م خطة التحرير العامة التي كانت تتضمن الهجوم على الحاميات الفارسية في جنوب وأطراف العراق الغربية، ومهاجمة الروم في بلاد الشام، وصدرت الأوامر إلى القادة خالد بن الوليد، وعياض بن غنم، والمثنى بن حارثة الشيباني، وخالد بن سعيد بن العاص لتنفيذها[1].

---

1 - كان ملخص الخطة كما يلي:
أولاً- يتقدم خالد بن الوليد بجيشه من اليمامة في نجد إلى جنوبي العراق، فيبدأ بتحرير الأبله التي على شط العرب، ثم يتجه شمالاً إلى الحيرة.
ثانياً- يزحف عياض بن غنم بجيشه المرابط بين النباج والحجاز إلى دومة الجندل (الجوف)، ومنها إلى المصيخ، وهي قرية على شاطئ الفرات قرب هيت، فيبدأ بتحرير أرض العراق من شماليه، ويلتقي بخالد بن الوليد في الحيرة، وأيهما يسبق يكن أميراً على صاحبه، ينظر الطبري: تاريخ، ج3، ص347. طه الهاشمي: خالد بن الوليد في العراق، مجلة المجمع العلمي العراقي، م2، ج2، 1955م، ص 231.
ثالثاً- يواصل المثنى بن حارثة الشيباني غاراته على الحيرة لإبعاد الفرس عن الهجوم الأصلي واضطرارهم إلى تفريق قواتهم، ثم يلتحق بجيش خالد بن الوليد بعد وصوله إلى العراق.
رابعاً- يتقدم خالد بن سعيد بن العاص بجيشه إلى الحدود الفلسطينية، ويرابط في تيماء، ويتخذها قاعدة لحركاته الحربية الاستطلاعية مدافعاً ضد الروم ووفقاً للأحوال التي تواجهه، ينظر البلاذري: فتوح، ص115-116، محمود الدرة: تاريخ العرب العسكري، ط1 (بيروت، 1964م)، ص 297.

بدأت عمليات إنجاز خطة التحرير، واستمر تنفيذها بحماسة في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، وقد طرأ الكثير من التعديل على تفصيلاتها، ومواقع القيادة والجيوش فيها[1]، وانتهت بالنصر المؤزر واندحار الروم في معركة اليرموك (15هـ-635م)[2]، واندحار الفرس في معركة القادسية (16هـ-636م)[3]، وجرى تحرير العراق والشام، واستتب وضع العرب المسلمين في هذه البلاد المهمة.

ويبدو أنه لم يكن هناك في خطة التحرير الأولى إشارة إلى تحرير إقليم الجزيرة الفراتية مع أهميته العسكرية والاقتصادية، وربما كان سبب ذلك يعود إلى أن تفكير قادة العرب كان منصباً في البداية على توجيه الضربة إلى مركز نفوذ القوتين الكبيرتين في العراق والشام، وبعدها سيكون سهلاً تحرير بقية الأجزاء من أرض العرب، فالجزيرة بين العراق والشام، ومع أنه كان فيها قوات عسكرية لكلتا الدولتين الرومية والفارسية[4] فإن قرار تحريرها جاء بعد ذلك، ويبدو أنه تقرر في مؤتمر الجابية[5]، وربما عجل بتنفيذه ما استجد من أوضاع في مسار عملية التحرير.

فلقد وجد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ أن انتصار العرب المسلمين في الشام لن يكون في مأمن ما لم يجر تحرير الجزيرة الفراتية، خاصة أن الروم تمسكوا بالبقاء فيها وبدؤوا يحشدون أعداداً كبيرة من قواتهم من الفرسان والمشاة، فدعا كبار الصحابة وجماعة من المهاجرين والأنصار، واستشارهم في الأمر، فوافقوه على أهمية التعجيل بتحرير هذا الإقليم، واتفق على أن يكون على رأس جيش تحريرها القائد العربي عياض بن غنم[6]، وكتب الخليفة عمر ﷺ إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح قائد جيوشه في الشام:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر إلى عامر بن الجراح، سلام إليك، أما بعد، فقد أجهدت نفسك في قتل الكفار، وسارعت إلى رضا الجبار، وقدمت لك ما تجده

---

1 - البلاذري: فتوح، ص 115-118، ينظرمحمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية، ط3، (دارالإرشاد، بيروت، 1969م)، ص 313-328.
2 - البلاذري: فتوح، ص 142.
3 - المصدر نفسه، ص 258.
4 - أبو يوسف الخراج، ص 43-42.
5 - هو المؤتمر الذي عقده الخليفة عمر بن الخطاب، ودرس فيه الموقف مع قادة جيوشه لإعادة النظر في الموقف الحربي بعد تحركات هرقل وحشد جيوشه في أنطاكية وشمال سوريا، ينظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج3، ص 98، عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ص 210.
6 - ابن أعثم: الفتوح، ج1، ص323. الطبري: تاريخ، ج4، ص53-54، البلاذري: فتوح، ص 142.

يوم عرضك، ولم نر منك يوماً إعراضاً عن أداء فرضك، وقمت بسنة نبيك، وجاهدت في حق الله حق جهاده، فإذا قرأت كتابي فاعقد عقداً لعياض بن غنم، وجهز معه جيشاً إلى أرض ربيعة وديار بكر، وإني أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يفتحها على يديه، وإني أوصيه بتقوى الله والجهاد والاجتهاد في طاعته، ولا يلحقه التواني في الجهاد، ويتبع سنن المؤمنين المجاهدين، وما أمر به سيد المرسلين مما أنزل عليه رب العالمين، والسلام عليك وعلى جميع المسلمين[1]»، ثم كتب كتاباً آخر إلى عياض بن غنم بالولاية والمسير إلى أرض ربيعة وديار بكر، وبعث بالكتاب مع ساعدة بن قيس المرادي[2]، وأهم ما ورد فيه:

«... اعلم[3] أن قادة الروم قد حشدوا حشداً في بلاد الجزيرة، قد تكون سمعت به، وأريد أن أرسل جيشاً يشتت ذلك الحشد، ويجب أن يكون على رأس فرسان ذلك الجيش رجل شجاع عاقل ومبارز كامل يخاف الله، ففكرت في هذا الأمر، وتشاورت مع صفوة الصحابة، وقلبنا الرأي في هذا الموضوع، فاستقر رأيي ورأي جميع الصحابة عليك، فإننا نعلم أنه لا أحد يستطيع أن يقوم بهذا الأمر أفضل مما تفعل، فإذا وقفت على هذا الكتاب فاختر من جيش يزيد بن أبي سفيان الجماعة التي تعلم فيهم الخير، ويميل إليهم قلبك، وتوجه إلى بلاد الجزيرة، واجعل التقوى شعارك، وخف الله الذي يعلم باطنك كما يعلم ظاهرك، وفي الحوادث المهمة انظر في كتاب الله وسنة المصطفى ﷺ»[4].

والمتفق عليه في معظم مصادرنا الأولى أن الجيش العربي الذي حرر الجزيرة قدم من سوريا، وكان تحت قيادة عياض بن غنم[5]، وكانت مسيرة عياض إلى الجزيرة يوم الخميس في النصف من شعبان سنة 18هـ/ 639م في خمسة آلاف مقاتل[6]، على مقدمته ميسرة بن مسروق العبسي، وعلى ميمنته سعيد بن عامر بن جذيم الجمعي، وعلى ميسرته صفوان بن المعطل السلمي[7].

---

1 – الواقدي: فتوح الشام، ج2، ص 64.

2 – المصدر نفسه والجزء والصفحة.

3 – النص هنا مترجم عن الفارسية.

4 – ابن أعثم: الفتوح، ج1، ص 324

5 – البلاذري: فتوح البلدان، ص 176–185، اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص 140. ابن خياط، تاريخ، ص 130–131.

6 – يذكر ابن أعثم الرقم نفسه، (كتاب الفتوح، ج1، ص 325)، بينما يورد الواقدي أن تعداد جيش عياض كان ثمانية آلاف مقاتل، (فتوح الشام، ج2 ص 46).

7 – البلاذري: فتوح، ص 177. ابن أعثم: الفتوح 325.

ويختلف المؤرخون في التسلسل الذي حررت به مدن الجزيرة، فجميع المصادر السريانية وبعض المؤرخين المسلمين يذكرون أن الرها كانت أول مدينة تحرر[1]، وربما جاء إجماع المصادر السريانية على ذلك نتيجة للأهمية الدينية والعسكرية التي تحظى بها مدينة الرها عندهم، فيعدون تحريرها على يد المسلمين خسارتهم الأولى والمهمة، وإن نجاح المسلمين في دخول هذه المدينة هو الذي فتح أمامهم أبواب المدن الأخرى في إقليم الجزيرة.

يؤكد البلاذري[2] وعدد آخر من المؤرخين المسلمين[3] أن الرقة هي أول المدن الجزرية التي جرى تحريرها، وهو الأكثر قبولاً، لأن إجماع المؤرخين على أن القوات العربية التي حررت الجزيرة جاءت من سوريا يؤكد هذا القول، فمن المعروف جداً أن يكون تسلسل تحرير المدن بحسب ترتيب وقوعها على الطريق الذي سلكته تلك القوات، فالطبيعة الجغرافية[4]، وطبيعة الطرق والمسالك فرضت أن يكون تحرير المدن الجزرية كالآتي:

الرقة، ثم حران، ثم الرها[5]، ومن غير المنطقي أن يبدأ الجيش العربي بمهاجمة الرها، وهي المدينة الحصينة التي في الجزء الشمالي من الجزيرة، وفيها قوة عسكرية بيزنطية كبيرة، وتعد المركز الإداري للجزيرة ومقر الحاكم البيزنطي للمنطقة[6]، ويترك خلفه مدناً وأراضي غير محررة فيها قوات للعدو، تكون حاجزاً بينه وبين أرض الشام.

استناداً إلى ما ذكره البلاذري فإن جيش العرب المسلمين وصل إلى الرقة في موسم الحصاد، ودام حصارها خمسة أيام أو ستة، وعلى إثر ذلك طلب الحاكم البيزنطي فيها الصلح وعقد اتفاقية سلام نصت بنودها على أن يدفع أهل المدينة الذين لم يدخلوا

---

1 – انظر ابن البطريق: التاريخ، ج2، ص 20،

Tell – Mahre: Op. Cit., p.6 ,Michael, Op. Cit., Vol. 2 p 421.

المنبجي، العنوان المكلل، ص 344، أبو يوسف: الخراج، ص 42، خليفة بن خياط : تاريخ، ص 130، القشيري: تاريخ الرقة، ص 6،3.

2 – فتوح البلدان، ص 177.

3 – ابن أعثم: الفتوح، ج1، ص 329. الواقدي: فتوح الشام، ج2 ص 140.

4 - J. S. Ali, Op. Cit. p .31..

5 – انظر الواقدي، ج4، ص 86، البلاذري، فتوح، ص177–180.

6 – أبو يوسف: الخراج، ص 42.

الإسلام الجزية للمسلمين مقابل منحهم الأمان على أنفسهم وذراريهم وأموالهم ومدينتهم[1].

ولكن الواقدي[2] والطبري[3] ذكرا أن عياضاً كان قد أقام في بالس المدينة الجزرية التي كان خالد بن الوليد قد فتحها صلحاً، وأرسل سهيل بن عدي لحصار الرقة، وهو الذي أبرم مع حاكمها اتفاقية الصلح بأمر عياض بن غنم، يقول سهيل في ذلك[4]:

وصادفنا الغزاة غداة سرنا	**جياد الخيل والأسل الطوال**
أخذنا الرقة البيضاء لما	**رأتنا الشهب نلعب بالتلال**
وأزعجت الجزيرة بعد خفض	**وقد كانت تخوف بالزوال**
سنقصد رأس عين بعد حين	**أجد بحملتي جيش الظلال**

ولم يشر ابن أعثم إلى تلك الرواية، ولا إلى سهيل بن عدي قائداً من قواد جيش عياض الذي حرر الجزيرة[5].

ومن الممكن أن عياضاً اندفع بعد ذلك نحو حران التي أغلق أهلها أبوابها بوجه الجيش الإسلامي، وطلبوا من قائد الجيش التوجه إلى الرها، وهم موافقون على الصلح بالشروط نفسها التي يجري الاتفاق عليها مع أهل الرها[6]، ويبدو أن سبب طلبهم هذا هو ما كان من تنافس سياسي واقتصادي وديني بين المدينتين[7]، فأتى عياض الرها التي كان قد تأهب أهلها والجيش البيزنطي فيها لقتال المسلمين، ولكنهم هزموا أمام اندفاع الجيش الإسلامي، واضطروا إلى الاحتماء داخل سور مدينتهم، ولم يمض وقت طويل حتى وافقوا على الصلح، وأبرمت معهم معاهدة للسلام[8]، ودخل المسلمون المدينة، ومنحوا أهلها الأمان، وعاد بعدها عياض إلى مدينة حران، فدخلها وصالح أهلها على مثل صلح أهل الرها[9].

---

1 – فتوح البلدان، ص 177، الطبري، تاريخ، ج4، ص 53. الواقدي: فتوح الشام، ج2، ص 65.

2 – فتوح الشام، ج2، ص 64-65.

3 – تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص 54.

4 – الواقدي: فتوح الشام، ج2، ص 65.

5 – الفتوح، ج1، ص 325-342.

6 – البلاذري: فتوح البلدان، ص 178.

7 – J.B. Segal, Edessa and Harran (London 1963) p.6.

8 – سوف تذكر معاهدات الصلح بالتفصيل في موضع آخر من هذا الفصل.

9 – الواقدي: فتوح الشام، ص 127-129. أبو يوسف: الخراج ص 40، البلاذري: فتوح البلدان، 179-178.

ويبدو أن تحرير الرها المعقل البيزنطي القوي والمدينة ذات المكانة المهمة لدى النصارى كان سبباً مهماً لطلب المدن الأخرى الصلح مع العرب وعقد اتفاقات سلام معهم، خاصة بعدما شاع من أخبار عن حسن معاملة المسلمين للسكان واحترام معتقداتهم، وعدم التعرض لممتلكاتهم وحرماتهم واحترامهم للعهود والمواثيق التي أبرمت معهم، فكانت «الجزيرة أسهل البلدان أمراً، وأيسره فتحاً[1]» وإذا ما ظهرت بعض المقاومة من نصارى عرب في هذه المدينة أو تلك[2] فإن سبب ذلك كما يذكر الواقدي[3] لم يكن نابعاً من قناعات دينية، ولكن لرغبة العرب في الاحتفاظ باستقلاليتهم.

واصل المسلمون تحرير مدن الجزيرة الواحدة تلو الأخرى، فبعد تحرير حران توجه عياض إلى سميساط[4]، ثم إلى دارا[5] وتلا[6]وقرقيسياء ونصيبين وسنجار، وطلب أهل هذه المدن الصلح على ما صولح عليه أهل الرقة والرها وحران.[7]

أما الجزء الشرقي من الجزيرة الذي كان خاضعاً لاحتلال الدولة الساسانية فإن القوات الفارسية التي فيه انسحبت من المواقع التي كانت تحتلها بعد أن وصلت أخبار هزيمة الفرس واندحارهم في معركة القادسية (16هـ-636م)، واقتصر وجودهم في منطقة سنجار التي أقاموا لهم فيها «مسلحة يدافعون عن سهلها وسهل ماردين ودارا»، ولكنهم استسلموا للجيش الإسلامي من دون مقاومة، وأبدوا رغبتهم في دخول الإسلام بعد سقوط دولة فارس[8] على يد العرب الفاتحين في معركة القادسية.

وعندما حرر الجزء الشرقي من الجزيرة من القوات العربية القادمة من الموصل والعراق[9] في السنة العشرين للهجرة (641م) كان تحرير الجزيرة الفراتية قد اكتمل، ولم يستغرق سوى ثمانية عشر شهراً فقط[10].

وعموماً فإن هناك شبه اتفاق بين المصادر العربية والإسلامية والسريانية على الخطوط العامة لعملية تحرير الجزيرة، وربما وردت بعض التفاصيل في المصادر

---

1 - الطبري: تاريخ، ج4، ص 54

2 - أشارت بعض المصادر إلى وجود مقاومة عنيفة من بعض المدن مثل رأس العين وطور عابدين ودارا، (ينظر البلاذري: فتوح البلدان، ص 181، الواقدي: فتوح الشام، ج2، ص 98-107، ابن أعثم: الفتوح، ج1، ص336-339.

3 - المصدر نفسه، ص98-99. 111-112.140-142.

4 - البلاذري: الفتوح، ص 179.

5 - **Tell – Mahre : Op. Cit., p.6, Michael, Op. Cit., Vol. 2 p. 420.**

6 - **Tell – Mahre: Op. Cit., p.6.**

7 - البلاذري: فتوح، ص 179.

8 - أبو يوسف: الخراج، ص 4.

9 - البلاذري، فتوح، ص ص 327-328، ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص 128.

10 - البلاذري، ص 180.

السريانية[1]، لم يرد لها ذكر في المصادر العربية الأولية، ومع أهميتها لقدم تلك المصادر السريانية وربما كانت معاصرة لتلك الأحداث، إلا أنها في الأكثر تكون متحيزة ضد المسلمين، ولذلك لا يعول على بعض ما يرد فيها[2].

ثانياً- موقف أهل الجزيرة من حركة التحرير:

سارت حركة التحرير العربية الإسلامية ومنذ انطلاقتها الأولى على المبادئ والمنهج الذي رسمه الإسلام، وطبقه الرسول الكريم ﷺ وخلفاؤه من بعده في القول والسلوك، هذا المنهج المستند إلى قيم السماء جاء منسجماً مع جوهر الذات العربية الرافضة للتسلط وللظلم والمقرونة بقيم الوفاء والأمانة والشهامة، وما كان لرسالة العرب المسلمين أن يكتب لها كل ذلك النجاح، وأن تمتد بهذا الانتشار الواسع في مشارق الأرض ومغاربها، لولا تلك القيم الأخلاقية النبيلة التي حملها المحررون العرب.

لقد خاطب الخليفة الأول أبو بكر الصديق ﷺ طلائع جنود التحرير المتوجهة نحو العراق والشام قائلاً:

«أوصيكم بعشر، فاحفظوها عني : لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، أي لا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً، ولا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لأكله، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منه شيئاً فاذكروا اسم الله عليه»[3].

لقد كان العرب المسلمون إذا أرادوا أن يدخلوا بلداً وجب عليهم أن يدعوا أهله إلى الدخول في الإسلام، فإن أسلموا كانوا وسائر المسلمين سواء، وإن لم يسلموا دعوهم إلى أن يسلموا بلادهم للمسلمين، ويبقوا على دينهم ويدفعوا الجزية[4]، فإن قبلوا ذلك كان لهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم، وكانوا في ذمة المسلمين يحمونهم ويدافعون عنهم، ولهذا يسمون (أهل الذمة)، وإن لم يقبلوا الإسلام ولا الدخول تحت حكمه ودفع الجزية أعلنت عليهم الحرب وقوتلوا، يقول غوستاف لوبون: «لقد عرف الخلفاء كيف يحجمون عن حمل أحد بالقوة على الإسلام، وعرفوا كيف يجعلون حسن السياسة رائداً لهم، وقد

---

1 - المنبجي: العنوان المكلل، ص 344.

Michael. Op. Cit., Vol. 2 P. 420.

2 - ينظر عرض المصادر السريانية وتحليلها في الفصل الأول من هذا الكتاب.

3- الطبري، ج3، ص 213، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج2، ص 127-128، ابن البطريق: التاريخ المجموع، ج2، ص 10.

4 - ضريبة الرأس، وسيبحث معناها وتاريخها في مكان آخر من هذا الفصل.

ابتعدوا خلافاً لمزاعم الكثيرين عن إعمال السيف فيمن لم يسلم، وأعلنوا في كل مكان أنهم يحترمون ديانات الشعوب وأعرافها وعاداتها مكتفين بأخذ الجزية مقابل حمايتها، الجزية الزهيدة التي لم تكن مقارنة بما كانت تدفعه إلى الحكام السابقين من الضرائب شيئاً مذكوراً»[1].

بهذه القيم السامية تمسك قادة حركة التحرير العربية حيثما حلوا، تعاملوا بها مع العرب وغير العرب، وقد تجلت أروع صور التعامل الإنساني في موقف العرب المسلمين من الأديان الأخرى، وخاصة النصرانية.

ومع أن الإسلام دين جاء مكملاً وخاتمة لكل الأديان السماوية، إلا أنه وقف من الديانة النصرانية موقف الاحترام والود[2]، وهذا الموقف نابع من جوهر العقيدة الإسلامية التي تقدس الأديان السابقة، وتؤمن بالأنبياء الذين جاؤوا قبل محمد ﷺ، وتعد ذلك شرطاً أساسياً لاكتمال إيمان المسلم، وكانت قناعة قادة المسلمين آنذاك بأن تفهم الآخرين لهذه المنطلقات الإسلامية ليس إلا كفيلاً بأن يكون مرحلة في التطور الديني نحو تقبله واعتناقه، فلقد آمن الناس في عقائدهم، كما آمنهم في أنفسهم وأموالهم، وكان شعاره: لا إكراه في الدين، فلم يضطرهم إلى عقيدته اضطرار القوي، ولم يدفعهم دفع الملجئ، على حين كانت سيرة العالم آنذاك والقوى المسيطرة فيه لا تتيح هذه الحرية للناس في أن يؤمنوا بالذي يشاؤون إلا في أضيق الحدود، آمنهم على عقائدهم، وآمنهم كذلك على كل ما يتصل بهذه العقائد من مقدسات وصلبان وكنائس[3].

فلا غرابة في أن نجد أن النصارى كانوا قد رحبوا بجيش التحرير العربي، وأنزلوا جنوده في البيع والديارات[4]، وكانوا وبخاصة رؤساءهم قد عاضدوا المسلمين في أثناء

---

1 - لوبون: غوستاف، حضارة العرب، ترجمة محمد عادل زعيتر، (مصر، 1964م)، ص152، انظر أوليري: علوم اليونان، ص 124.

2 - جاء في القرآن الكريم: ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ «سورة المائدة 82».

3 - شكري فيصل: المجتمعات الإسلامية، ص 64.

4 - الطبري، تاريخ، ج4، ص 12، ابن الأثير: الكامل، ج2، ص ص 147-150، أدي شير: كلدوا وأثور، ج2، ص 252، التاريخ السعردي، ج2، ص 627.

حركة التحرير في سوريا والعراق والجزيرة، وأرسلوا المدد إلى جيوشهم، وقد أكدت ذلك المصادر السريانية الأولية[1]، فضلاً على المصادر العربية.

فقد ذكر أن الجثاليق إيشوعياب الجدالي المتوفى سنة 647م بعث برسالة إلى أحد أساقفة الفرس يقول فيها: «إن العرب الذين وهبهم الله الملك يحترمون الديانة المسيحية، ويودون القسوس والرهبان، ويكرمون أولياء الله، ويحسنون إلى الكنائس والأديار»[2]، وإن المفريان ماروثا المتوفى سنة 639م فتح لجيوش المسلمين قلعة تكريت حقناً للدماء، ورحب بقدومهم[3]، وفي نينوى استقبل مار أمة الجيوش العربية، وساعدها وقدم لها المؤونة، حتى إن مواقفه تلك كانت سبباً في رجحان كفته على منافسيه ومع شيخوخته، فانتخبوه جاثليقاً على كرسي المدائن سنة 645م[4].

لقد سارت عملية تحرير الجزيرة في تعاملها مع النصارى ومقدساتهم وفق هذا المنهج الذي حرص عياض بن غنم على التمسك به في كل مراحل التحرير.

ومع أن أكثر النصارى العرب ساندوا العرب المسلمين الفاتحين، لكن بعضهم كان قد وقف موقف المعارض، خاصة في بداية حركة التحرير، وربما وقف بعضهم متردداً، ولم يكن سبب ذلك الموقف حباً بالفرس أو بالروم، وإنما كان خوفاً من بطشهم وقسوتهم، وهم يمثلون أكبر قوتين في ذلك الوقت، ولأنهم تصوروا بادئ الأمر أن مجيء العرب إلى الجزيرة كان مجرد غارات بدوية للنهب والسلب، لكن موقفهم هذا تغير بعد أن انتصر المحررون العرب، واستقر بهم الحال في تلك المنطقة، ورأوا عظم الفارق بينهم وبين حكم الدولتين المستعمرتين الساسانية والرومية وتسلطهما، فرحبوا بهم، واطمأنوا لحكمهم[5].

وقد ظل قسم كبير من النصارى العرب على دينهم زمناً طويلاً،[وبعضهم إلى يومنا هذا]، ومنهم بنو تغلب الذين تمسكوا بديانتهم، ورفضوا دفع الجزية، وعدوا دفعها انتقاصاً من عروبتهم، ومساواتهم بغير العرب، فصالحهم الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ على موقف وسط، وهو أن يدفعوا ضعف صدقة المسلم[6]، على ألاّ تسمى جزية.

---

1 - أفرام عبدال: كتاب اللؤلؤ النضيد في تاريخ مار بهنام الشهيد، (الموصل، 1951م)، ص 59، ينظر ألبير أبونا: تاريخ الكنيسة الشرقية من انتشار المسيحية حتى ظهور الإسلام، (الموصل، 1985م)، ص 57.

2 – **Isoyaba III. Lilor Epistularum. Ed. Duval (Paris 1904) p. 182.**

3 - بطرس نصري: ذخيرة الأذهان، ج1، ص 331.

4 - روفائيل ميناس: الوثنية والمسيحية في الشرق، ص 281-282.

5 - ابن الأثير: الكامل. ج2، ص 314.

6 - أبو يوسف: الخراج، ص 120، يحيى بن آدم: الخراج، ص 75. البلاذري: فتوح البلدان، ص 183.

موقف قبيلة تغلب العربية هذا يقابله موقف قومي لهم، يعبر عن حقيقة موقف القبائل العربية من حركة التحرير العربية وانتصارهم لها في مواجهة العدو الأجنبي، فعندما حشد الروم جيوشهم في الجزيرة لمواجهة الجيش العربي انتدب عياض بن غنم بني تغلب مع اختلافهم في الدين لنصرة إخوانهم العرب، فلبوا نداءه عن بكرة أبيهم، وحضروا لقتل الروم إلى جانب إخوانهم العرب المسلمين، يذكر الواقدي:

« ..واتصلت الأخبار بعياض بن غنم، وهو بجانب الرقة، وهو يتروى فيمن يبدأ حربه بشهرياض[1] وجنوده، أم بحران والرها؟، فقال له خالد بن الوليد[2]: أتترك جيشاً تهيأ واحتفل لقتالك وتمضي لسواه، والرأي أن تلقى هذا العدو، فإذا أنت هزمته وأوقعت الهيبة هناك فاقصد ما شئت من البلاد، فإنها تفتح إن شاء الله، فعول عياض على ذلك، وإذ قد أتته عيونه، وأخبروه أنه قد تهيأ لحربكم الملك شهرياض، وصاحب دارا، وصاحب جملين، وأرمانوس صاحب تل سماوى، وآرجو صاحب البارعية، وشهرياض صاحب ماردين، ورودس صاحب حران والرها، وصار جريدتهم مئتي ألف، وقد ضمنوا للملك لقاءكم، وقالوا: لا نلقى العدو إلا بأهلينا وأولادنا وأموالنا وحريمنا، حتى لا ينهزم منا أحد، وقد تقدم إليكم الأرمن وبعدهم الروم دون الفرات، فلما سمع عياض ذلك بعث الوليد بن عقبة، وأوصاه بما أراد إلى بني تغلب، وجمع أمراءهم، وقال: يا فتيان العرب اعلموا أن من نظر في العواقب أمن من المعاطب، والصواب أن ترجعوا إلينا، وتكونوا من حزبنا، قال: فأجابوه جميعهم،إلا طائفة من إياد الشمطاء، فإنهم ارتحلوا إلى بلاد الروم، ووصل عرب بني تغلب إلى جيش عياض، وقال لهم: يا معشر العرب، إن الله سبحانه وتعالى قد أراد بكم خيراً بوصولكم إلينا »،[3] إن هذا الموقف يعبر عن حالة من التضامن القومي التي كانت سائدة بين عموم القبائل العربية في الجزيرة، وهي تقارع تسلط المحتلين من الفرس والروم.

ثالثاً ـ معاهدات الصلح بين المسلمين ومدن الجزيرة:

حررت الجزيرة الفراتية، وطرد منها المستعمرون من البيزنطيين والساسانيين على يد القائد الشجاع عياض بن غنم، وأصبحت الجزيرة واحدة من أمصار الخلافة

---

1 – وهو الحاكم البيزنطي في الجزيرة، كان متحصناً في قلعة ماردين، فتوح البلدان، ص 183.

2 – يذكر البلاذري أن خالداً بن الوليد لم يسر تحت لواء أحد بعد أبي عبيدة، ولزم حمص حتى مات فيها، (فتوح، ص 177)، والأرجح أنه لم يكن ضمن قادة الجيش الذي حرر الجزيرة الفراتية .

3 – الواقدي: فتوح الشام، ج2، ص 74، ينظر الطبري: تاريخ، ج4، ص 54.

الإسلامية[1]، وبذلك بدأت مرحلة جديدة في حياة هذا الإقليم الذي كان يخضع لنمطين من السياسات والقوانين إبان فترة الاحتلال الساساني والبيزنطي[2]، وبدأت حياة الاستقرار والحرية فيه تبنى على أساس العقيدة الإسلامية التي راعت أحوال كل إقليم وخصائصه، وقد كانت معاهدات الصلح التي أبرمها المحررون العرب مع مدن هذا الإقليم الأساس الذي استندت إليه هذه المرحلة الجديدة.

في أثناء عملية التحرير أبرم القائد العربي عياض بن غنم عدداً من معاهدات الصلح مع سكان المدن الرئيسة في هذا الإقليم، ضمنت حقوق المواطنين فيها مع تحديد التزاماتهم تجاه الدولة الجديدة، ولما كان أكثر سكان إقليم الجزيرة ممن يعتنقون الديانة النصرانية[3]، فقد تضمنت جميع تلك المعاهدات إشارة إلى ضمان حقوق من ظل منهم على نصرانيته تطبيقاً للمبادئ الإسلامية التي احترمت حقوق جميع أهل الكتاب.

وقد ذكرت المصادر العربية الإسلامية أن هناك معاهدتين رئيستين أبرمتا في بداية عملية تحرير الجزيرة، الأولى مع أهل مدينة الرقة، والثانية مع أهل مدينة الرها[4]، وهما أول مدينتين جرى تحريرهما في الجزيرة، كما ذكرت تلك المصادر أيضاً أن هاتين المعاهدتين اعتمدت بنودهما في الكثير من المعاهدات المشابهة مع مدن الجزيرة الأخرى التي جرى تحريرها مكتفية بتلك الإشارة من دون ذكر نصوص هذه المعاهدات[5].

ومع وجود بعض الاختلافات في صياغة نصوص تلك المعاهدات بين هذا المصدر أو ذاك، إلا أن الملاحظ أن جوهرها أو معناها واحد تماماً.

ذكر البلاذري نص المعاهدة التي عقدها عياض بن غنم مع أول مدينة تحرر في الجزيرة، وهي مدينة الرقة كما يلي:

---

1 - عندما دخلت الجزيرة الفراتية ضمن كيان الدولة العربية الإسلامية أصبحت من الأمصار الهامة، فقد جاء على لسان الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ قوله : (الأمصار سبعة، فالمدينة مصر، والشام مصر، والجزيرة مصر، والبحرين مصر، والبصرة والكوفة...)، ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين الشافعي: تاريخ مدينة دمشق. تحقيق صلاح الدين المنجد، (دمشق، 1951م)، م1، ص 190.

2 - ينظر الفصل الخامس.

3 - ينظر الفصل الرابع.

4 - البلاذري: فتوح البلدان، ص177 ابن أعثم: الفتوح، ج1، ص327-328، أبو عبيد، القاسم بن سلام: كتاب الأموال، مطبعة عبد اللطيف حجازي، (القاهرة، 1968م)، ص 298.

5 - البلاذري: فتوح البلدان، ص 177، ابن أعثم: الفتوح، ج1، ص ص 328-327.، أبو يوسف: الخراج ص42، أبو عبيد : الأموال، ص298.

« بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عياض بن غنم أهل الرقة يوم دخلها، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، وكنائسهم لا تخرب ولا تسكن إذا أعطوا الجزية التي عليهم، ولم يحثوا مغيلة، وعلى أن لا يحدثوا كنيسة ولا بيعة، ولا يظهروا ناقوساً ولا باعوثاً[1] ولا صليباً، شهد الله وكفى بالله شهيداً وختم عياض بخاتمه»[2].

أما النص الذي يورده ابن أعثم في كتاب الفتوح فيختلف عما ذكره البلاذري، ويشتمل على تفصيلات أكثر، فيذكر لنا حواراً دار بين عياض بن غنم وبطريق مدينة الرقة[3]الذي خاطبه عياض قائلاً:

« .. وإني أدعو إلى قول لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، فإذا قلتم ذلك، وصمتم، وصليتم، وأديتم زكاة أموالكم، وأحللتم ما أحل الله لكم، وحرمتم ما حرمه عليكم، فقد حرمت علينا دماؤكم وأموالكم إلا بحقها وحسابكم على الله، وقال البطريق: فإن لم نقل ذلك؟، قال عياض: فإن لم تقولوا ذلك فأدوا الجزية عن يد، وأنتم صاغرون، وكونوا لنا ذمة، وقروا في دياركم على دينكم، ونحن نذب عنكم من بغاكم من أعدائكم، قال البطريق: أيها الأمير، فإني أقيم على ديني ولا أفارقه، وأصالحك على ما تريد، فصالحه عياض على عشرين ألف دينار عاجلة، وعلى أنه وضع على كل محتلم منهم في كل سنة أربعة دنانير، وكلما أدرك منهم غلام يلحق بالجزية، وعليهم بعد ذلك العشر في مواشيهم، وعليهم الضيافة للمسلمين إذا نزلوا بهم ثلاثة أيام، فما كان بعد ذلك فلا يؤخذ منهم شيء إلا بثمنه، فرضي بذلك بطريق الرقة بما صالحه عليه، وأشهد عليه المسلمين، وختمه بخاتمه ودفعه إليه»[4].

والمدقق في النص الذي ذكره أبن أعثم ومع مقارنته بما جاء عند البلاذري يمكن أن يقف على بعض الأفكار التي تلفت نظر الباحث أهمها:

ينفرد ابن أعثم بذكر أن عياض اشترط على بطريق الرقة دفع مبلغ عشرين ألف دينار عاجلة، إضافة إلى فرض الجزية على الرجال، والعشر على المواشي، ولكنه لم يذكر

---

1 - الباعوث، دعاء أو صلاة علنية، وكانت العادة أن يطاف به خاصة في الأيام الحافلة كعيد الشعانين، يطلقه نصارى العراق على صوم نينوى، وبعض نصارى الشام على حفلة دينية لبعض أعيادهم، جمعها بواعيث، (برصوم: اللؤلؤ المنثور، ص497).

2 - البلاذري: فتوح البلدان، ص 178.

3 - وقد كان اسم هذا البطريق (بنطس)، بينما يذكر الواقدي أن اسم بطريق الرقة هذا هو (يوحنا)، ينظر فتوح الشام، ج2، ص 65.

4 - ابن أعثم: كتاب الفتوح، ج1، ص 327-328.

أن هذا المبلغ في أي باب يمكن حسابه من أبواب الضرائب التي كان يفرضها المسلمون عادة، وهي الجزية والخراج والعشر،كما لم ترد إشارة إلى الاعتبارات والأسس التي عليها حدد هذا المبلغ، حيث لم نجد في نصوص المعاهدات مع مدن الجزيرة الأخرى مثل هذا الشرط.

كما يلاحظ أن المعاهدة تضمنت فرض ضريبة العشر على نصارى المدينة، وهي ضريبة تؤخذ من المسلمين فقط على محاصيلهم ومواشيهم، ولم يستثن من ذلك إلا نصارى بني تغلب الذين أبرمت معهم اتفاقية خاصة، فكان يؤخذ منهم العشر وضعف صدقة المسلم مقابل الجزية[1] للاعتبارات التي سبق أن أشرنا إليها، أما غير المسلمين فتؤخذ منهم الجزية على الرجال البالغين والخراج على الأرض ومحصولها.

والملاحظ أيضاً في نص ابن أعثم الكوفي أنه تناول الالتزامات المالية لسكان المدينة تجاه الدولة الإسلامية فقط وبشيء من التفصيل، مع عدم الإشارة إلى الضمانات والحقوق التي حفظتها الدولة الإسلامية لكل الأديان والمذاهب، وهو ما ورد تقريباً في جميع الاتفاقيات مع المدن الأخرى، كما أنه من المرجح في حال التحرير والسعي لطرد القوات الأجنبية المحتلة وإخضاعها كان لا يسمح بالدخول في تلك التفصيلات، ومع أن كتاب ابن أعثم على قدر كبير من الأهمية، ويعد مرجعاً مهماً عن مراحل تحرير الجزيرة لما بذله من جهد كبير لتفسير مواقف قادة المسلمين وتوجهاتهم تجاه حركة التحرير، فإن تلك الاتفاقية ربما تكون قد صيغت بعد ذلك، وأن ما أورده البلاذري كان أقرب إلى واقع الحال وأوضاع تلك الفترة.

لقد ورد شرط دفع ضريبة الجزية في كلا النصين واحداً من البنود الأساسية للصلح[2]، فما معنى هذه الضريبة في الإسلام في تلك الفترة، وما مقدارها؟، وما الطريقة التي كانت تجبى بها؟، سنحاول توضيح ذلك لأهميته وصلته الوثيقة بموضوع المعاهدات بين المسلمين وغير المسلمين من رعايا الدولة الإسلامية.

الجزية كلمة كانت تدل أصلاً على الضريبة من أي نوع يدفعها غير المسلمين، إلا أنها أصبحت أخيراً تدل على ضريبة الرأس بعد تطور النظام المالي للدولة الإسلامية، وهناك شواهد تدل على أن المحررين العرب قد أبقوا على النظام المالي الذي وجدوه سائداً على

---

1 - أبو يوسف: الخراج، ص **120**، يحيى بن آدم: كتاب الخراج، ص**65**، البلاذري: فتوح البلدان، ص **186**.
2 - كما تضمنته جميع معاهدات الصلح الأخرى.

البلاد التي حرروها من أيدي الفرس والروم من دون أن يغيروا فيه كثيراً في بداية الأمر[1]، فلم تكن الجزية من مستحدثات الإسلام، بل هي قديمة فرضها اليونان على سكان آسيا في القرن الخامس قبل الميلاد[2]، وبعد الميلاد حث السيد المسيح النصارى على دفع الجزية لملوك الرومان[3]، وفي العراق خضع النصارى لنظام الضرائب الساسانية، ومنها ضريبة الجزية[4].

لم يكن الغرض من فرض هذه الضريبة (الجزية) على النصارى وغيرهم من غير المسلمين لوناً من ألوان العقاب لامتناعهم عن قبول الإسلام، وإنما كانوا يؤدونها مع سائر أهل الذمة من رعايا الدولة الذين كانت تحول ديانتهم بينهم وبين الخدمة في الجيش مقابل الحماية التي كفلتها لهم سيوف المسلمين[5]، وإن واحدة من أهم الأدلة المهمة على تمسك العرب المسلمين بهذا الشرط (الجزية مقابل الحماية)، تلك الحادثة التي وقعت في زمن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، لما حشد الإمبراطور هرقل جيشاً ضخماً لمواجهة القوات الإسلامية المتقدمة لتحرير الشام، وكان لزاماً على المسلمين تعبئة أكبر ما يمكن من الجيوش، وتركيز الجهود لخوض المعركة القادمة، فلما علم بذلك أبو عبيدة قائد الجيش العربي كتب إلى عمال المدن المحررة في الشام يأمرها بأن يردوا إليهم ما جبي منهم من الجزية من هذه المدن، وكتب إلى الناس يقول: «إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه بلغ لنا ما جمع لنا من الجموع، وأنكم قد اشترطتم علينا أن نمنعكم، وأنا لا نقدر على ذلك، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ونحن لكم على الشرط، وما كتبنا بيننا وبينكم إن نصرنا الله عليهم..»، وبذلك ردت مبالغ طائلة من أموال الدولة، فدعا النصارى بالبركة والنصر لقادة المسلمين وقالوا: «ردكم الله علينا ونصركم عليهم، فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئاً، وأخذوا كل شيء بقي لنا»[6].

وقدم لنا أبو يوسف توضيحاً وافياً للطريقة التي سار عليها المسلمون في جمع هذه الضريبة:

---

1 - أرنولد توماس: الدعوة إلى الإسلام، ترجمه حسن إبراهيم حسن وآخرون ط3، (القاهرة، 1970م)، ص77.
2 - جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، ج1، (بيروت د- ت)، ص 219.
3 - الكتاب المقدس، مرقس، 12 : 13.
4 - دائرة المعارف الإسلامية، ج6، ص 455، مادة الجزية، مقال (بيكر).
5 - توماس: الدعوة إلى الإسلام، ص 79
6 - أبو يوسف: الخراج، ص 139.

كان على الموسر أن يدفع في السنة ثمانية وأربعين درهماً، وعلى الوسط أربعة وعشرين، بينما يؤخذ من المحتاج اثنا عشر درهماً، وإن جاؤوا بعرض قبل منهم، مثل الدواب والتجارة والمتاع، حتى الإبر كانت تقبل منهم بدلاً من النقد، ولا يؤخذ منهم خنزير ولا خمر ولا ميتة، وكانت الضريبة لا تجبى إلا من الذكور القادرين، ولا تجبى من النساء والصبيان، وكذلك يستثنى من الجزية المسكين الذي يتصدق عليه، والشيخ الفقير الذي لا يستطيع العمل، كما أعفي الأعمى والأعرج والمريض الذي لا يرجى شفاؤه، والمغلوب على عقله، إلا إذا كان من أصحاب اليسار، كما أعفي المترهبون الذين في الديارات وأهل الصوامع، وقد أوصي جباة الجزية أن يظهروا الشفقة بأهل الذمة خصوصاً، فلا يظلموهم، ولا يؤذوهم في المعاملة، ولا ينزلوا بهم عقاباً جسمانياً إذا لم يؤدوا الجزية[1]، وكان واضحاً أن أي جماعة نصرانية كانت تعفى من أداء هذه الضريبة إذا ما دخلت في خدمة الجيش الإسلامي، كما كان الحال مع قبيلة الجراجمة النصرانية التي تقيم في الشام بجوار أنطاكية[2]، كما أبرم حلف مماثل مع إحدى القبائل التي شمال فارس والتي وصلتها جيوش التحرير الإسلامية سنة 22 هـ، وأعفيت من أداء الجزية مقابل الخدمة العسكرية[3].

لقد كان لتلك السياسة العادلة الأثر الواضح لتحول العدد الأكبر من رعايا الدولة الإسلامية من غير المسلمين إلى الإسلام[4]، بعد أن لمسوا الفارق الكبير بين هذا العصر الجديد وما كانوا يتحملونه من تعسف واضطهاد في ظل الأنظمة السابقة.

وعقد عياض بن غنم اتفاقية ثانية مع مدينة الرها، وهي الاتفاقية التي اعتمدت أساساً للصلح مع بقية مدن الجزيرة التي جرى تحريرها تباعاً[5]، ومع تعدد نصوص تلك الاتفاقية فإن بنودها متقاربة المعنى كثيراً، وامتازت بأنها مختصرة، ولا تحتوي على تفاصيل كثيرة، وقد ذكر البلاذري المعاهدة بثلاث صيغ:

الصيغة الأولى:

معاهدة مع أسقف الرها:

---

1 – المصدر نفسه، ص 122.
2 – البلاذري: فتوح البلدان، ص ص 163-164.
3 – الطبري: تاريخ، ج 4، ص 156.
4 – توماس، المرجع السابق، ص 88.
5 – البلاذري، ص 177.

بسم الله الرحمن الرحيم:

«هذا كتاب من عياض بن غنم لأسقف الرها، إنكم إن فتحتم لي باب المدينة على أن تؤدوا إلي عن كل رجل ديناراً ومدي[1] قمح فأنتم آمنون عن أنفسكم وأموالكم، ومن تبعكم، وعليكم إرشاد الضال، وإصلاح الجسور والطرق، ونصيحة المسلمين، شهد الله، وكفى بالله شهيداً»[2].

يلاحظ في صيغة المعاهدة هذه أنها خلت من الإسناد، خلافاً للنصوص الأخرى التي ذكرها البلاذري، واشتملت على تفصيل يحدد الضريبة المفروضة على أهل المدينة مقابل تعهدات المسلمين لهم بالأمن والحماية.

والصيغة الثانية التي ذكرها البلاذري أيضاً كما يلي:

«حدثني داوود بن عبد الحميد عن أبيه وجده أن كتاب عياض لأهل الرها:

بسم الله الرحمن الرحيم:

هذا كتاب عياض ومن معه من المسلمين لأهل الرها، إني أمنتهم على دمائهم وأموالهم وذراريهم ونسائهم ومدينتهم وطواحينهم، إذا أدوا الحق الذي عليهم، ولنا عليهم أن يصلحوا جسورنا، ويهدوا ضالنا، شهد الله وملائكته والمسلمون»[3].

أما الصيغة الثالثة التي ذكرها البلاذري لاتفاقية الصلح مع أهل الرها فقد جاءت كما يلي:

«حدثني بكر بن الهيثم، قال: حدثنا النفيلي عبد الله بن محمد، قال: حدثنا سليمان بن عطاء، قال: لما فتح عياض بن غنم الرها، وكان أبو عبيدة وجّهه، وقف على بابها على فرس له كميت، فصالحوه على أن لهم هيكلهم وما حوله، وعلى أن لا يحدثوا كنيسة، إلا ما كان لهم، وعلى معونة المسلمين على عددهم، فإن تركوا شيئاً مما شرط عليهم، فلا ذمة لهم، ودخل أهل الجزيرة فيما دخل فيه أهل الرها»[4].

1 – المد بالضم مكيال، وهو رطلان أو رطل وثلث، أو ملء كفي الإنسان المعتدل، إذا ملأهما ومد يده بهما، وبه سمي مداً، الفيروز آباي، المصدر السابق، ج1، ص 373.
2 – البلاذري: فتوح البلدان، ص 179.
3 – المصدر نفسه، و الصفحة .
4 – المصدر نفسه، ص 176-177.

يجد الباحث أن تلك النصوص الثلاثة التي ذكرها البلاذري تبدو كأن كل واحدة منها تكمل الأخرى، فالاتفاقية مع أسقف الرها اشتملت كما ذكرنا على تفصيلات دفع الضرائب، وتعهدات المسلمين لهم بضمان الأمن والدفاع عنهم، وجاء في النص الثاني تعهد عام من قائد المسلمين في إقليم الجزيرة لضمان حريتهم وحقوقهم مقابل إبقائهم بما عليهم من شروط حددتها المعاهدة أو النص الأول، بينما جاءت في النص الثالث بنود تتعلق بالحقوق الدينية للنصارى وحدود حريتهم في ظل الدولة الإسلامية، وانفرد النص الثالث بذكر عبارة، «ودخل أهل الجزيرة فيما دخل فيه أهل الرها»[1]، وهو تأكيد أهمية الاتفاقيات التي أبرمت مع هذه المدينة ذات الأهمية الدينية والسياسية الكبيرة لدى عموم مدن الجزيرة الأخرى.

وروى القشيري معاهدة عقدها عياض مع أهل الرها، وفيها بعض الاختلاف عن النصوص السابقة وتشمل تفصيلات أكثر، وهي كما يلي:

«حدثني جعفر بن محمد عن فتح بن سلومة الجمراني عن إسماعيل بن يزيد القصير عن جعفر بن برقان عن معمر بن صالح عن العلاء بن أبي عائشة، قال: كنت عاملاً لعمر بن عبد العزيز على الرها، فجاءني كتابه أنه بلغني أن عند أهل الرها صلح الجزيرة، فابعث به إلي، حتى أنظر فيه، قال: فبعثت إلى أسقفهم، حتى أتاني به بدرج أو جرة، فقرأته فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم:

هذا كتاب لأهل الرها وأهل الجزيرة من عياض بن غنم عامل عمر بن الخطاب ﷺ، قد أتاها حتى وقف على بابها الشرقي على فرس أحمر محذوف في أربعة عشر فارساً، فدعاهم إلى الإسلام، فأبوا، فدعاهم إلى الصلح فأجابوه، وقالوا: على أن نشترط عليكم، قال: اشترطوا، قالوا: فإنا نشترط صليبنا وكنائسنا وطواحيننا وما كان لكنائسنا من غلة على أن يؤدى خراجها، قال عياض: ونحن نشترط عليكم، قالوا: اشترط، قال نشترط عليكم أن لا تضربوا ناقوساً إلا في جوف كنيسة، ولا تغيروا في بلاد المسلمين، وعلى أن تقروا ضيفهم يوماً وليلة، وعلى أن تحملوا راجلهم من رستاق إلى رستاق، وعلى أن نشاطركم منازلكم، ينزلها المسلمون، وعلى أن تنصحونا، فلا تغشونا، ولا تمالئوا علينا عدواً من غيركم، فإن وفيتم لنا وفينا لكم، وإن غدرتم بنا استحللنا سفك دمائكم وسبي

1 - المصدر نفسه، ص 176-177.

نسائكم، قالوا: فإنا قد رضينا، فإني أشهد الله وملائكته، وكفى بالله شهيداً، فأجابوه، فأعاده لهم عمر بن عبد العزيز رحمه الله»[1].

هذا النص الذي ذكره القشيري احتوى على تفصيلات كثيرة، وإن بعضها لم تكن هناك أي ضرورة لذكرها في معاهدات من هذا النوع كوقوف عياض على باب الرها الشرقي على فرس أحمر محذوف في أربعة عشر فارساً[2]، ولا يظن أن بعض هذه التفصيلات كانت معروفة، أو لم تكن على الأقل لتدخل في متن نصوص المعاهدات في تلك المرحلة بداية حركة التحرير، وإنما أملتها الحاجة أو التجربة لاحقاً، أي بعد استقرار حكم العرب المسلمين في تلك الأقاليم كتحديد فترة ضيافة المسلم،[3] و نقل الراجل من رستاق إلى رستاق[4]، إلى غير ذلك.

من جانب آخر يجد المدقق في جميع نصوص معاهدات الصلح الأخرى أن القائد الفاتح المحرر هو الذي يعلن مبادئه التي يحملها، ويحدد شروطه للصلح والسلام، ولكننا نجد في هذا النص أن أهل المدينة هم الذين بدؤوا بإعلان شروطهم قبل أن يقول عياض شروطه، وهو أمر يختلف عما ورد في النصوص السابقة، عموماً إن هذا النص يحمل في جوهره معاني الاتفاقيات أو النصوص السابقة وبنودها نفسها، ومن المرجح أنه قد صيغ أو وضع بعد ذلك.

وعلى أي حال فإن الاتفاقيات التي وردت عند البلاذري وغيره كانت قد نظمت العلاقة بين العرب المسلمين وسكان الجزيرة الفراتية، وكانت النواة التي أثمرت نظاماً اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، ترفرف فوقه رايات الحق والعدالة، نظاماً أعطى الإنسانية حضارة استمرت تنعم وترفل بأفيائها قروناً طويلة.

---

1 - تاريخ الرقة، ص 6-7.

2 - المصدر نفسه، ص 6.

3 - المصدر نفسه، ص 7 .

4 - المصدر نفسه، ص 7 .

الخاتمة

تعد هذه الدراسة لإقليم الجزيرة الفراتية قبل الإسلام ذات أهمية، لأنها كشفت عن أحداث حقبة تاريخية مهمة في تاريخ العرب، سبقت انطلاقتهم الحضارية الكبرى في مطلع القرن السابع الميلادي، فقد شهدت تلك الحقبة مرحلة التكون العربي الجديد، وتبلور الوعي القومي واستعداد العرب لحمل رسالتهم الإنسانية العظيمة، وكان هذا الإقليم قد استرعى اهتمام الباحثين من مؤرخين وجغرافيين، عرب وغير عرب، فعقدوا له الفصول في كتبهم، وتحدثوا عن مدنه وقراه وعن أحواله الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

لقد توافرت لهذه الدراسة مصادر مهمة ومتعددة، منها العربية الإسلامية، ومنها السريانية واليونانية القديمة، فضلاً على المصادر العربية النصرانية، وقد خصص الفصل الأول من هذا الكتاب لعرض نقدي لتلك المصادر.

وتميزت هذه المنطقة بموقع جغرافي فريد، وبأهمية حيوية من الناحيتين العسكرية والتجارية، فضلاً على ما حوته أرضها من خيرات وموارد مائية وفيرة ومحاصيل متنوعة، ساعدت على قيام حضارة عربية عريقة فيها منذ أقدم العصور، في الوقت نفسه الذي جعلها محط أطماع الدول الأجنبية الكبرى آنذاك، وهم الساسانيون والبيزنطيون.

لقد تواصلت هجرات القبائل العربية الحجازية العدنانية، ربيعة ومضر وبكر من شمال شبه جزيرة العرب إلى هذا الإقليم لأحوال وأسباب متعددة، بدءاً من القرن الثالث حتى القرن السادس الميلادي، وغدت لها أرض الجزيرة دياراً، سميت أسماء تلك القبائل، وقد سبقت هذه الهجرات هجرات عربية أخرى، بدأت وتواصلت منذ الألف الرابع قبل الميلاد، وكان مصدرها جميعاً شبه الجزيرة العربية، وكان الآراميون آخر تلك الأقوام العربية الذين استوطنوا في الجزيرة بين سنتي (1500-1200 ق.م)، وتركوا بصماتهم الحضارية والسياسية الواضحة في عموم المنطقة، وقد نجحت بعض القبائل العربية في إقامة دولة مستقلة وقوية وحظيت باهتمام الدول الكبرى آنذاك، فسعت إلى محالفتها وكسب ودها أحياناً، أو إلى مهاجمتها ومحاولة القضاء عليها أحياناً أخرى.

انتشرت الديانة النصرانية في إقليم الجزيرة الفراتية منذ القرون الأولى للميلاد، وتركت آثارها الواضحة في الحياة السياسية والاجتماعية فيه، وقد اعتنق قسم كبير من

سكان هذا الإقليم تلك الديانة إيماناً منهم بأنها كانت السبيل إلى معالجة مشكلاتهم الاجتماعية والنفسية، ونبذاً منهم لمعتقدات الشرك من وثنية ومجوسية، كانت منتشرة آنذاك، فمثّل ذلك حالة وعي حضاري بين سكان الجزيرة بقبولهم ديانة التوحيد، ما يفسر الموقف الذي اتخذوه من المحررين العرب المسلمين عندما اعتنقوا الإسلام بعد وقت ليس بطويل بعد تحرير الجزيرة الفراتية، وقد واجه النصارى في هذا الإقليم الاضطهاد الديني والسياسي قبل الإسلام في ظل تسلط الدولتين الساسانية والبيزنطية اللتين كانتا تحتلان أجزاء من الجزيرة.

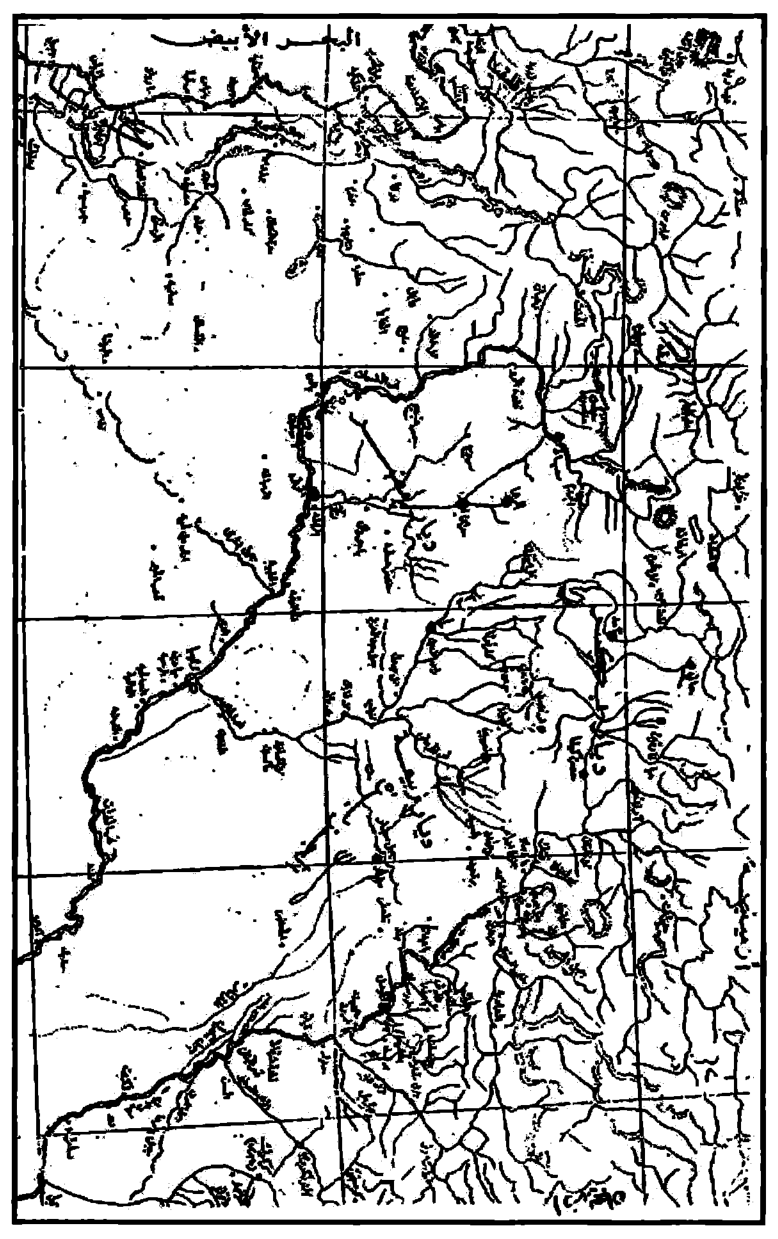
ومن الناحية السياسية شكل إقليم الجزيرة في ذلك العصر منطقة احتكاك وتصادم حربي بين الدولتين المتنافستين آنذاك، الساسانية والبيزنطية، ودارت على أرضه حروب ومعارك طاحنة بينهما طوال القرن السادس ومطلع القرن السابع الميلادي، كان موقف العرب وتأثيرهم السياسي خلال ذلك يزداد، ونفوذهم ووعيهم القومي يتعاظم، حتى راحت الدولتان تحسبان لهم حساباً خاصاً في تعاملها معهم، ففي الوقت الذي كانت فيه تتحالف مع هذا الطرف العربي أو تتقرب إلى ذاك كانت تمارس سياسة التفرقة والتهجير للقبائل العربية بغية تفتيت وحدتها وإضعافها أحياناً، أو تلجأ إلى أسلوب العنف والقوة للحد من قوتها ونفوذها أحياناً أخرى، ولكن العرب بفضل وحدتهم وإيمانهم برسالتهم تمكنوا في مطلع القرن السابع الميلادي من دحر هاتين الدولتين وتحرير الأرض العربية، فكان الانتصار العربي الكبير في معركتي القادسية واليرموك بداية لمرحلة جديدة في حياة العرب والعالم.

وقد حررت معظم مدن الجزيرة الفراتية صلحاً على يد القائد العربي عياض بن غنم سنة 18هـ/639 م، وهو ما يؤكد المستوى الحضاري الذي كان عليه أهل الجزيرة ورغبتهم في الحياة الآمنة والتحرر من النفوذ الأجنبي، كما كان ذلك استجابة للسياسة العربية والمبادئ السامية التي حملها المحررون العرب، وجسدت بعض جوانبها معاهدات الصلح التي أبرمها العرب المسلمون مع أهل الجزيرة، فكانت هذه المعاهدات تعبيراً عن روح العدالة والتسامح والاحترام التي جاء بها الإسلام الحنيف تجاه معتنقي الأديان الأخرى.

الملاحق

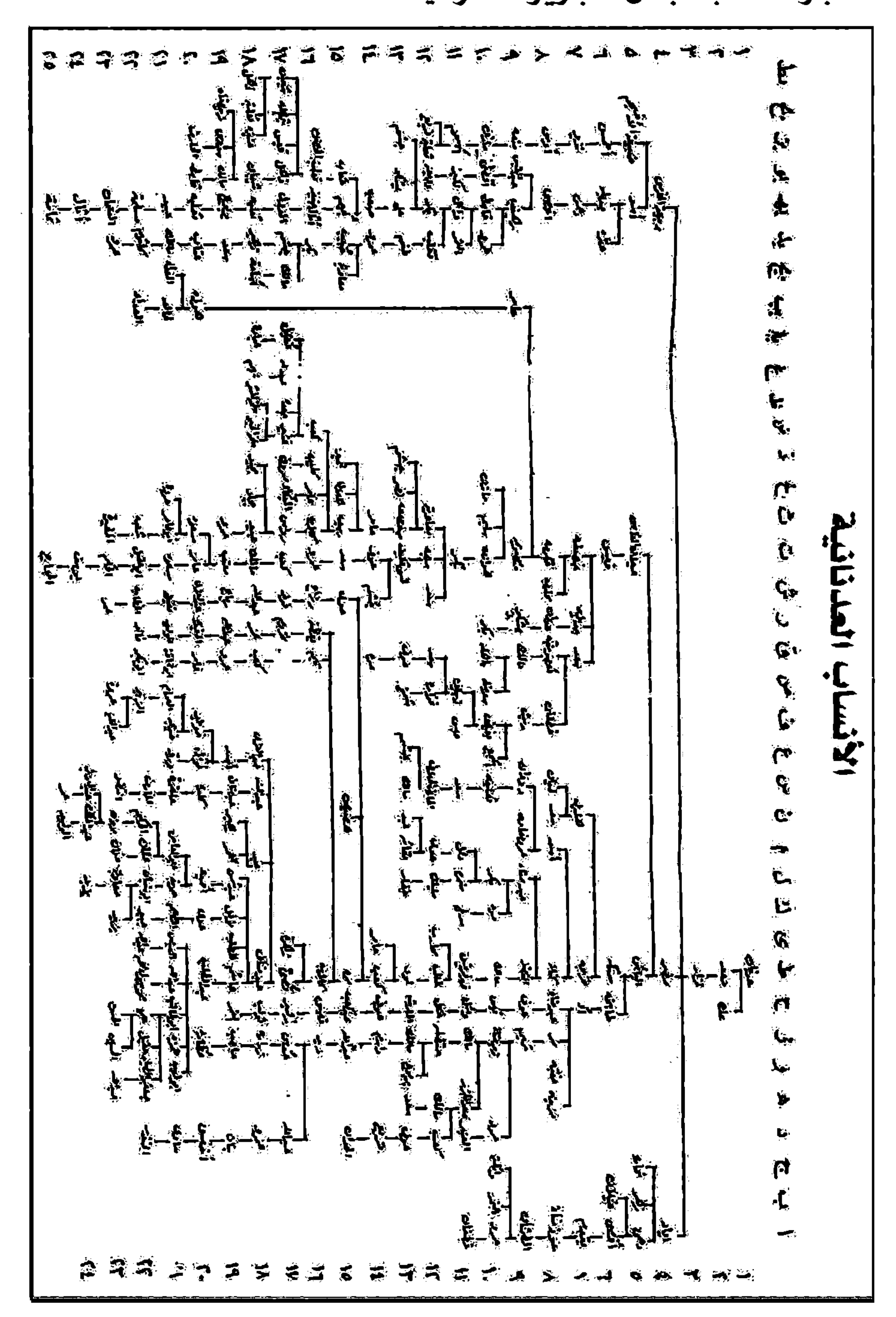
الملحق (1)

مصور الجزيرة الفراتية



الملحق (2)

شجرة أنساب قبائل الجزيرة الفراتية



الملحق (3)

بحث في نظرية الأنساب العربية للمؤلف

نظرية الأنساب العربية[1] بين المنهج التقليدي والمنظور القرآني

الأنساب سلاسل أسماء دعت إليها الحاجة الاجتماعية القبلية للتعارف والتمايز وهي في الواقع التاريخ الأنثروبولوجي عند الإنسان التقليدي، ويعود الرأي العربي في أصل العرب وطبقاتهم وأنسابهم إلى حقبة قديمة من تاريخ العرب قبل الإسلام،لا نستطيع تحديدها تماماً لعدم توافر مصادر معاصرة لتلك الحقبة، ولأن المصادر التي نستقي منها معلوماتنا عن هذا الموضوع متأخرة تقريباً، وكل ما يمكننا قوله إن العرب قبل ظهور الإسلام كان عندهم آراء ونظريات تشرح أصلهم، وتبين نسبهم،وقد انتقلت تلك الآراء والنظريات شفاهاً إلى عصر ما بعد الإسلام،وتحديداً عصر التدوين التاريخي (القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد)[2].

وقبل أن نبدأ بشرح الرأي العربي هذا ومناقشته يجب أن ننبه إلى أن كل معلوماتنا عن العصور التي سبقت ظهور الإسلام مستقاة من مصادر إسلامية متأخرة، دوّنت بعد مدة طويلة من الحوادث نفسها، وأن المؤرخين المسلمين نظروا إلى الكثير مما يتعلق بعصر ما قبل الإسلام من قناعتهم الإيمانية الجديدة، وربما عدلوا في الكثير من الأخبار بما يتفق مع نظرتهم التي اصطبغت بالصبغة الإسلامية، وهكذا لابد لنا من التحفظ في استعمالنا للمعلومات الواردة في المصادر الإسلامية عن عصر ما قبل الإسلام.

وجدير بالإشارة أيضاً أن الرأي العربي في أصل العرب دخله بعض التعديل في زمن الرسول ﷺ والعصور التي تلت، وأن الإسلام وما دعا إليه من فكرة الإخاء بين جميع المسلمين بقطع النظر عن عرقهم، والتساوي بين العرب وغير العرب، قد زعزع الكثير من الأركان التي كان يقوم عليها الرأي العربي في أصل العرب، ولم تعد نظرية العرق الصافي المنحدر من جد واحد الأساس الذي يقوم عليه المجتمع.

---

1 - نشر هذا البحث في مجلة الجامعة الأسمرية للعلوم الإسلامية، السنة الرابعة، العدد السابع سنة 2007م، زليتن ـ ليبيا، ص 547. 557 .

2 - ذلك أن القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، كان عصر فتوح وتأسيس لكيان الدولة العربية الإسلامية.

وقبل مناقشة نظرية النسب العربي، نحاول معرفة أصل كلمة (عرب)، ومن أين جاءت؟، ومتى ذكرت أول مرة في المصادر القديمة.

وردت لفظة (عرب) كثيراً في الوثائق الآشورية والبابلية منذ القرن الثامن قبل الميلاد بصيغ متعددة، منها Arbi Aribi،Urbi،، أي البادية التي في الغرب من بلاد الرافدين، وهي بادية العراق، ثم ظهرت لفظة عربايا Arbaya فيما يقرب من سنة 530ق.م أول مرة في النصوص الفارسية، أي البادية الفاصلة بين العراق والشام، ومنها شبه جزيرة سيناء، كذلك وردت اللفظة في الأسفار القديمة من التوراة، أي البدو، بينما كان السكان الحضر يسمون أسماء قبائلهم أو أسماء المواضع فيها، ثم أخذ اليونان يذكرون لفظة عرب في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد، فذكرها أسكيلوس سنة 546ق.م عند الإشارة إلى قائد عربي كان معروفاً في جيش أحشويرتش، ثم ذكرها هيرودوت في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، وقصد بها سكان شبه جزيرة العرب كلها، ومنها صحراء مصر الشرقية بين النيل والبحر الأحمر، وأصبح هذا اللفظ مألوفاً بعد ذلك عند جميع الكتاب اليونان، ولم يرد هذا اللفظ في المصادر العربية الأثرية الجنوبية اليمنية إلا متأخراً، فقد جاء في النقوش السبئية المتأخرة التي لا يرجع تاريخها إلى أبعد من القرن الأول قبل الميلاد[1]، أما أقدم ذكر للعرب في نقوش مستخرجة من شمال الجزيرة العربية فيقع في النقش المعروف باسم نقش النمارة الذي يعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد، وفيه نقرأ اسم امرئ القيس (ملك جميع العرب)، وهذا النقش مكتوب بطريقة الكتابة النبطية الآرامية[2].

أما أصل كلمة عرب فهو غير معروف تماماً مع التفاسير التي يقدمها علماء اللغة والفيلولوجيا[3]، وهناك أكثر من رأي واجتهاد فيها :

- يقول بعضهم إن الكلمة مشتقة من أصل سامي، معناه الغرب، وإن سكان ما بين النهرين كانوا أول من أطلقها على الأقوام التي تسكن غربي منطقة وادي الفرات.

وهذا الرأي صعب الإثبات، إذ من غير المقبول أن يسمي شعب نفسه اسماً مشتقاً من موقعه لدى شعب آخر[1].

---

1 - جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، 1968م، ج 1، ص 171.

2 - رينو ديسو، العرب في سوريا قبل الإسلام، ترجمة عبد الحميد الدواخيلي، لجنة التأليف والترجمة،القاهرة1959م، ص 62، 36، 86 .

3 - الفيلولوجيا : فقه اللغة.

ـ أما الكتّاب العرب الأوائل ومن نقل عنهم من المتأخرين فقد التزموا المنهج التقليدي في علم الأنساب لتفسير هذا الاسم، وهذا المنهج يرجع أسماء البلاد والشعوب إلى الجدود القدماء أو الأبطال الأسطوريين، فلقد قالوا:

❖ الترك هم أبناء ترك بن يافث بن نوح .

❖ والخزر هم أبناء الخزر بن يافث .

❖ والفرس أبناء فارس بن لاو بن سام .

❖والنبط هم أبناء نبيط بن ماش بن آدم .

❖ والسريان هم أبناء سريان بن نبط .

❖ وأسبانيا نسبة إلى الملك أشبان .

❖ وإفريقية نسبة إلى الملك أفريقش ملكِ اليمن الحميري أو الملكة إفريقية ❖ومصر نسبة إلى مصر أو مصرايم بن حام .

وهم في ذلك قد تأثروا بالتقاليد اليهودية المعروفة بالإسرائيليات، والتي تضع شعوب العالم في شجرة نسب واحدة، أصلها آدم أبو الإنسانية الأول، ثم نوح الأب الثاني لها[2].

ـ في هذا الإطار التقليدي للنسب أرجع عبيد بن شرية الجرهمي[3] وتبعه المؤرخون في ذلك[4] اسم العرب إلى جدهم يعرب، وهو ابن قحطان بن عابر الذي كان أول من تكلم باللغة العربية، ومنه تعلمها إخوته وبنو عمومته الذين تركوا بابل ليقيموا بجواره في اليمن، من عاد وثمود وجديس وعمليق وطسم وجرهم وغيرهم من الذين يطلق عليهم «العرب البائدة»[5] .

---

1 - نبيه عاقل: تاريخ العرب القديم وعصر الرسول،ط3، دار الفكر، دمشق، 1983م، ص46.

2 - الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف للنشر، القاهرة، 1968 ج 1، ص204 ـ 205.

3 - عبيد بن شرية الجرهمي، أخبار اليمن، ملحق بكتاب التيجان،حيدر آباد الدكن،1347 هـ، ص 314 ـ 319.

4 - للمزيد ينظر الطبري، ج1، ص 340، وما بعدها، المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م، ج1، ص 35، المقدسي، المطهر بن طاهر: كتاب البدء والتاريخ، باريس، 1903م ج4، ص 105 وما بعده .

5 - للمزيد من التفاصيل والمناقشة لهذا الموضوع ينظر ابن خلدون: كتاب العبر التاريخ، بيروت، 1965م، ج 1 ص 7 ـ 46.

ـ وهناك فريق من العلماء يرى أن كلمة (عرب) ذات صلة بكلمة rabha،A عرابا العبرية التي تعني الأرض المظلمة أو السهوب، أو بكلمة Erebh عيريب العبرية أيضاً التي تدل على الحياة الفوضى أو غير المنظمة التي هي عكس الحياة المنظمة التي يحياها السكان الحضريون، أو من كلمة A'bhar عابر التي تعني بالعبرية (تحرك) أو عبر، ومنها اشتق اسم اللغة العبرية[1].

إن الربط بين كلمة عرب وحياة البداوة والتنقل هو الأقرب إلى الواقعية في تفسير هذه الكلمة، لأن العرب أنفسهم والقرآن الكريم كذلك، استعملوا كلمة أعراب للدلالة على البدو الذين تعتمد حياتهم النجعة والارتحال على عكس سكان المدينة في الجزيرة الذين كانوا مستقرين، ويمارسون الزراعة والتجارة وغيرها من أعمال الحضر، ومن هنا جاء التفريق بين عرب وأعراب، إذ يقول تعالى شأنه : ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا ﴾ [2]، والأعراب تعني هنا البدو، كما جاء في كل تفاسير القرآن الكريم .

ملامح النظرية العربية في الأنساب:

إن النظام المفصل الذي وضعه النسابون العرب، وشرحوا فيه أصل أمتهم يبدو متماسكاً تقريباً ما في صياغته، ومقبولاً لدى الكثير من غير المختصين، بل هو الأكثر شيوعاً بين عامة الناس، مع كل ما فيه من ضعف، وفجوات أو تناقضات لا يجري معها انسجام النظام، ولا سيما للعصور القديمة من تاريخ العرب، ولا تأتي قيمة هذا النظام من كونه نظرية وضعها علماء الأنساب العرب، بل تأتي أيضاً من كونه الإطار الذي ترك أثراً واضحاً في الحياة السياسية والاجتماعية للأمة العربية خلال مراحل تاريخها قبل الإسلام وبعده.

لقد قسم نسابة العرب البشرية إلى ثلاث مجموعات كبرى من الأجناس، تنسب إلى نوح عليه السلام وإلى بنيه الثلاثة الذين تنسب إليهم كل الشعوب المعروفة، والتي تفرقت بين المشرق والمغرب، وهي كالتالي[3]:

- ❖ أبناء يافث: الترك، الصقالبة، الخزر، والسكسون والقوط،

---

1 - عاقل، مرجع سابق، ص،47 عبد الحميد، سعد زغلول، في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، 1976م، ص 78.77 .

2 - سورة التوبة :97.

3 - انظر عبيد بن شرية، مصدر سابق، ص321،وهب بن منبه: كتاب التيجان في ملوك حمير، حيدر آباد الدكن، 1347 هـ، ص 25.

❖ أبنـــاء حـــام: الكنعـــانيون، البربـــر، الأحبـــاش، الـــسودان، القـــبط، السند، والنوبة.

❖أما سام فكان له ولدان، هما أرفشخذ، وإليه ينسب العبرانيون، و إرم وإليه ينسب العرب، وهم موضوع بحثنا، وقد قسمهم النسابون إلى ثلاث مجموعات أو طبقات هي:

1 — العرب البائدة.

2 — العرب العاربة.

3 — العرب المستعربة أو المتعربة.

ويعنون بالعرب البائدة الشعوب العربية القديمة التي كانت تعيش في جزيرة العرب، ثم بادت ودرست أخبارهم بفعل الكوارث الطبيعية والحروب وعوامل أخرى، وهم في نظر النسابين السكان الأصليون للجزيرة العربية، وهم عاد و ثمود وإرم، وطسم وجديس التي انقرضت كلها قبل الإسلام(1)، والمعلومات عن هذه القبائل قليلة جداً، ويكتنفها في أكثر الأحيان الغموض .

وبعد أن يعرض النسابون معلومات مقتضبة عن هذه المجموعة أو الطبقة، أي العرب البائدة ينتقلون للحديث بإسهاب عن الطبقتين الثانية والثالثة، الذين يطلق عليهم العرب الباقية، ويرى النسابون أن هؤلاء العرب عرق لا جماعة من الناس فقط، يتكلمون لغة واحدة، وهذا العرق يتكون من أعداد لا حصر لها، وهم ينحدرون من أحد الجدين، قحطان وعدنان، ولا أحد يعلم هل هناك صلة قرابة بين هذين الجدين أم لا؟!، ولكن حيث إن جميع الناس ينحدرون من آدم، فإنه لا بد من وجود صلة قربى بينهما، ولو بعيدة، ودرجة القرابة هذه تتوقف على ما إذا كان قحطان هذا من نسل سيدنا إسماعيل الذي هو جد عدنان أم لا، وتكاد آراء النسابين تجمع على أن قحطان ليس من نسل إسماعيل، ويرجعون نسبه إلى سام بن نوح، والعرب الذين انحدروا من نسل قحطان هم الذين يطلق عليهم النسابون اسم العرب العاربة، أما نسل عدنان فهم العرب المستعربة أو المتعربة.

إذاً العرب العاربة بحسب هذه النظرية هم الراسخون في العروبية، وكانوا أول أجيالها، وينسَبون إلى قحطان أو يقطان أو يقطن الذي ورد اسمه في التوراة، وهو قحطان

---

1 - ابن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص 7، الطبري، مصدر سابق، ج1 ص 205 .

ابـن عـابر بـن شـالخ بـن أرفخـشذ بـن سـام بـن نـوح، وكـان موطنـهم الـيمن[1]، ويـسمون عرب الجنوب.

وأما العرب المستعربة أو المتعربة فينسبون إلى عدنان بن أدد من ولد نابت بن الهميسع ابن تيمن بن نبت بن قيدر بن إسماعيل بن إبراهيم، فهم بنو إسماعيل بن إبراهيم أو المعديون من ولد معد بن عدنان، وقد سموا بالعرب المستعربة لأن إسماعيل عندما نزل مكة كان يتكلم العبرانية، فلما صاهر اليمنية تعلم العربية[2]، ويطلق على هؤلاء اسم عرب الشمال.

هذا باختصار التقسيم الأكثر شيوعاً بين النسابين، وربما وجدت تقسيمات نسبية أخرى، لا تختلف كثيراً عنه، وإنما تعطي مثلاً اسم العاربة للعرب البائدة الذين انحدروا من نسل قحطان، أو تسمي أبناء قحطان العرب المتعربة، والعرب المنحدرين من نسل عدنان العرب المستعربة[3].

إن محاولة التوفيق بين هذه المعلومات تتطلب جهوداً مضنية على مر العصور، وقد لا يؤدي الاجتهاد فيها إلى نتيجة مرضية، لأن الاختلافات واضحة في أصول شجرة النسب وفروعها، فضلاً على أن النسابين، ومن بعدهم المؤرخون والكتاب أسهبوا في التفصيلات النسبية التي ملؤوا بها كتبهم، فتشابكت المعلومات، حيث أصبح عسيراً رسم خطوط واضحة حتى بين التقسيمات الكبرى لأجيال العرب.

التساؤلات والشكوك:

إن هذا النظام للنسب العربي مع أهميته وجد فيه الكثير من الضعف والغموض، فضلاً على الفجوات التي لا يمكن سدها، لذا كان مألوفاً أن تثار فيه شكوك علمية وتساؤلات منهجية كثيرة استناداً إلى الحقائق الآتية:

❖ لا أحد يملك أدلة علمية قاطعة تؤكد تلك التقسيمات أو تثبت بطلانها، ولكن هناك الكثير من المعلومات التاريخية الثابتة الصحة التي تتناقض مع بعض تفاصيل هذا التقسيم، منها مثلاً:

- ما يتعلق بالقحطانيين: أثبتت بعض الدراسات أن السبئيين كانوا من سكان الشمال، ثم هاجروا إلى الجنوب، واستقروا في اليمن، حيث أقاموا مملكتهم هناك، بينما يقول

---

1 - ابن خلدون، مصدر سابق، ج 2، ص 47 .

2 - المقدسي: البدء والتاريخ، ج4 ص، 105 .

3 - أحمد أمين: فجر الإسلام،القاهرة، 1957، ص 5 .

النسابون إن سبأ هو حفيد قحطان، ووالد حمير وكهلان، [الجدين الرئيسين لعرب الجنوب]، وإن الشعوب التي عاشت في ظل دول اليمن،المعينية، والسبئية،ثم الحميرية، كانت تعد حفدة لحمير، ولكن لم يكن لهؤلاء الذين انحدروا من صلب حمير دور مؤثر في الحقبة الإسلامية، بل كان هذا الدور الهام في هذا العصر لحفدة كهلان الذين كانت منهم قبائل طي ومذحج وهمدان والأزد، ومن فروع الأزد قبيلتا الأوس والخزرج، سكان يثرب قبل الإسلام، وأصبحتا بعد الإسلام تعرفان بجماعة الأنصار في مدينة الرسول المنورة، ومن أبناء كهلان الآخرين قبائل لخم[1] وغسان[2] وكندة[3]، وهي قبائل جنوبية استقرت في شمال الجزيرة العربية قبل الإسلام مدة طويلة، وهكذا نجد أن قبائل كثيرة من أصل جنوبي قد استقرت في نجد وشمال الحجاز، وعلى تخوم الشام والعراق، وأقامت لها ممالك مهمة، أصبح لها شأن كبير قبل ظهور الإسلام عدة قرون[4].

- وفيما يخص عدنان الجد المفترض لقبائل الشمال فإن قصة حياته أكثر غموضاً، لذلك تعددت أسماء أهل الشمال، فهم معديون (نسبة إلى معد بن عدنان) تارة، ونزاريون (نسبة إلى نزار حفيد عدنان) تارة أخرى، كما أطلقت عليهم المصادر أسماء أخرى، منها المضرية، أو القيسية، بحسب قائمة النسب تلك يكون مضر وربيعة، إلى ابني نزار، حفيد عدنان الفرعين الرئيسين لعرب الشمال، وأكثر فروع مضر شهرة في التاريخ قيس عيلان، الذين جاء منهم اسم ﴿القيسية﴾ كما يبدو، وصارت تعني كل عرب الشمال في أكثر المصادر، أما حفدة الابن الثالث لنزار وهو إياد فقد طمس ذكرهم، ولم نعد نسمع عنهم منذ قيام الإسلام، بينما حملت كتب التاريخ والأدب أخباراً مطولة عنهم تتحدث بالتفصيل عن قصة رحيلهم من موطنهم الأصلي تهامة قبل الإسلام نحو القرن الثالث الميلادي إلى سواد العراق، ثم إنهم استطالوا على الفرات حتى خالطوا أرض الجزيرة الفراتية[5].

تفرعت من قيس عيلان قبائل هوازن وسُليم، وإلى هوازن تنتسب قبائل ثقيف ومجموعة قبائل عامر بن صعصعة التي من قبائلها قشُير وعقيل وجعدة وكعب وكلاب وهلال، أما خندف وهي ثاني القسمين الذي تنقسم إليه مضر فتضم قبائل هذيل وتميم

---

1 - اللخميون أقاموا مملكة الحيرة غرب العراق .

2 - الغساسنة أقاموا دولتهم في بادية الشام .

3 - مملكة كندة قامت هذه المملكة في نجد وشمال الحجاز.

4 - انظر نبيه عاقل، مرجع سابق، ص 38 .

5 - البكري،أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي: معجم ما استعجم، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة، 1945م،ج1، ص69 ـ71.

وكنانة (وقريش أحد فروع كنانة)، وبحسب تلك الروايات فإن عرب الشمال لا يتصفون بدم عربي أصيل كعرب الجنوب، وإنهم مستعربون لا عاربة، إلا أن ظهور محمد بن عبدالله ﷺ خاتم الأنبياء وسيد المرسلين من بينهم (من قريش) منحهم شرفاً كبيراً، وجعلهم بعد الإسلام في صدارة القبائل العربية.

وقبل ظهور الإسلام زمناً غير قصير، القرن الثالث لميلاد المسيح تقريباً، هاجرت في أوقات متفاوتة ولأسباب متعددة قبائل شمالية من ربيعة ومضر وبكر من شبه جزيرة العرب نحو العراق والشام، فسكنت بعض قبائل مضر قرب الفرات في الأرض التي سميت ديار مضر نسبة إليهم، شمال شرق سوريا حالياً، بينما سكنت بعض قبائل ربيعة قرب دجلة في الأرض التي عرفت باسم ديار ربيعة، منطقة الموصل في العراق.

واستقرت قبائل بكر عند منابع دجلة والفرات شمالاً، فسميت المنطقة ديار بكر نسبة إليهم أيضاً، والتي ما زالت تحتفظ باسمها وملامحها العربية حتى اليوم جنوب تركيا، وتخلفت بعض القبائل في شبه الجزيرة ولم تهاجر، فاستقرت هذيل قرب الطائف، وسُليم في الجبال التي بين مكة والمدينة، بينما استقرت تميم وحنيفة وبعض قبائل عامر بن صعصعة في الوسط، وعبد القيس في الشرق، لذلك فإنه من العسير أن نحكم قطعياً على جهة القبائل العربية، لأنها كانت في حركة وترحال متواصلين لأحوال وأسباب متعددة[1].

ومن الضعف في نظرية النسب هذه:

- أنها تقّسم العرب أفقياً إلى ثلاثة أقسام، عاربة ومستعربة وبائدة، ثم تقسمهم عمودياً إلى أقسام منفصلة ﴿قبائل﴾، وكأن العرب وفق هذا التقسيم ليسوا شعباً واحداً، وإنما جماعات إنسانية اختلطت واستمرت خلال العصور الطويلة محتفظة بعناصرها المكونة من دون تفاعل أو امتزاج، إن هذا القول لا يمكن أن ينطبق على عرب الجنوب في اليمن، مثلاً الذين أمضوا في حياة الاستقرار والحضارة ما يزيد على العشرين قرناً، كما لا ينطبق ذلك إطلاقاً على عرب الشام والعراق .
- لا نجد ذكراً لأي من عدنان وقحطان في أي نقش أو أثر يمني قديم، أو ثمودي أو صفوي، وهي نقوش تعد بعشرات الألوف .

1 - عن حركة القبائل العربية ومنازلها قبل الإسلام ينظر البكري، المصدر السابق، ج1، الطبري، ج 2، ابن الفقيه الهمداني،أبو بكر أحمد بن محمد، مختصر كتاب البلدان، ليدن، 1302هـ.

- إن الشعر العربي الجاهلي قبل الإسلام والذي يحتل فيه التفاخر بالأصل والنسب مكانة مهمة لا يذكر عدنان ولا قحطان[1].

- لو أجرينا عملية حسابية بسيطة لأجداد القبائل الواردة في سلاسل النسب حتى ظهور الإسلام على أساس معدل معقول الأعمار 50 سنة مثلاً، لوجدنا أن أقدمها لا يتجاوز في الوجود أكثر من 500 سنة، وهذا ذاته يدعو للشك في صحة تلك الأنساب.

- إن ما نعرفه من الأنساب، على نحو فيه بعض التوسع والتفصيل هو ما يتعلق بقريش وبعض قبائل الحجاز، وتضعف المعلومات بوضوح، ثم تضطرب كلما ابتعدنا عن هذا المركز، وخاصة إذا وصلنا إلى اليمن أو العراق.

- لم يلاحظ علماء الأنثروبولوجيا وجود فوارق جسمانية بين العدنانيين والقحطانيين.

❖ مع كل ما ذكرناه، لم يصلنا أي أثر يشير إلى انقسام بين العرب في حياة النبي محمد ﷺ إلى تجمعين رئيسين.

❖ لم يظهر أي انقسام من هذا النوع بين العرب في عصر الخلافة الراشدة.

❖ لم يرد في الروايات الخاصة بتنظيمات عمر بن الخطاب ﷺ لديوان العطاء، الذي جرى ترتيبه على أساس القرابة من النبي ﷺ والسابقة في الإسلام ما يشير إلى انقسام أو تمييز بين القحطانية والعدنانية.

❖ كذلك لم نشهد مثل هذا التقسيم في توزيع الجيوش العربية في زمن الفتوح.

❖❖ وفوق كل هذه الشواهد فإن القرآن الكريم، وهو أهم مصدر عربي عن تلك الحقبة لم يفرق بين عرب قحطانية وعرب عدنانية، وكل ما جاء فيه أن العرب يرجعون إلى جد واحد هو إسماعيل بن إبراهيم، وأن إبراهيم عليه السلام هو أبو العرب، قال سبحانه وتعالى: ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[2].

---

1 - أورد المقدسي بيتاً من الشعر ينسبه إلى الشاعر المخضرم لبيد العامري المتوفى سنة (41هـ/ 661 م)، أي في مطلع العصر الأموي، يذكر فيه اسمي عدنان ومعد ويقول:

فَإن أَنتَ لَم تَصدُقكَ نَفسكَ فَانتَسِب لَعَلَّكَ تَهديكَ القُرونَ الأَوائلُ
فَإن لَم تَجِد مِن دونِ عَدنانَ باقياً وَدونَ مَعَدٍ، فَلتَزَعكَ العَواذلُ
أَرى الناسَ لا يَدرونَ ما قَدرُ أَمرِهم بَلى، كُلُّ ذي لُبٍّ إلى اللَهِ واسلُ

ولم أجد هذا البيت في مكان آخر، ينظر المقدسيَ: البدءَ والتاريخ،ج4، ص107،ومن المرجح أن هذا البيت قيل في وقت متأخر من حياته قريب من العصر الأموي بدليل النزعة الإيمانية في البيت الثالث.

2 - سورة الحج الآية 78.

إن الحجة التي استند إليها دعاة الانقسام إلى عدنانية وقحطانية هي تأصل العداء بين الجماعتين في الجاهلية والإسلام، وهي حجة ضعيفة، لأنه كان هناك عداء أيضاً بين القحطانيين والعدنانيين، وكيف يجوز لنا أن نتصور انقسام العرب إلى قسمين قحطانيين وعدنانيين انقساماً حقيقياً، وقد كانت القبائل تتحالف معاً وتتحارب ضد بعض بأحلاف قد تكون مزيجة من قحطان وعدنان؟، فإذا كان الأمر كذلك، وإذا كان العرب قحطانيين وعدنانيين أصلاً، فكيف تحالف جديلة وهي من طي من بني شيبان وهي من عدنان لمحاربة بني عبس؟، وكيف يفسر تحالف قبائل يمنية مع قبائل عدنانية لمحاربة قبائل يمنية أو لعقد تحالفات دفاعية هجومية معها ؟.

وننتهي إلى القول إن تقسيم العرب إلى عدنانيين ووقحطانيين أو قيسية ويمنية كما يسمى أحياناً عرف في العصر الأموي إبان النزاع الحزبي، وبعد شيوع نظرية التوراة في الأنساب، ورجوع النسابين إلى أهل الكتاب للأخذ منهم، كما يؤكد ذلك العلامة جواد علي[1]، رحمه الله، إذ إن الانقسام المذكور لم يكن له وجود في العصر الإسلامي السابق لزمن الخليفة الأموي الرابع مروان بن الحكم.

---

1 - جواد علي: المرجع السابق، ج1، ص195 .

مصادر ومراجع البحث

❖ — القرآن الكريم.

- أمين، أحمد،

2- فجر الإسلام، القاهرة، 1957م.

- البكري،أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي،

3- معجم ما استعجم، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة، 1945م.

- ابن خلدون،عبد الرحمن،

4- كتاب العبر، بيروت، 1965م.

- دسو، رينو،

5- العرب في سوريا قبل الإسلام، ترجمة عبد الحميد الدواخيلي، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1959م.

- ابن سعد،أبو عبد الله محمد،

6- الطبقات الكبرى،بيروت، 1957م.

- ابن شرية، عبيد الجرهمي،

7- أخبار اليمن، ملحق بكتاب التيجان،حيدر آباد الدكن، 1347 هـ.

- الطبري، محمد بن جرير،

8- تاريخ الرسل والملوك،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1968م.

- عاقل، نبيه

9- تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، دار الفكر، دمشق، 1983م.

- عبد الحميد، سعد زغلول،

10- في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، 1976م.

- علي، جواد،

11- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، 1968م.

-ابن الفقيه الهمداني، أبو بكر أحمد بن محمد،

12- مختصر كتاب البلدان، ليدن، 1302 هـ.

- المسعودي، أبو الحسين علي بن الحسين،

13- مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م.

- المقدسي، المطهر بن طاهر،

14- كتاب البدء والتاريخ، باريس، 1903 م.

- وهب بن منبه،

15- كتاب التيجان في ملوك حمير، حيدر آباد الدكن، 1347 هـ .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- الكتب المقدسة:

- القرآن الكريم.
- الكتاب المقدس (العهد القديم، العهد الجديد)، (لبنان، 1986م).

ثانياً- المصادر[1]:

المخطوطة:

الأصمعي: عبد الملك بين قريب بن علي بن أصمع الباهلي، (ت في حدود 210هـ- 830م).

- نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب، مخطوطة في مكتبة المتحف العراقي برقم 613.

الغياث عبد الله بن فتح الله البغدادي، (ت في حدود 883هـ/1478م).

- التاريخ الغياثي: مخطوطة في مكتبة المجمع العلمي العراقي برقم 567.

- المطبوعة:

ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن الكريم الشيباني، (ت 630 هـ/1232م).

- الكامل في التاريخ، 12 جزءاً، دار صادر، بيروت، 1965م.

الأخطل، غياث بن غوث، (ت 94 هـ - 712م).

- شعر الأخطل، تحقيق أنطوان صالحاني، ط2، (بيروت، 1910م).

ابن آدم، يحيى القرشي، (ت203هـ/818م).

- كتاب الخراج، المطبعة السلفية، (القاهرة، 1347هـ).

الأزدي، أبو زكريا يزيد بن محمد القاسم، (ت334هـ/954م).

- تاريخ الموصل، تحقيق علي حبيبة، (القاهرة، 1967م).

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين الأموي، (ت356هـ- 696 م).

- كتاب الأغاني، دار الثقافة، (بيروت، 1956م).

الاصطخري، ابن اسحاق إبراهيم بن محمد المعروف بالكرخي، (ت341هـ/952م).

- مسالك الممالك، (بريل، ليدن، 1927م)، طبعة أخرى، تحقيق محمد جابر عبد العال ومراجعة محمد شفيق غريال، دار العلم، (القاهرة، 1961 م).
- الأقاليم: (كوته، 1927م).

ابن أعثم، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي، (ت314هـ/926م).

- كتاب الفتوح، ثمانية أجزاء، ط1، (1968م، حيدر آباد الدكن- الهند).

بارشينايا إيليا، (القرن الحادي عشر الهجري /السابع عشر الميلادي).

- تاريخ إيليا بارشينايا، ترجمة يوسف حبي، (بغداد، 1975م).

ابن البطريق، سعيد بن بطريق الرومي، (ت 328هـ/939م).

- التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، (بيروت، 1905-1909م).

البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، (ت 487 هـ /1094 م).

- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة، (1945م).

البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر بن داوود البغدادي، (ت 279هـ/892م).

- فتوح البلدان، (القاهرة، 1959م).

1- رتبت هذه المصادر بحسب الحروف الهجائية مع عدم عدّ لفظة (ابن) أو (أبو) من أصل الكلمة.

ـ أنساب الأشراف (باعتناء دي كوتين، القدس 1936م).
التطيلي، بنيامين بن بونة النباري الأندلسي، (ت561-596هـ/1165-1173م).
ـ رحلة بنيامين التطيلي، ترجمه عن العبرية عزرا حداد، ط1، (بغداد1945م).
الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد، (ت429هـ/1037).
ـ غرر أخبار ملوك الفرس، تحقيق زوتنبرغ، (باريس، 1900م).
ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي، (ت245هـ/859م).
ـ المحبر، تحقيق إيلزه ليختن شتيتر، (بيروت، 1361هـ).
ابن حزم، أبو محمد بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، (ت456/1063م).
ـ جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، (القاهرة، 1971 م).
ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل النصيبي، (ت367هـ977م).
ـ صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، (بيروت د . ت).
ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بين عبد الله بن خرداذبة، (ت في حدود 300هـ /912م).
ـ المسالك والممالك، (بريل، ليدن، 1889م).
الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، (ت463هـ/1070م).
ـ تاريخ بغداد، (القاهرة، 1931م).
ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (ت808هـ/1405م).
ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر،6 مجلدات، (بيروت، 1956م).
ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، (ت681هـ/1282م).
ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط1، (القاهرة، 1948م).
الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي، (ت 387هـ/997م).
ـ مفاتيح العلوم، (القاهرة، 1342هـ).
ابن خياط، أبو عمر خليفة، (ت 240هـ/854م).
ـ تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط1، (النجف، 1967م).
الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داوود، (282هـ895م).
ـ الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة جمال الدين الشيال، (القاهرة، 1960م).
أبن رستة، أبو علي أحمد بن عمر، (ت بعد 290هـ/902م).
ـ الأعلاق النفيسة، (ليدن، 1891م).
الزبيدي، محب الدين أبو الفيض، (ت1205هـ/1790م).
ـ تاج العروس من جواهر القاموس، 10 أجزاء، المطبعة الخيرية، (القاهرة، 1306هـ).
الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد، (476هـ/1093م).
ـ شرح المعلقات السبع. ط2، (بيروت، 1972م).
ابن سرابيون، يوحنا، (ت288هـ/900م).
ـ عجائب الأقاليم السبعة، (فينا، 1929م).
ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن منيع البصري (ت 230هـ/844م).
ـ الطبقات الكبرى، 8 أجزاء، دار صادر، (بيروت، 1958-1960م).
ابن سعيد المغربي، نور الدين محمد بن بكر بن معلى بن بكر، (ت 719هـ/1319م).
ـ بسط الأرض في الطول والعرض، حققه خوان قرنيط خينبس، مطبعة كريماديس (تطوان، 1958م).
ابن سلام، أبو عبيد القاسم، (ت 224هـ، 838م).
ـ الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، ط1، (القاهرة، 1968م).
ابن سليمان، ماري، (ت في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي).

ـ أخبار فطاركة كرسي المشرق من المجدل، (روما، 1899م).
الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد، (ت 388هـ 998م)
ـ الديارات، تحقيق كوركيس عواد، مطبعة المعارف، (بغداد، 1951م).
ابن الشجري، هبة الله بن علي، (ت 542هـ/1147م).
ـ مختارات شعراء العرب، تحقيق محمد البجاوي، (القاهرة، 1975م).
الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، (ت 548هـ/1153م).
ـ الملل والنحل، تحقيق أحمد فهمي محمد، (القاهرة، 1948م).
الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/922م).
ـ تاريخ الرسل والملوك، 10 أجزاء، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، ط2، (القاهرة، 1960-1968م).
ـ تفسير الطبري، 14جزءاً، تحقيق محمد محمود شاكر، (القاهرة، د ـ ت).
ابن الطيب، أبو الفرج عبد الله، (ت 435هـ/1043م).
ـ فقه النصرانية، (لوفان، 1957م).
ابن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبد ربه بن عجيب القرطبي الأندلسي، (ت 328هـ939م).
ـ العقد الفريد، 7أجزاء، شرحه وضبطه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه أحمد الزين، إبراهيم الإبياري، ط3، (القاهرة، 1965م).
ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن البغدادي، (ت 739هـ/1238م).
ـ مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق محمد علي البجاوي، ط1، 3 أجزاء، (القاهرة، 1954م).
ابن العبري،غيريغوريوس أبو الفرج الملطي، (ت 685هـ/1286م).
ـ تاريخ مختصر الدول، طبعه ووضع حواشيه الأب أنطوان صالحاني، المطبعة الكاثوليكية،ط2، (بيروت، 1958م).
ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين الدمشقي، (ت 571هـ/1176م).
ـ تاريخ مدينة دمشق، تحقيق صلاح الدين المنجد، (دمشق، 1951م).
أبو الفدا، عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن علي محمود بن عمر الشافعي (ت732هـ/1331م).
ـ تقويم البلدان، (باريس، 1840م).
ابن الفقيه الهمذاني، أبو بكر أحمد بن محمد، (ت 289هـ/902م).
ـ مختصر كتاب البلدان، (ليدن، 1302هـ).
الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (ت 817هـ/1318م).
ـ القاموس المحيط، 4أجزاء، ط2، (القاهرة، 1952م).
ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، (ت 271هـ/884م).
ـ المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، مطبعة دار الكتب، (القاهرة، 1960م).
قدامة بن جعفر، أبو الفرج، (ت320هـ/932م).
ـ الخراج وصنعة الكتابة، (بريل، ليدن، 1889م).
القشيري، أبو علي محمد بن سعيد بن عبد الرحمن، (ت334هـ/945م).
ـ تاريخ الرقة، تحقيق طاهر النعساني، (حماة 1959م).
القلقشندي، ابن أبي العباس أحمد بن علي بن أبي اليمن القاهري، (ت 821هـ/1418م).
ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا، 14 جزءاً، دار الكتب، (القاهرة، 1922م).
ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب، (ت204هـ/819م).
ـ كتاب الأصنام، تحقيق أحمد زكي، (القاهرة، 1965م).
لقيط بن يعمر.
ـ ديوانه، تحقيق خليل إبراهيم العطية، (بغداد، د- ت).

ابن متى، عمرو الطيرهاني، (عاش في القرن 8 هـ / 14 م).
- أخبار بطاركة كرسي المشرق، (روما، 1806م).
المرجي، توما، ولد سنة (811-889 م).
- كتاب الرؤساء، ترجمة ألبير أبونا، المطبعة العصرية، (الموصل، 1969م).
المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، (ت 646هـ/1057م).
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق يوسف أسعد داغر، دار الأندلس، (بيروت، 1965م).
- التنبيه والأشراف، (بريل، ليدن، 1893م)، طبعة أخرى تحقيق عبد الله إسماعيل الصاوي، (القاهرة 1938م).
المقدسي البشاري، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، (ت 280هـ).
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، (ليدن 1901م).
المقدسي، المطهر بن طاهر، (ت 997م).
- البدء والتاريخ، (باريس، 1903م).
المنبجي غابيوس، بن قسطنطين الرومي، (القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي).
- العنوان المكلل بفضائل الحكمة والمتوج بأنواع الفلسفة الممدوح بحقائق المعرفة، تحقيق لويس شيخو، (بيروت، 1907م).
ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الحصري، (ت711هـ).
- لسان العرب، 5 أجزاء، دار صادر، (بيروت، 1959م).
مؤلف مجهول، (من القرن الأول الهجري / السابع الميلادي).
- التاريخ الصغير، تحقيق وترجمة الأب د. بطرس حداد، (بغداد، 1976م).
مؤلف مجهول، (عاش في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي).
- التاريخ السعردي، نشره أدي شير، (باريس، 1918م).
النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت732هـ/1311م).
- نهاية الأرب في فنون الأدب، 18 جزءاً، دار الكتب، (القاهرة، د. ت).
ابن هشام، محمد بن عبد الملك، (ت 218هـ/833م).
- السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، 4 أجزاء ط2، (مصر، 1955م).
الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد يعقوب، (ت 334هـ/945م).
- كتاب صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن عبد الله بن بلهد، (مصر، 1953م).
الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد المدني، (ت207هـ/822م).
- فتوح الشام، جزآن، مطبعة البابي الحلبي، ط4، (القاهرة، 1966م).
- حرب بكر وتغلب، (القاهرة، 1305هـ).
ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي، (ت 626هـ/1228م).
- معجم البلدان، 6 أجزاء، لايبزج، 1869م، طبعة أخرى 5 أجزاء، دار صادر، (بيروت، 1957م)
اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، (ت 284هـ/897).
- تاريخ اليعقوبي، دار صادر، (بيروت، 1960م)، طبعة أخرى، (النجف، 1964م).
يوسانيوس القيصري، (ت 340م).
- تاريخ الكنيسة، ترجمة القس مرقس داوود، (القاهرة، 1960م).
أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب، (ت182هـ/798م).
- الخراج، المطبعة السلفية، ط3، (القاهرة، 1382هـ).

ثالثاً- المراجع:

أبونا، الأب ألبير:

- أدب اللغة الآرامية، بيروت، (1970م).
- تاريخ الكنيسة الشرقية من انتشار المسيحية حتى ظهور الإسلام، المطبعة العصرية، (الموصل، 1973م).
- شهداء المشرق، ج1، (بغداد، 1985م).

أحمد، عبد السميع محمد:

- قوانين الملوك، منشورات كلية الآداب، (جامعة القاهرة، 1965م).

آرنولد، توماس:

- الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن وعبد الحميد عابدين، مكتبة النهضة المصرية، ط3، (القاهرة، 1970م).

الآلوسي، محمود شكري:

- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، (القاهرة، 1942م).

أمين، أحمد:

- فجر الإسلام، ط2، (القاهرة، 1933م).

آندوراس، إلياس:

- الكنائس الشرقية البيزنطية، مطبعة القديس بولس، (حريصا، 1931م).

أوبنهايم، ليو:

- بلاد ما بين النهرين، ترجمة سعدي فيضي عبد الرزاق، (بغداد، 1981م).

أوليري، دي لاسي:

- علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب، ترجمة د. وهيب كامل، مراجعة زكي علي، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، 1962م).

بابو، إسحق روفائيل:

- تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية في الأقطار العراقية إلى أيامنا، (بغداد، 1948م).
- مدارس العراق قبل الإسلام، (بغداد، 1955م).

باقر، طه:

- مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1، ط1، (بغداد، 1973م).

برصوم أغناطيوس أفرام الأول:

- اللؤلؤ المنثور في تاريخ الآداب والعلوم السريانية، ط3، (بغداد، 1976م).

بينز، نورمان بينز:

- الإمبراطورية البيزنطية، تعريب حسين مؤنس، محمد يوسف زايد، ط2، (القاهرة، 1957م).

تسران، الكاردينال أوجين:

- خلاصة تاريخية للكنائس الكلدانية، ترجمة القس سليمان صابر، (الموصل، 1939م).

التكريتي، محمود ياسين أحمد:

- الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة، (بغداد، 1981م).

جاد المولى، محمد أحمد، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم

- أيام العرب في الجاهلية، ط3، (مصر، 1942م).

حتى، فيليب وآخرون:

- تاريخ العرب المطول، ج1، ط2، (بيروت، 1952م).

حمادة، سعيد:

- النظام الاقتصادي في العراق، (بيروت، 1939 م).

حمادي، محمد جاسم:
- الجزيرة الفراتية والموصل، (بغداد، 1977م).
حمود، هادي حسن:
- منهج المسعودي في بحث العقائد والفرق الدينية، (بغداد، 1984 م).
الحيدر آبادي، محمد حميد الله:
- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط3، دار الإرشاد، (بيروت، 1969 م).
الخلف، جاسم محمد:
- جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية، ط3، (القاهرة، 1965م).
داوود، أقليمس يوسف:
- كتاب اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية على كلا مذهبي المغربيين والشرقيين، (مجلدان)، ط2، (الموصل، 1896/1898م).
الدرة، محمود:
- تاريخ العرب العسكري، (بيروت، 1964م).
الدمشقي، يوسف جرجيس:
- الشهب الصبحية في الكنيسة المسيحية، المطبعة العمومية، ط1، (مصر، 1901م):
ديسو، رينو:
- العرب في سوريا قبل الإسلام، ترجمة عبد الحميد الدواخيلي، لجنة التأليف والنشر والترجمة، (القاهرة، 1959م):
رستم، أسد:
- الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، جزآن ط1، دار المكشوف، (بيروت، 1955).
رشدي، زاكية محمد:
- ميخائيل السرياني وتاريخه الكبير، (1126-1199م)، عصر صدر الإسلام والعصر الأموي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، 1961م.
روزنثال، فرانز:
- علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح أحمد العلي، (بغداد، 1963م).
زيدان، جرجي:
- العرب قبل الإسلام، مراجعة وتعليق حسين مؤنس، (القاهرة، د - ت).
- التمدن الإسلامي، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت، د- ت).
السامر، فيصل:
- الدولة الحمدانية في الموصل وحلب، مطبعة الإيمان، (بغداد، 1970م).
سفر، فؤاد:
- الحضر مدينة الشمس، وزارة الإعلام، (بغداد، د - ت).
سوسه، أحمد:
- مفصل العرب واليهود في التاريخ، ط5، دار الرشيد، (بغداد، 1981م).
سيد، غازي:
- الأخطل شاعر بني أمية، ط3، (القاهرة، 1976م).
شريف، إبراهيم:
- الموقع الجغرافي في العراق وأثره في تاريخه العام حتى الفتح الإسلامي، مطبعة شفيق، (بغداد، 1962م).
الشهابي، مصطفى:
- الجغرافيون العرب، دار المعارف بمصر، (القاهرة، 1962م).

شيخو، لويس:
ـ النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، قسمان في مجلد واحد، مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين، (بيروت، 1912-1919م).
شير، أدي:
ـ الألفاظ الفارسية المعربة، المطبعة الكاثوليكية، (بيروت، 1908م).
ـ كلدو وآثور، مجلدان المطبعة الكاثوليكية، (بيروت، 1912 ـ 1913م).
الصايغ، سليمان:
ـ الحضر، مديرية الآثار العامة، (بغداد، د - ت).
ـ تاريخ الموصل، 3 أجزاء، المطبعة السلفية، القاهرة، (1953-1956م).
عبدال، أفرام:
ـ اللؤلؤ النضيد في تاريخ مار بهنام الشهيد، (الموصل، 1951م).
العبيدي، محمود عبد الله إبراهيم:
ـ بنو شيبان ودورهم في التاريخ العربي الإسلامي، (بغداد، 1984م).
عثمان، فتحي:
ـ الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، الكتاب الأول، (القاهرة، 1966م).
العريني، السيد الباز:
ـ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، (بيروت، 1983م).
علي، جواد:
ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 10 أجزاء، دار العلم للملايين، دار مكتبة النهضة، (بغداد، 1968-1973م).
علي، جاسم صكبان:
ـ نصارى العراق في العصر الأموي، أطروحة ماجستير مكتوبة على الآلة الكاتبة، كلية الآداب، (جامعة بغداد، 1974م).
العلي، صالح أحمد:
ـ محاضرات في تاريخ العرب، ج1، ط2 (الموصل، 1981م).
عياش، عبد القادر:
ـ الرقة كبرى المدن الفراتية، (دير الزور، 1968م).
غبريال، فولوس:
ـ الآداب السريانية، منشورات الجامعة اللبنانية، ج1، (بيروت، 1969م).
فيصل، شكري:
ـ المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجري، نشأتها ومقوماتها، تطورها اللغوي والأدبي، دار العلم للملايين، (بيروت، د . ت).
كامل، مراد:
ـ تاريخ الأدب السرياني، مطبعة دار المقتطف والمقطم، (القاهرة، د . ت).
كراتشكوفسكي، أغناطيوس يوليا نوفتشير:
ـ تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان، (القاهرة، 1963م).
كرستنسن، آرثر:
ـ إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، عبد الوهاب عزام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة 1957م).
كستر م. ج.:
ـ الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية، ترجمة يحيى الجبوري، دار الحرية للطباعة، (بغداد، 1976م).

لسترنج، كي:
ـ بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ـ مطبعة الرابطة، (بغداد، 1954م).
لوبون، غوستاف:
ـ حضارة العرب، ترجمة محمد عادل زعيتر، (القاهرة، 1364هـ/1945م).
ماجد، عبد المنعم:
ـ التاريخ السياسي للدولة العربية، (القاهرة، 1956م).
محمد، سوادي عبد:
ـ التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في أتابكيات الجزيرة الفراتية وعلاقاتها السياسية في القرن السادس الهجري، رسالة دكتوراه مكتوبة على الآلة الكاتبة، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، 1975م.
محمد، ماجد السيد ولي:
ـ منخفض الثرثار، دار الرشيد للنشر، (بغداد، 1979م).
المعاضدي، خاشع:
ـ دولة بني عقيل في الموصل، مطبعة شفيق، (بغداد، 1968م).
منا القس، يعقوب أوجين:
ـ دليل الراغبين في لغة الآراميين، مطبعة الآباء اليسوعيين، (الموصل، 1900م).
ميكافيلي، نيقولو:
ـ الأمير، تعريب خيري حماد، ط7، (بيروت، 1975م).
النص، إحسان:
ـ العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، دار اليقظة العربية، (بيروت، 1963م).
نصري، القس بطرس:
ـ ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان، مطبعة الآباء الدومينكان، (الموصل، 1905م).
نولدكه، تيودور:
ـ اللغات السامية (تخطيط عام) ترجمه عن الألمانية رمضان عبد التواب، دار النهضة العربية، (القاهرة، 1963م).
ـ أمراء غسان، ترجمة بندلي جوزي، قسطنطين زريق، المطبعة الكاثوليكية، (بيروت، 1933م).
وات، مونتغمري:
ـ محمد في المدينة، ترجمة شعبان بركات، (صيدا، بيروت د . ت).
الهاشمي، طه:
ـ مفصل جغرافية العراق، (بغداد، 1930م).
يعقوب مار، أغناطيوس يعقوب الثالث:
ـ الكنيسة السريانية الأنطاكية الأرثوذكسية، (دمشق، 1974م).

رابعاً- المقالات والأبحاث المنشورة:

أرملة، إسحاق:
ـ جثالقة المشرق ومفارنة السريان، (مجلة المشرق) المجلد 22، (بيروت، 1924م).
الأنطاكي، مار أغناطيوس أفرام الأول:
ـ القديس ماروثا التكريتي مفريان تكريت والمشرق929-949م، المجلة البطريركية السريانية، العددان الرابع والخامس، السنة الأولى، (دمشق، 1933م).
بابكا، أسطيفان:
ـ أبرشية حدياب في التاريخ، مجلة بين النهرين، مجلة فصلية تراثية حضارية، العدد 31، (الموصل، 1980م).
البطاينة، محمد ضيف الله:

- العلاقة بين نصارى العرب وحركة الفتح الإسلامي في الجزيرة العربية والشام والعراق، مجلة المؤرخ العربي، العدد 22، (بغداد، 1982م).
البكر، منذر عبد الكريم:
- دراسة في الميثولوجيا العربية، مجلة المؤرخ العربي، العدد 22، (بغداد، 1987م).
بيكر، س.أج:
- الجزية، دائرة المعارف الإسلامية، ج6، ترجمة أحمد الشنتاوي وآخرين، (مادة الجزية).
حبي، الأب يوسف:
- التواريخ السريانية، مجلة المجمع العلمي العراقي، العدد الخاص بهيئة اللغة السريانية، المجلد السادس، (بغداد، 1981-1982م).
روئيل، منصور:
- جدول أبرشيات كنيسة المشرق وأساقفتها، مجلة المجمع العلمي العراقي، العدد الخاص بهيئة اللغة السريانية، المجلد السابع، (بغداد، 1983م).
شوكت، إبراهيم:
- تحقيق نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي، قسم الجزيرة والعراق، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد 23، مستل، (بغداد، 1973م).
شيخو، لويس:
- التواريخ النصرانية في العربية، مجلة المشرق، السنة الثانية عشر، (بيروت، 1909م).
علي، جواد:
- موارد تاريخ المسعودي، مجلة سومر، المجلد الثاني، (بغداد، 1964م).
علي، جاسم صكبان:
- التاريخ العربي الإسلامي خلال المصادر السريانية العراقية، مجلة عالم الفكر، المجلد الخامس عشر، العدد الثالث، (الكويت، 1984م).
- الحياة الريفية في الجزيرة الفراتية في القرن الأول الهجري، مجلة المؤرخ العربي، العدد 11، (بغداد، 1985م)، ص 118-137.
فيي، الأب حنا.
- مصادر تاريخ كنيسة المشرق قبل الإسلام، ترجمه بتصرف الأب جاك إسحاق، مجلة بين النهرين، السنة الأولى، العدد الثاني، نيسان، (الموصل، 1973م).
كندرمان هـ:
- «تغلب» دائرة المعارف الإسلامية، ج5، «مادة تغلب».
- «ربيعة ومضر»، دائرة المعارف الإسلامية، ج10، «مادة ربيعة ومضر».
ميناس، روفائيل:
- الوثنية والمسيحية في الشرق، مجلة المجمع العلمي العراقي، عدد خاص بهيئة اللغة السريانية، المجلد التاسع، (بغداد، 1985م).
الهاشمي، طه:
- خالد بن الوليد في العراق، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الثاني، الجزء الثاني، (بغداد،1955م).

خامساً- المصادر الأجنبية:

Ali. J. S.

- The Christians of the Jazira، (17-132 A. H. 638-750A.D.) (Edinburgh، 1982) Unpublished thesis of Ph. D.

Bardaisan،

- The book of the laws of countries . Ed. By J.W. Drijvers، (Essen 1965).

Bar-Liebraeus،

- The Chronography. Trans، by W.Budge (London 1932).

Charles، H.

- Le Christianisme des Arabes nomads sur le limes et le de'set Syro-Mesopotamien (Paris 1936).

Cureton، W.

- Ancient Syrian Documents، (London 1864).

Doctrine of Addaeus

- In the journal of Sacred Literature and Biblied Record (London 1858)Vol. 107.

Duval، R.

- Histories Politique Religieuse et Litter'aire d'Edesse (Paris 1892)

Iso'yaba III.

- Libre Epistularum. Ed. By B. Duval (Paris 1904)

James of Edessa

- The Chronogical Canon. Ed. By E. W. Brooks، in (ZDMG). Vol. 53، p310 (Leopzig1899)

John of Ephesus (d. 58 A.D.)

- Ecelesiatical History. Ed. By J. P. Margoliouth (leiden 1909)

Joshua The Stylite

- The Chronicle of Joshua The Stylite. (Cambridge 1882)

Michael The Syrian

- Choronique de Michel le Syrien. 4 Vols.، ed. By J. B. Chabot (Paris 1899-1901).

Nau -F.

- Les Arabes Christiens de Mesopotamie et de Syrie du VI au VII Seicle (Paris 1933)

Samarraie، Husam Qawwan

- Agriculture in Iraq during the 3rd / 9th centuries (Beirut 1972).

Segal، J. B.

- Edessa and Harran (London 1963)
- Edessa The Blessed City (Oxford 1970)

Solomon Al-Basri

- The Book of The Bee. Trans. By W. budge (Oxford 1886)

Sozmen، (324-440 A.D.)

- Ecelesiastical History، (London 1846).

Strabo.

- The Geography of Strabo. Ed. And Trans، by H. C. Hamilton (London 1881)

Mahre، Dionysius (d. 845 A.D.)

- Chronique de denys de Tellmahre. Ed. And Trans. By J. B. Chabot (Paris 1895).

Trimingham J. S.

- Christianity among the Arabs in Pre-Islamic Times. (London 1979).

Unknown Historian (d. 6th century)

- Chronicle of Edessa. In the journal of Sacred Literature and Biblical Record، (London1864) Vol. 5.

Young W.G.

- Patriarch Shah and Caliph. (Rawalpindi 1974).

SUMMARY

MESOPOTAMIA

IN THE PRE-ISLAM

SUMMARY

I have chosen the topic «Mesopotamia in the Pre-Islam» because this region which is Arabic origin and ancient civilization was a field where important events took place across history and great Arabic civilization had risen in it centuries before Christ and continued after it. Its marks are still highly outstanding. This region also witnessed a bloody struggles among the powers in the Arabic land. The last of these struggles was between the Sassanian and Byzantine sates throughout the sixth century still the Arab Muslims liberated Mesopotamia in the beginning of the seventh century (A.D.). They were able to push the invaders out of the region in the middle of which boundary line passed، in addition، the sixth century generally represented an importance in the Arab's history because it was the period that came immediately before the great uprising of their civilization، witnessed the stage of the new Arabic entity and crystallizing of the national feeling، because of what the attitude of rejection and resistance against the foreign existence expressed the tendency towards liberation and cultural uprising.

Below is an exposition of the important information the chapters of this thesis include.

This research falls into six chapters. The first chapter is an analytical study of the specific sources of the history of al-Jazeerah

The first part of the second chapter covers the geographical side of Mesopotamia and what relates to its name، boundaries، reliefs، and water resources. The second part deals with the importance of the strategical position of Mesopotamia which formed a land bridge joining east and west through which the world trade lines passed in all directions. This part also include the economical importance of Mesopotamia and the prosperity and abundant crops its land had. Because of that، it became then the aim of the great powers greediness، therefore their attempts were continuous to dominate and occupy it.

The third chapter gives an account of the immigration of the Arab tribes Al-Hijaziah (Al-Adnanyyah) to Mesopotamia، the ancient Arabic existence in it، and the cultural marks lift by the ancient Arabs (Arameans) in this region. It also mentions the rising of the number of independent Arabic kingdoms in it. I have written in this chapter about the descendent origin of the Arabic tribes immigrating to Mesopotamia and their original home in Arabic Peninsula before immigration and homes in Mesopotamia in which they settled. Those homes were:

Dyar Baker،

Dyar Mudhar،

and Dyar Rabiaa.

In the fourth chapter I have discussed the religious life in any community، referring briefly at the same time، to the main religions existed in Mesopotamia. Then in details I give in this chapter an account of Christianity as one of the commonest religions in that region since the early centuries after Christ، which lift its social marks early on life in this region. There is also a mentioning of the spreading of Christianity among the Arab tribes and the differences that appeared in this religion and crystallized in the shape of different sects and groups in the sixth century after Christ besides، I have mentioned what torturing and bad treatment the Christians faced under the dominant powers، Byzantines and Sassonians that shared the occupation of Mesopotamia which continued till the uprising of Islam and the liberation of Al-Jazeera in 18 A.H/639A.D.

The fifth chapter covers the political life in this region. It discussed the political development in the world and that area in particular. Then it goes to the struggle of the great powers for Mesopotamia، the Arabic condition in the sixth century A.D.، The crystallization of national feeling and increase of rejecting and resisting the foreign existence in spite of the hostile attempts to stop that resistance، and how they endeavored to break down the unity of the Arabic tribes. This chapter covers in detail the wars that broke out between the Sassins and the Byzantines on this land during the sixth century A.D.، aiming at possessing and dominating it. This chapter explains how those powers felt towards the Arabs and how they gave then special concern for dealing with them. At the same time they feared the Arab's danger on them and felt continuous of it، till the Arab reached the stage which enabled them to carry out the heaven's message in the early years of the seventh century. They were also able to liberate the Arabic land، defeat the greatest two powers in the world in that time، and spread the Islamic banner all over the world.

In the sixth and the last chapter I have discussed the liberation of Mesopotamia in the year 18 A.H./639A.D. by the Arabic leader A.bin Ghanum، describing the Arabic attitude after the great victory in the two battles of Al-Qadisyaah and Al-Yarmouk. This chapter has also shown the stages of liberation of Al-Jazeerah، Mesopotamia، and the supreme human principles which were followed by the Arabic liberation movement and its attitude towards other religions، and in particular the Christians of Al-Jazeerah. In addition a study of the Arabic tribes' attitude towards the liberation movement is included. At last، I have discussed and analyzed treaties of peace and reconciliation which were signed between the leaders of Al-Jazeerah liberation and people of the liberated cities، pointing out the supreme principles carried by the Arab liberators wherever they went and settled.

المؤلف :

❖الدكتور عبد الحكيم غنتاب الكعبي.

❖مكان وتاريخ الميلاد : العراق 1951.

❖أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية /جامعة البصرة/الجامعات الليبية.

❖ماجستير تاريخ إسلامي /جامعة البصرة 1988.

❖دكتوراه دولة تاريخ إسلامي بتقدير امتياز ﴿مشرّف جدا﴾، جامعة تونس الأولى، 1997.

المؤلفات

❖عصر النبوة، الأردن 2003.

❖عصر الخلفاء الراشدين، الأردن 2003 .

❖دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، ليبيا 2005.

❖الدولة العربية في صدر الإسلام، (تحت الطبع).

❖البصرة من المعسكر البدائي إلى الدور التجاري ﴿منجز/تحت الطبع﴾.

❖نشر العديد من البحوث والمقالات المتخصصة في مجلات علمية في العراق والأردن وتونس وليبيا والكويت والبحرين.

❖ أشرف ويشرف على عدد من الرسائل العلمية الجامعية، كما ناقش العديد منها في جامعات مختلفة، وشارك في مؤتمرات علمية عربية وعالمية.

❖مقيم خارج العراق ﴿تونس ـ ليبيا﴾ منذ 1991 .

من إصدارات

صفحات للدراسات والنشر

نحو فكر حضاري متجدد

سورية ـ دمشق ـ ص.ب: 3397

هاتف 2213095 تلفاكس: 00963112233013

www.darsafahat.com info@darsafahat.com

1) **اعترافات بهائي مرتد، د.منذر الحايك، 2010م.**
2) **تاريخ الصحافة والإعلام في العراق منذ العهد العثماني وحتى حرب الخليج الثانية 1816-1991م، د.خالد حبيب الراوي، 2010م.**
3) **الأعياد في حضارة بلاد وادي الرافدين، د. راجحة خضر عباس النعيمي،2010م.**
4) **فلسفة التاريخ عند ابن رشد، مشحن زيد محمد التميمي، 2010م.**
5) **صنّاع الحضارة تاريخ الحضارة الإنسانيّة عبر أعلامها،د.محمد جمال طحان ،2010م.**
6) **شيفرة ناستراداموس الحرب العالمية الثالثة 2006-2012، مايكل راثفورد ـ ترجمة وتعليق محمد الواكد.2010م.**
7) **السحر والخرافة وموقف الإسلام . د.حسن الباش2010م.**
8) **الدولة العربية في صدر الإسلام، د.عبد الحكيم الكعبي . 2010م.**
9) **ظواهر حضارية وجمالية من التاريخ القديم، الدكتور فوزي رشيد،2010م.**
10) **منهج القرآن في الرد على المخالفين من اليهود والنصارى، د.نادية الشرقاوي،2010م.**
11) **سقوط الإمبراطورية العثمانية وتكوين الشرق الأوسط الحديث . ديفيد فرومكين . ترجمة: وسيم حسن عبده، قراءة وتقديم د.منذر الحايك 2009م.**
12) **ديوان القدس، من أجمل ماقيل في القدس الشريف، أوس داوود يعقوب، 2009م.**
13) **محمود درويش ... مختارات شعرية ونثرية، أوس داوود يعقوب، 2009م.**
14) **أحمد مطر الأعمال الشعرية (سيرة شاعر انتحاري)، أوس داوود يعقوب، 2009م.**
15) **نزار قباني ومختارات منوعة، أوس داوود يعقوب، 2009م.**
16) **خديعة مخطوطات البحر الميت . مايكل بيجنت . ترجمة وتعليق وسيم حسن عبده .2009م.**
17) **الجزيرة الفراتية وديارها العربية(ديار بكر، وديار ربيعة، وديار مضر)دراسة في التاريخ الديني والسياسي والاجتماعي قبل الإسلام . د.عبد الحكيم الكعبي . 2009م.**

تقع الجزيرة الفراتية في قلب العالم القديم، بين أعالي نهري دجلة والفرات، وهي بذلك تحتل الجزء الشمالي الغربي من أرض العراق، والشمالي الشرقي من سوريا، وقد أطلق عليها البلدانيون العرب اسم «الجزيرة»، وورد ذكرها في الكتاب المقدس «سفر الخليقة» باسم «أرض شنعار»، ويدعوها الكلدان «بيث نهر أواثا» أي بين نهرين، وأطلق عليها اليونان اسم «Mesopotamia ميزوبوتاميا»، ويبدو أن المؤرخ اليوناني بوليبوس (202-102 ق.م) كان أول من استخدم هذا المصطلح (Mesopotamia)، ثم تبعه الجغرافي المعروف سترابو (64 ق.م — 25 م)، ويقصد به ذلك الإقليم المحصور بين أعالي نهري دجلة والفرات ومنابعهما، وهو يرادف مصطلح الجزيرة الذي أطلقه البلدانيون العرب على الإقليم نفسه، تعد هذه الدراسة للأحوال الاقتصادية والدينية والسياسية والاجتماعية للجزيرة الفراتية قبل الإسلام ذات أهمية كبيرة، كونها كشفت عن أحداث حقبة تاريخية مهمة في تاريخ العرب، سبقت انطلاقتهم الحضارية الكبرى في مطلع القرن السابع الميلادي، وقد توافرت لها مصادر مهمة ومتعددة، منها العربية الإسلامية ومنها السريانية واليونانية القديمة، فضلاً على المصادر العربية المسيحية.

18) الجدار بين نبوءات القرآن ونبوءات التوراة، وسام الباش، تقديم د.حسن الباش،2009م.

هل يبني اليهود الجدار وفقاً لإرث توراتي؟ علاقة بني إسرائيل بالحصون والأسوار منذ الخروج وحتى السبي البابلي؟ موسى عليه السلام وبنو إسرائيل، (الجدار وفكرة الخلاص الأولى في أثناء الخروج)؟ حصون المدن التي غزاها العبرانيون حقيقة أم خيال ؟ نبوءات السبي والسبي البابلي بين تدمير الحصون وبناء الأسوار؟ تدمير دمشق والمدن الحصينة في إفرايم؟ نبوءة عقاب بابل بسبب سبي الإسرائيليين وتقويض أسوارها؟ نبوءات تدمير حصون دمشق وغزة وأدوم وصور وموآب وعمون ويهوذا والسامرة لعاموس؟ نبوءات أسوار أورشليم قبل السبي وفي أثنائه؟ اليهود في الجزيرة العربية، وقصة أخرى لعلاقة اليهود بالحصون والأسوار؟ الحصون اليهودية في الجزيرة العربية، لماذا بنيت ؟ ومتى ؟ هل يبني اليهود الجدار الفاصل تلبية لأمر إلهي؟ الجدار الفاصل خلاصة التاريخ الديني والنفسي والاجتماعي والسياسي لبني إسرائيل؟ كيف بشر القرآن بنهاية جدرهم؟

19) إراءة التأويل ومدارج معنى الشعر، عبد القادر فيدوح 2009م.

إذا كان مقياس الرؤية الموجهة سبيلاً للوصول إلى الحقيقة في نظر المفسرين، فإن ذلك في نظر المؤولين يجرد النص من إمكان تحققه أنّى شاء، وفي ظل هذه الظرفية يعد جهد المؤول مسوغاً طبيعياً لاكتناه سياق باطن النص الذي تستلطفه الذات، وتستجلبه المتعة، حيثما كانت، لمعانقة المأمول والتوق إلى المبتغى، في مقابل الوضع بالمعمول، والشعور بالسأم الذي فرضه المدلول المعيَّن، وفي ظل هذا التصور المحض يأتي المؤول ليرأم المسؤوم من معهود النص، ويتعامل مع المضمر الخفي الذي يتحد مع ما يشغل رؤاه في استبطانها الكشفي، أي من تجسيد فاعلية الحدس والرؤية التأملية، رغبة منه في تجاوز ظاهرة « النص وثيقة» أو «مدونة تاريخية».

20) إشكالية الترجمة،د. ياسمين فيدوح بوربيع،2009م.

تشهد الدراسات الحديثة في مجال الترجمة الكثير من التطور مع الخلاف البيّن بينها وبين الأدب المقارن الذي كان يَعُدُّ نفسه دوماً رسولاً للعالمية بتجاوزه الحدود ومد الجسور، إلى أن تنامت ظاهرة الترجمة في السبعينيات من القرن العشرين والتي تعد نفسها أيضاً رسالة هذا الرسول بركوبها صهوة النقل، فأخذتها أَخْذة رابية، بتبنيها نقل النص من لغة المصدر إلى لغة الهدف، واستيلائها على قمة ما توصلت إليه الدراسات المقارنة، فترتب على ذلك اختلاف في وجهات النظر.

ما العلاقة بين دراسات الترجمة والأدب المقارن؟، وهل دخل حقل الأدب المقارن في لا معقولية التواصل معه، بعد أن عُدّ نشاطه مؤخراً هامشياً؟، وهل ما زال يصارع وضع القالب الشكلي الذي حَصَرَ نفسَه فيه؟، وهل الأدب المقارن في وضع حَرِج من تنامي دور الترجمة؟، وهل أصبحت الترجمة تخترق فعلاً الحدَّ الفاصلَ بينها وبين الأدب المقارن؟، وما الذي جعل الترجمة تتداخل مع الدراسات المقارنة؟، أم إن هناك اهتمامات مختلفةً في المنهجية بينهما؟، وما الذي يميزها في تجاوز علاقتها بالأدب المقارن؟، وهل أصبحت الدراسات الترجمية حقلاً دراسياً بيّناً، وحاجة ماسة لإغناء اللغة المحلية وتطويرها بفعل التأثيرات المتبادلة؟، وما مكانة الثقافة الوطنية في ظل التحولات الفكرية التي تدعو إليها ثقافة الهدف؟، وهل الترجمة وفية في مهامها؟، أم إنها ـ وفق تعبير القول الفرنسي المأثور ـ كـ «الخائنات الجميلات» «Les belles infidèles» في خيانتها للنص الأصلي. وإذا كانت هذه الأسئلة هي ما يسوقه متن البحث في محاولة للإجابة عنها، إما مباشرة وإما ضمناً، فإنها كانت الحافزَ الذي شجع د.ياسمين على اختيار هذا الموضوع.

21) من قضايا الفكر اللساني في النحو والدلالة واللسانية ، صابر الحباشة،2009م.

يحاول هذا الكتاب أن يتطرّق إلى بعض المسائل التي تهمّ اللسانيات والبلاغة والتداولية والأسلوبية والنحو وفلسفة اللغة، باقتراح بعض التصوّرات التي تعبّر عن رغبة جامحة في تطوير الرؤية إلى مختلف فروع اللغة العربية، ولا سيما ما اتصل منها بالعلوم الدلالية. ويجد القارئ في هذا الكتاب طرحاً لمشكلات العلاقة بين القراءة والكتابة، والأسلوبية والتداولية، ومقارنة بعض نظريات الجرجاني وبما جاء به أوستين في موضوع صور المعاني، كما يطرح هذا الكتاب جزءاً من التحليل الحديث للمعنى في بعض النظريات اللسانية.

22) التعددية الفكرية وشرعية الاختلاف ـ د.عبد الحكيم الكعبي ـ 2009م.

إن الوسطية الإسلامية وما يتصل بها من معاني التعددية وشرعية الاختلاف تعد ركناً مهماً من مشروع الإسلام الحضاري الرافض لكل أشكال التطرف الذي يصادر الحقيقة باسم الدين، ويشرّع للاستبداد والعنف، ويفرض الرأي، ويحرّم المشاركة، سواء في العلم أم في السلطة. وليس ثمة شك في أن الإسلام، وهو يقر ابتداء بشرعية الاختلاف وحقيقته بين الناس والمعتقدات، يؤكد قيمة الشراكة وأهمية التعايش والحوار مع الآخر.

23) الفكر الشيعي المعاصر، رؤية في التجديد والإبداع الفلسفي،(الصدر، المدرسي، الميلاد) نماذج، علي عبود المحمداوي،2009م.

يعرض المؤلف ما قدمه مفكرو الشيعة في مجال الفكر الفلسفي (بمقولاته الكلاسيكية أو المعاصرة) من منظور هذه المدرسة، والتي نحددها زمنياً بالفترة المعاصرة (والتي أصبحت تقاس من بدايات القرن العشرين إلى مزامنة أيامنا الراهنة من القرن الحادي والعشرين)، ما الفكر الشيعي، الإسلامي؟، وهو الفكر الديني الذي يتبنى القواعد والمنهجيات التي ترتبط بالشيعة الاثني عشرية الذين يؤمنون بمسألة الإمامة بعد النبي محمد إلى آخر السلالة، ونماذج بحثنا (محمد باقر الصدر، و محمد تقي المدرسي، و زكي الميلاد) مثلوا هذا الفكر من جهات عدة، منها الأسس والمنطلقات في مصدرية التشريع والخطاب لديهم باعتمادهم أقوال الأئمة الاثني عشر وأفعالها وتقاريرها، وأخرى غيرها من المشتركات التي يشترك فيها الفكر الإسلامي عموماً، كالتسليم بعصمة النص القرآني واعتماد قول النبي وفعله وتقريره.

24) الإسلام وصراع الحضارات، محمد بن موسى بابا عمي. 2009م

يتضمن هذا الكتاب جملة من البحوث والملاحق، أوحى بها مسار الفكر المنحرف لمن انساق وراء نظرية، (صراع الحضارات)، فكانت محاولة من المؤلف، اعتمدت القرآن الكريم منطلقاً ومنهجاً، والسنة النبوية مثالاً وأنموذجاً للتأسيس لعصر جديد، بدأ يلوح فجره بعد إخفاق الهجمة التي قادتها أمريكا بزعامة المسيحيين المتهودين، وتبشيرهم بحرب صليبية جديدة ضد الإسلام الذي صوروه دين عنف وإرهاب، فانقلبت عليهم، وأثبتت زيف ادعاءاتهم وإخفاق نظريتهم، والعصر الجديد الذي ستكون قيادات أمريكا الحالية خارجه على نحو مؤكد يحتاج إلى حوار حضارات، ينطلق من هذه البحوث التي تبني ثقة متبادلة، تؤدي إلى تكامل حضاري، يهدف إلى خير الإنسانية وسعادتها.

25) القرآن الكريم والقراءة الحداثية دراسة تحليلية نقدية لإشكالية النص عند محمد أركون، الحسن العباقي ،2009م.

إن أعمال محمد أركون لم تستطع التخلص من الطروح التبشيرية والاستشراقية القديمة، بل إنه قد أضاف إلى تلك الطروح أسلوباً استفزازياً مليئاً بالقدح والتجريح والقذف، ما ينمّ عن العجز عن تقديم البديل، مع الركون إلى التّكرار و«التبشير» بالعلوم الإنسانية والقراءة الحداثية بعيداً عن ضوابط القراءة مع الغفلة عن الخصوصيات التاريخية والفكرية، ما يجعل كل أعمال أركون عن الفكر الإسلامي نموذجاً ممتازاً للفكر الإسقاطي البعيد عن الضوابط المنهجية المراعاة في العلوم الإنسانية عامة، خاصة إذا أدركنا طغيان النزعة النسبية لديه، والتي تكرسها الرؤية العلمانية التبسيطية للأديان. ولا شك في أن هذا الكتاب يضعنا أمام تلك المشكلات التي برزت منذ أواخر القرن العشرين إلى الصدارة، وأصبحت لا تقل أهمية عن القضايا السياسية أو الاقتصادية، إنها المشكلات الحضارية التي يشكل الدين والهوية والقيم أهم تجلياتها، حتى صارت السنوات الأخيرة من القرن العشرين وهذه السنوات العجاف الأولى من هذا القرن سنوات صراع القيم والمفاهيم الأخلاقية والسياسية، ما يتطلب ضرورة التسلح برؤية فلسفية، ومنهجية نقدية قادرة على التمييز بين الصريح والمضمر، بين العلمي والإيديولوجي، فيما تعج به الساحة الثقافية والإعلامية والتربوية والسياسية من خطابات ومشاريع إيديولوجية.

26) قواعد اللغة الأكدية . د.فوزي رشيد 2009م.

اشتقت تسمية اللغة الأكدية من اسم الأقوام الأكدية، وهي أولى الأقوام الجزرية المعروفة التي استوطنت أواسط وجنوبي العراق منذ مطلع الألف الثالث قبل الميلاد، وقد استخدمت تسمية (اللغة الأكدية) لأول مرة من قبل العالم رولنصن عام (1852)، للدلالة على اللغة الثنائية التي تضمنتها النصوص ثنائية اللغة المكتشفة في مدينة نينوى وغيرها ثم تبين خطأ هذه التسمية حيث أتضح أن لغة تلك النصوص هي في الواقع لغة الأقوام السومرية، وبعد أن عرف تاريخ الأكديين وتاريخ دولتهم الأكدية استخدمت التسمية بمعنى ضيق ومحدود للدلالة على لغة الأقوام الأكدية التي أسست دولتها التي عُرفت بالإمبراطورية الأكدية وخلفت لنا بعض النصوص، ثم سرعان ما اتسع مدلول التسمية وغدت تستخدم للدلالة على جميع اللهجات المتفرعة عن اللغة الأكدية والتي انتشرت فيما بعد في بابل وأشور منذ أواسط الألف الثالث قبل الميلاد حتى أواخر الألف الأول قبل الميلاد عندما تضائل استخدام اللغة الأكدية ثم تلاشى أمام اللغة الآرامية وغيرها من اللغات التي استخدمت في وادي الرافدين بديلاً عن اللغة الأكدية، أي أن مصطلح (اللغة الأكدية) بهذا المفهوم الواسع أصبح يدل على جميع اللهجات (اللغات) التي تكلمت بها الأقوام الأكدية والبابلية والآشورية والكلدية

واستخدمتها للتدوين. كما يدل المصطلح أيضاً على جميع اللهجات المتفرعة عن هذه اللهجات الرئيسة التي استخدمت في مناطق معينة وفترات زمنية محددة كاللهجة الأكدية التي استخدمت في بلاد عيلام واللهجة الأكدية في منطقة كبدوكيا في آسيا الصغرى ولهجة العمارنة في مصر.

27) قواعد اللغة السومرية ـ د.فوزي رشيد 2009م.

إن الإنجاز الأهم في تاريخ الحضارة السومرية هو بلا شك اختراعهم أقدم كتابة في تاريخ البشرية وهي الكتابة المسمارية التي طوروها حوالي سنة 3200 قبل الميلاد . ويشكل اختراع الكتابة وإدخالها في الاستعمال العام أهم حدث في التاريخ الفكري للبشر، فهو الحد الذي يفصل بين مرحلة ما قبل التاريخ، والمراحل التاريخية اللاحقة. سميت الكتابة السومرية بالكتابة المسمارية لأن شكلها يشبه المسامير .والسبب في ذلك عائد إلى طبيعة المواد التي استعملوها في الكتابة: ألواح من طين تغمس الكتابة فيها غمساً بواسطة قلم من قصب فيشكل الغمس في الرقيم الطيني مثلثاً يشبه رأس المسمار. ثم تخط خطوط عمودية وأخرى أفقية فيحصل على شكل مشابه للمسار. بعد ذلك كانت الألواح الطينية الرطبة توضع في تنور وتطبخ بالنار وتصلب تمهيداً للاحتفاظ بها. وكانت الكتابة المسمارية في طورها الأول كتابة صورية كالهيروغليفية، ولكن السومريين سرعان ما طوروها لتصبح كتابة مقطعية وبهذا تم اختزال الرموز المستعملة فيها إلى أصوات المقاطع في اللغة السومرية البالغة حوالي 598 مقطعاً صوتياً.

28) فرسان الهيكل والمحفل الماسوني (بريطانيا منبت الباطنية الصهيونية العالمية) أسرار الماسونية مايكل بيجنت ـ ريتشارد لي ـ ترجمة:محمد الواكد ـ مراجعة وتدقيق: د.حسن الباش، 2009م.

أفضل تحقيق ينشر حتى الآن في تسليط الضوء على تطور الماسونية.

في هذا الكتاب يتتبع المؤلفان هروب فرسان الهيكل بعد عام 1309م من أوروبا إلى اسكتلندا التي وضع فيها تراث فرسان الهيكل جذوره، وجرى الحفاظ عليه من شبكة العوائل النبيلة هناك، ذلك التراث نشأت منه الماسونية، وأصبحا مرتبطين بقضية (آل ستيوارت) التي حمت تراث فرسان الهيكل، وكانوا مرتبطين بعمق بالماسونية الناشئة آنذاك. الكتاب يظهر أن ولادة الماسونية حصلت خلال بقاء تقاليد فرسان الهيكل، ومن تيارات الفكر الأوروبي، ومن اللغز المحيط بمصلى روزلين، ومن مجموعة خاصة من الأرستقراطيين الملازمين كونهم حراساً شخصيين للملك الفرنسي.المؤلفان في مطاردتهم للماسونية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر يكشفان ماهو أكثر إثارة، تأثير الماسونية كونها عنصراً أساسياً في تشكيل الولايات المتحدة الأمريكية من خلال تغلغل الماسونية في المجتمع البريطاني، لتجسد «الجمهورية الماسونية المثالية».ومن هنا يستطيع أي قارئ لهذا الكتاب أن يكتشف سر التحالف العقدي بين اليهودية والبروتستانتية الأصولية في أمريكا وبعض بلدان أوروبا .يحاول المؤلفان أن يبعدا الحديث عن هذا التحالف بين الصهيونية البروتستانتية والصهيونية اليهودية، لكّن التاريخ يثبت أن المهاجرين الأوائل إلى أمريكا كانوا في معظمهم من الماسونيين المتحالفين مع اليهودية قبل تبلور الحركة الصهيونية السياسية. وإذ نسلط الضوء على أكثر من خمسمئة سنة من التطورات الخاصة بفرسان الهيكل والماسونية الأمريكية ذات الجذور البريطانية فإننا نقدم للقارئ العربي هذا الكتاب، لأنه أكثر من تاريخ وأكبر من وثيقة، يدمغ الماسونية بدمغة الحركة الباطنية المدمّرة، والتي تسعى في النهاية لتحقيق حلمها بهدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل المزعوم على أنقاضه متحالفة مع الاحتلال الصهيوني الماسوني العالمي.

29) الإرث المسيحي ـ أدلة مذهلة على السيد المسيح وعلى جمعية سرية لا تزال مؤثرة حتى اليوم: ريتشارد لي ـ مايكل بيجنت ـ هنري لنكولن:محمد الواكد مراجعة وتدقيق: د.حسن الباش، 2009م.

هذا هو الكتاب الذي يكشف فعلاً أجوبة الأسئلة المثيرة والمزلزلة.أربع سنوات من البحث والتمحيص كشفت المزيد من الأدلة المريعة والنتائج المزلزلة بعد كتابي «شيفرة دفنشي» و «الدمّ المقدّس والكأس المقدّسة» اللذين قوّضا تماماً أسس الديانة المسيحية، ما المعنى الاستثنائي الذي يكمن خلف لقب السيد المسيح «ملك اسرائيل»؟.هل كان هناك أكثر من مسيح واحد؟. من هم حقاً الذين كانوا أتباع السيد المسيح، وما الهويّة الحقيقية لسمعان بطرس ويهوذا الأسخريوطي؟. من يمتلك الآن الكنز القديم الذي كان في هيكل سليمان في أورشليم؟.ما المصدر الحقيقي «لأصول» الديانة المسيحية الراهنة؟. ما الذي يربط بين الفاتيكان ووكالة المخابرات الأمريكية المركزية (CIA) ومجلس أمن الدولة السوفيتي (KGB) والمافيا والماسونية وفرسان الهيكل؟. ما الهدف المذهل للجمعية الأوروبية السريّة التي تنسب جذورها إلى السيد المسيح وآل النبي داوود؟.

في هذا الكتاب أحضر المؤلفون رسالة تنوير للحقيقة وأهمية عاجلة لكل المسيحيين وغير المسيحيين في كل أنحاء العالم.

30) المكان المقدس الكاهن سونير وفك شيفرة اللغز العظيم لقرية رين لي شاتو. عاصمة أسرار التاريخ الفرنسي، هنري لنكولن.ترجمة:محمد الواكد مراجعة وتدقيق: د.حسن الباش، 2009م.

من المؤلف المشارك في الكتب التي أسست قاعدة انطلاق لكتاب شيفرة دافينتشي، يأتي الكتاب الذي يكشف عن تحفة فنية معمارية مسيحية واسعة ونادرة، إنه معبد هائل ذو أشكال هندسية معقدة في جنوب فرنسا، ويمكن ارتباطه بالكأس المقدّسة.هذا الكتاب يتحرّى عن رين لي شاتو، وهي بلدة صغيرة في جنوب غرب فرنسا، في هذه البلدة، وفي أواخر القرن التاسع عشر اكتشف كاهن القرية المدعو بيرينجر سونير سلسلة من المخطوطات الكتابية التي قادت تباعاً إلى كنز عظيم ولكنه ملعون، إنه الكنز الذي تحدّى العديد من المعتقدات والتقاليد المسيحية، بما فيها إمكان استمرار سلالة السيد المسيح حتى الوقت الراهن، قصّة الكنز تعود في التاريخ لتتخلل الحملات الصليبية، وأصول فرسان الهيكل والولادة البتولية ذاتها .كتاب دان براون الذي تربع على رأس قائمة الكتب الأكثر رواجاً دولياً في الوقت الراهن أوقد النار والفضول من جديد فيما يتعلق بهذا المكان القديم الحاسم، في المكان المقدّس يكشف لنكولن بالمزيد من الاستطلاعات والتفسيرات والتحليلات أنّ هذه المنطقة في جنوب غرب فرنسا هي موقع لمكان مسيحيَ مقدّس، يتميز بأهمية هائلة وحجم عظيم.
يحتوي الكتاب على أكثر من مئة صورة وعلى مخططات توضيحية ومخططات لسونير ورين لي شاتو، إضافة إلى المخطوطات الكتابية التي كانت الحافز الأساسي لاكتشافات سونير، والأسس الهندسية التي استندت إليها تلك الاكتشافات.
هنري لنكولن هو منتج أفلام وثائقية بارز، إضافة إلى كتاب الدم المقدّس والكأس المقدّسة، هو مؤلف مشارك في الكتب التالية: «الإرث المسيحي»، و«دليل على النمط المقدّس»، و«الجزيرة السريّة لفرسان الهيكل».

31) عصر حماس . شاؤول مشعال . أبراهام سيلع . قراءة وتعليق :علي بدوان2009م.

(عصر حماس) لكاتبين إسرائيليين، عملا منذ فترة طويلة ومازالا في حقل الكتابة والإعلام في الصحف الإسرائيلية وأهمية الكتاب تنبع أولاً من كونها تقدم بصورة ما، رؤية إسرائيلية صهيونية لتنظيم فلسطيني بات يشكل قوة كبيرة ذات حضور سياسي وجماهيري في الشارع الفلسطيني، وطرفاً أساسياً في معادلة معقدة مازالت تحكم الصراع العربي والفلسطيني مع العدو الصهيوني.الكتاب يحتفظ بأهميته في سياق قراءة مقدمات الرؤية الصهيونية، كيف كانت وكيف أضحت مع سيل من الأحداث التي تكاثفت في ساحة الصراع الفلسطيني والعربي مع العدو الإسرائيلي، وهي تطورات فرضت نفسها أولاً داخل المجتمع اليهودي على أرض فلسطين التاريخية، ووضعته أمام نقاشات من نوع جديد، مع تصاعد الأسئلة المصيرية التي أصبحت أسئلة يومية تطرح نفسها على كافة مستويات وشرائح المجتمع الصهيوني، ومن بين الأسئلة التي كانت ومازالت الأكثر تواتراً، نجد منها الأسئلة المتعلقة بجدوى السياسة الإسرائيلية المتبعة تجاه حركة حماس بشكل خاص وعموم قوى المقاومة الفلسطينية بشكل عام.وهناك قناعة شبه راسخة باتت تشير للإسرائيليين بأن حركة حماس تتمتع بتأييد اجتماعي قوي وحضور مؤسساتي مؤثّر، وتأثير سياسي غير متناه داخل الرأي العام الفلسطيني، وقدرة على التكيّف في الظروف الصعبة، وخاصية مميزة بصفتها حركة جماهيرية تربطها المؤسسات بترابط متين لحاجات المجتمع، مما جعل منها قوة سياسية من الصعب تجاهلها من حيث حضورها ونشاطها المدني في المستقبل الواضح للعيان، وبأن أجيالاً جديدة من شبان ورجالات المقاومة مازالت تنبع وتتوالد في فلسطين، حيث لم تستطع آلة القتل والتدمير الإسرائيلية من اجتثاث المقاومة وفصائلها، أو من تحييدها ووضعها خارج دائرة الفعل والتأثير.

32) قراءة في مذكرات يعقوب بيري، رئيس جهاز الأمن العام الإسرائيلي «الشاباك» . القادم لقتلك ... استبق واقتله، تقديم: د. أمل يازجي، د. منذر الحايك. 2009م.

عزيزي القارئ . . اقرأ هذا الكتاب، فقد قرأت مرة في مقدمة كتبها غسان كنفاني، عندما ترجم نصوصاً قصصية من العبرية إلى العربية: (إنه لا يمكنك أن تعرف أدب الآخر حتى تفهمه)، فهنا تجد مجموعة ذكريات لرجل صنع مع آخرين سجل دولة تعشق اللون الأحمر، وكان لديه دائماً ما يكفي من مسوغات أخلاقية وسياسية، تسمح له ولفريقه بالقتل، كما يقدم الكتاب صوراً كثيرة، تظهر كم السلم ممكن، وكم السلام مستحيل، وكم جاء قاطنو فلسطين الجدد بلا ذاكرة، وكم هي كبيرة مأساة هؤلاء، لأن الوطن ذاكرة، ولا يمكن اغتصاب ذاكرة الآخرين وجعلها وطناً لأي كان.لقد سعى بيري لأن تكون مذكراته عرضاً للمشهد الختامي من المسلسل الصهيوني الطويل، مع تجاهل الممارسات التي أدت إلى هذا المشهد الذي ساهم فيه القتل والتهجير والاضطهاد الصهيوني بتحويل الفلسطيني إما إلى استشهادي مقتول بشرف، وإما إلى مقتول ذليل لا محالة. ولكن تواتر الانتفاضات والشهداء لن يسمح لمشهد (الآتي لقتلك) أن يكون، كما أراده بيري، مشهداً ختامياً للصراع العربي الإسرائيلي، لذلك أدعو كل عربي لقراءة هذا الكتاب، ليعرف حقيقة مشكلة الأمن في إسرائيل، والشعور بالخوف القاتل من المستقبل، وعلى ضوء ذلك يمكن أن يفسر العديد من مواقفها وردود أفعالها .

33) تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس (دراسة في التاريخ النقدي للكتاب المقدس في الغرب المسيحي) . د.يوسف الكلاّم 2009م.

هذا العمل العلمي نقدمه للقارئ العربي جاء ليكسر الطوق على المعرفة الإسلامية الحديثة والمعاصرة التي «زهدت» لأسباب سياسية واجتماعية قديمة في تعرف أديان العالم وعقائد الآخر، بعد أن كانت تلك المعرفة سبّاقةً إلى رصد الفرق والأهواء والملل والنحل، ثم إن هذا العمل دال من جهة أخرى على قدرة صاحبه على هضم علم مقارنة الأديان، وتتبع مسالكه داخل المجتمع الغربي، وانطلاقاً من مصادره الأولى وأدبياته الأصلية، ما مكنه من إعادة النظر إلى هذا العلم وتقييمه انطلاقاً من رؤية علمية استراتيجية قائمة على مفهومي التقنين والتقديس اللذين يحيلان في واقع الأمر إلى مشكلة المتغير والثابت أو المعياري والمطلق، وهي مشكلة لا تخص النصوص الدينية في الغرب فقط، بل إنها تعم كل مجالات الفكر الغربي، حتى أصبحت اليوم مشكلة المشكلات في هذا الفكر هي إضفاء المعيارية المطلقة على كل القيم والمفاهيم التي تصير حينئذ خاضعة لتقنين وترسيم متجددين، لن يلبثا أن يتغيرا بتقنين مخالف، فيصبح المقدس الماضي محدوداً في الحاضر، ليترك المجال لمقدس آخر يُفرض فرضاً، ويقنن له تقنيناً بشرياً محضاً!، ومما لا شك فيه أن هذه المواقف الريبية من معنى الحقيقة لم تكن إلا انعكاساً لواقع تاريخي خاص، خاضه الغرب سياسياً واجتماعياً وفلسفياً ودينياً، بل تكاد مواقف الفكر الغربي من مشكلة الحقيقة أن تكون ردود فعل على ما عانته الكتب الدينية «المقدسة» عند المسيحيين من مشكلات صارخة مع الحقيقة، وما أثارته من مشكلات معرفية، وما خلفته من مواقف نقدية، وضعت تلك الكتب «المقدسة» ومعها ممارسات وسلوكيات الآباء والرهبان القائمين عليها موضع المساءلة، وكل هذا ينبئ عن جدلية العلاقة بين مشكلة الكتاب المقدس والتطور الفكري والفلسفي في الغرب الحديث والمعاصر، ولعل مصطلحي التقديس والتقنين يختزلان تلك الإشكالية ويشيران إلى تطورها إلى يومنا هذا، وأظن أن الدكتور يوسف الكلام قد وُفق جداً في استيعاب حركة نقد الكتاب المقدس في الغرب بعد أن ربطها بظرفيتها الفكرية والسياسية الداخلية، وشدّد على أسبابها الذاتية الكامنة في ذلك النص المقدس نفسه، وذكّر أيضاً ببعض أصول تلك الحركة ومنابعها داخل الفكر الإسلامي. ولقد سبق المؤرخ الهولندي الكبير آدم ميتز في كتابه الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أن أكّد أن «تسامح المسلمين في حياتهم مع اليهود والنصارى، ذلك التسامح الذي لم يسمح بمثله في القرون الوسطى كان سبباً في أن يُلحق بمبادئ علم الكلام شيئاً لم يكن من مظاهر القرون الوسطى، وهو علم مقارنة الأديان».

34) معجم مصطلحات ألفاظ الفقه الإسلامي . سائر بصمه جي . 2009م

يغطي هذا العمل أكثر من (5000) لفظ من ألفاظ الفقه الإسلامي في كل من الأقسام التالية: الصلاة، الصيام، الحج والعمرة، الزكاة، الطهارة، الأحوال الشخصية، المعاملات، المواريث، الجنايات و العقوبات، الجهاد، الأقضية و الأحكام، الأطعمة و الأشربة، اللباس و الزينة، وفيه الشرح اللفظي للمصطلح من الناحيتين اللغوية و الشرعية. العمل مرتب على حروف المعجم العربي تسهيلاً لعملية البحث عن المفردة. كما أننا نعرض رأي جميع المذاهب في هذا اللفظ.

35) الخديعة الكُبرى هل اليهُود . حقّاً . شعب الله المُختار؟ د. مُحمَّد جمال طحَّان ط2 - 2009م.

بماذا وصف مفكرون أوربيون وأمريكيون اليهود؟ما مدى العداء الذي يكنه الصهاينة للسيد المسيح ولبني الإسلام؟

تقول نيستا ويبستر: إن المفهوم اليهودي السائد عن فكرة شعب الله المختار هو مفهوم سياسي محض ابتكره الحاخامات لحض اليهود على السعي الدؤوب للسيطرة على العالم ويعتبر هذا الشعار أساس الديانة الحاخامية التلمودية ويأخذ اليهود بتعاليم التلمود كدستور لهم في الحياة.من هم اليهود؟ ومن هو إسرائيل؟ وصف اليهود في التوراة والأناجيل والقرآن الكريم؛ الماسونية، الدولة العالمية، رسالة الحاخام الأكبر في إسطنبول لليهود في أوروبا والعالم. الأسلحة اليهودية الرهيبة.الكتاب موجه إلى الذين لا يعلمون حقيقة اليهود وإلى الذين يعلمون حقيقتهم من أجل أن يقاوموا ويحاولوا.

36) المرأة عبر التَّاريخ البشري الحضارات القديمة العبرانيُون، التَّوراة، الفراعنة، الشَّرق الأقصى، البُوذيُون، الصِّينيُون، اليُونانيُون، رُوما القديمة، المسيحيُون الجاهليُون، الإسلام . د. عبد المُنعم جبري 2007م ط2-2009م.

لعلَّ هذا الكتاب هُو الأشمل والأدقّ في بحث مُهمٍّ كبحث المرأة ... استعرض فيه مُؤلّفه تطوُّر حُقُوق المرأة عبر التَّاريخ البشري، بدءاً من الحضارات القديمة، مُرُوراً بالعُصُوْر الوُسطى في أُوروبا والجاهليَّة والإسلام، ثُمَّ تحدَّث عن أنَّ المرأة، هل هي الَّتي تُحدِّد مصير العالم؟ ومَنْ هي المرأة في أُنوثتها الأُولى والمُراهقة، وسنِّ النُمُوِّ العقلي والجسدي؟ ثُمَّ عرَّج إلى المرأة في حضارات الشَّرق الأوسط (بابل، التَّوراة، الفراعنة، الكَهَنُوت) ثُمَّ المرأة في حضارات الشَّرق الأقصى (اليابان، الصِّين)، (اليُونان، رُوما القديمة..) المسيحيَّة والمرأة، عداء الكَهَنَة للمرأة، تحرير المرأة في نظام العائلة البَلْشفي الشُّيُوعي الرُوسي، المرأة الفارسيَّة،

المرأة في عصر النّهضة، الطّبيعة والتّاريخ في حقّ المرأة، واقع المرأة عبر العُصُور، المرأة العربيَّة، (البداوة والإسلام وعصر النّهضة)... البغاء ودوافعه، اللُواط، السُحاق، المرأة المُسلمة عبر التّاريخ، المُساواة بين المرأة والرّجل (قانونيّاً)... وغيرها من الموضوعات المُهمَّة جداً جداً.

37) الماسُونيَّة والمُنظَّمات السرّيَّة ماذا فَعَلَتْ؟ ومَنْ خَدَمَتْ؟ عبد المجيد همُو 2007م . ط2 2009م.

الكَهَنُوت الأعلى في طيبة، القُوَّة الخفيَّة اليهُوديَّة، جماعة الآلهة ميترا وعبادتها، الغنُوصيَّة العرفانيَّة، الحشَّاشُون، النُورانيُون، البابيَّة، البهائيَّة، فُرسان الهيكل، الغاردُونا جماعة الصّليب الورديّ، الفحَّامون، أحباب الملاك الحارس، الخصَّاؤن، الماسُونيَّة:أصلها، نُشُوءها، تعريفها، من أين اسمها؟، محافلها، وأسماء ماسُونيَّة عالميَّة وعَرَبيَّة، اليمين التي يُقسمها المُنتسب للماسُونيَّة، ما الامتحانات؟ وما الاختبارات التي يخضع لها؟ الماسُونيَّة والسّياسة، التّجنيد لصالح اليهُود، علاقة الماسُونيَّة بالقَبَالة وبالتّلمُود، مُحاربة الأديان، التّوراة ولا شيء غيرها، مُحاربة الأمم، كيف سقطت الإمبراطُوريَّة الرُوسيَّة، كيف تفجَّرت الثّورة الفرنسيَّة، إعادة اليهُود إلى فلسطين، بناء الهيكل، الماسُونيَّة والتّنظيم، الماسُونيَّة الرّمزيَّة، كيف أُقيم أوَّل محفل، محافل أُورُوبة، محافل أمريكا، محافل البلاد العَرَبيَّة، مشاهير الماسونيِّين من الشّرق والغرب اللُوثريَّة، البيُوريتانيَّة، أحبَّاء صهيُوْن، شُهُود يَهْوَه، الرُوتاريَّة، بْنَاي بْريت، الدُونمة، الاتّحاد والتّرقّي، العلْمانيَّة، الاشتراكيَّة العلميَّة، الاتّحاد اليهُوديّ العامّ، الرّيفُورم بلُوتُو، أنوشيت، ثرُويد رست.كتاب يجمع مُعظم المُنظَّمات السرّيَّة العالميَّة، ويشرح كيف يتمُ الانتساب لهذه الجمعيَّات. كتاب يسدُ فجوة في المكتبة العَرَبيَّة، ويُعرّي ويفضح اليهُود الذين كانوا السّبب الأهمَّ وراء تأسيس مثل هذه المُنظَّمات السرّيَّة.

38) أصالة الوُجُود عند الشّيرازي من مركزية الفكر الماهوي إلى مركزية الفكر الوُجُودي. كمال عبد الكريم حُسين الشّلبي، تقديم : د صلاح الجابري 2008م – ط2 -2009م.

قدَّمت نظرية (أصالة الوُجُود) بُعداً فلسفياً إسلامياً ابتكارياً، نمَّ عن قدرة فكرية فذّة، ما أصالة الماهية عند الفلاسفة السابقين للشيرازي، ثم عند الفلاسفة المسلمين كالسّهروردي وابن عربي، ثم عند الشيرازي؟ وقد اعتمد الباحث . على نحو رئيس . على المنهج الوصفي التّحليلي، مع إدماج المنهج التاريخي المُقارن أحياناً.

39) خارقية الإنسان الباراسيكولوجي من المنظور العلمي . د.صلاح الجابري . 2009م.

40) الرَّحَّالة ك طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، عبد الرّحمن الكواكبي، تحقيق : د. مُحمَّد جمال طحَّان ط5 -2009م.

41) الشراع الأبيض مسيرة وحياة وحكم وشخصية الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان (1918-2004م) د.جمال البدري، 2009م.

42) مسارات وحدة الوُجُود في التَّصوُف الإسلامي الله الإنسان العَالَم، مُحمَّد الرَّاشد2009م .

43) إشكاليَّة وحدة الوُجُود في الفكر العَرَبيّ الإسلاميّ (الله والإنسان والعالم في الحضارات الإنسانيَّة) دراسة تحليليَّة رُؤيويَّة، مُحمَّد الرَّاشد 2009م.

44) الصلات الحضارية بين العراق والخليج العربي خلال الألف الثالث قبل الميلاد (التاريخ السياسي والحضاري) . د.قصي منصور التُركي. 2008م.

تمتد حضارة العراق في جذورها وأصولها إلى أقدم عصور قبل التاريخ، لتستمر في نضجها وازدهارها حتى أوائل العصر الميلادي، وانتشرت تأثيراتها وتراثها إلى عدة أقاليم حضارية، لاسيما المجاورة لها. دراستنا تساهم في الكشف عن صلات حضارية بين إقليمين متجاورين مثل العراق والخليج العربي، واقتضت الضرورة الجغرافية المتعلقة بموقع العراق المطل على الخليج العربي جنوباً أن تقتصر الدراسة على منطقة حضارة جنوب العراق خلال فترة تاريخية محددة بالألف الثالث قبل الميلاد، بيد أنها لا يمكن أن تحدد من حيث التأثيرات الحضارية بين الشعوب في منطقة حضارية واحدة متجانسة .

إن الهدف من هذه الدراسة توضيح قدم الصلات الحضارية وأدلتها بين العراق والخليج العربي، وأهمية أحدهما على الآخر، بفعل ما يتصف به كل إقليم من قدرات، وربما تكون لهذه الدراسة أهمية خاصة في إظهار العلاقات الثقافية والبشرية وحاجة كل إقليم إلى الآخر قديماً وحديثاً في ظرف عسير تمر به المنطقة، والتي هي بأمس الحاجة إلى الحوار الحضاري والثقافي المتبادل بين الشعوب، لتتحقق بذلك الوحدة الحضارية والثقافية.

45) اللغة والمعرفة، رؤية جديدة . صابر الحباشة. 2008م.

إنّ العلوم اللسانية قد عرفت منذ بداية القرن العشرين وطواله جملة من المدارس والاتجاهات اللسانية متعاقبة ومتداخلة وأحياناً متناقضة، ما جعل هذا العلم يتطور ويشهد منعرجات حاسمة، ويبدو أنّ كلّ دارس قد جلب معه عدة لسانية غربية وحاول بها أن يهوي على التراث، فيعيد تأليفه وفق النظرية التي درسها وتشبع بها هذا الدارس أو ذاك، فمن بنيوية دي سوسير إلى سلوكية بلومفيلد وغلوسيماتيك هيالمسلاف، ووظائفية مارتينيه وتحويلية هاريس، وتوليدية تشومسكي، وغيرهم كثير. في هذه الفصول ركزنا على مبحث الدلالة وما يلفّها من إشكاليات تتعلق باللغة والمعرفة والمعنى والتأويل. ويجد القارئ نصوصاً مترجمة عن هذه القضايا رأينا أن نُثْبتها لتعينه على تدقيق النظر في بعض المسائل الفكرية والمنهجية التي تتصل بمقاربات اللغة في النظريات الحديثة، ويعثر المتصفح لهذا الكتاب أيضاً على مقدمات وأشتات لمداخل بحثية في تعدد المعنى، ومن رصد لسبل نشوئه وتعليل طرائق انتشاره ومحاولة ضبطه ضبطاً لسانياً يتساوق ومحاولات علم الدلالة الحاسوبيّ الذي ذهب شوطاً في معالجة اللغة الطبيعية معالجة آلية.

46) التداوليّة والحجَاج ـ مدخل ونصوص . صابر الحباشة. 2008م.

في هذا الكتاب جملة مَن الفصول تحتوي على تمهيد يعرض لمنزلة الحجَاج والخطاب الحجاجي في البلاغة والتداولية ومحاولة لكشف بعض السمات الحجاجية في بعض نصوص الشروح البلاَغية القديمة، إضافة إلى تقديم بعض النصوص الّتي اجتهدنا في تعريبها عن اللغة الفرنسية، وتقدّم في مجملها تعريفاً للحجاج وأنماطه وبعض مباحثه التداوليّة ومفاهيمه الإجرائية، واندراج الحجَاج في المباحث التداوليّة أمر قد جرى في عرف الباحثين، وقد أشار إلى ذلك بعضهم إذ قال: «(ويوجد تيار ناتج) عنَ التقاء تيارين نابعين من أصلين مختلفين ومتداخلين في الآن نفسه: تيار ينبع من أطروحات فلسفية ومنطَقية مختلفة، يمكن جمعها تحت العنوان (الفلسفة اللغوية)، ويجمع نظريات مختلفة ومتداخلة كالفلسفة التحليلية والنماذج المنطقية المختلفة، وتيار ينبع من اهتمام اللسانيين بالتخاطب وذاتية المتكلم وخصائص الخطاب، ويتجمع التياران في مجال عامّ مشترك بين اللغويين والفلاسفة والمناطقة وعلماء النفس نضعه تحت عنوان عامّ جداً، هو (الأطروحات البراغماتية)، ويُعدّ الحجَاج باباً رئيساً في المباحث التداوليّة، ونحاول في هذا العمل أن نقترب من نظريات الحجَاج من دون تكرار ما ورد في دراساَت أكثر شمولاً واستيعاباً.

47) ديوان دمشق (من أجمل ما قيل في دمشق الشام)ديب علي حسن2008م.

كانت دمشق على الدوام أكثر العواصم العربية المسكونة بالشعر والشعراء، فقاسموها أفراحها وأتراحها، فمنهم من تغنى بها شوقاً أو غنى لها حباً، ومنهم من هزته النكبات التي تعرضت لها دمشق فجاشت نفسه بقصائد حزن ومواساة.ودمشق عاصمة الدنيا أيام الأمويين، وعاصمة سورية وزينة الدنيا اليوم، ربما كانت من أكثر المدن التي تغنى الشعراء العرب بها وبسكانها منذ العصر الجاهلي، ولا يزالون يفعلون حتى اليوم.

في هذا الكتاب بعض أجمل وأندر القصائد التي قيلت عن دمشق.

48) تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث . د.نعيم اليافي .2008م.

إن هذه الدراسة تلبي حاجة الشعر العربي بحيث تقترب إليه من داخله عبر ربطه بقاعدة فلسفية للعصر أولاً وبنظرية فنية ثانياً ثم تنطلق إلى دراسته دراسة بنائية، ضمن محور رئيسي تدور حوله وهو الوضع الغالب للصورة الذي يهدف إلى دراسة أنماطها المسيطرة في كل فترة على حدة وهي التقليدية والرومانسية المعاصرة .

49) صعود النازية (ألمانيا بين الحربين العالمتين سياسياً، اجتماعياً، اقتصادياً). نيرمين سعد الدين إبراهيم، مراجعة وتقديم : د.منذر الحايك2008م.

قد لايكون هناك تاريخ تنطبق عليه مقولة (التاريخ يكتبه المنتصرون)،كما تنطبق على ماكتب عن النازية،فمعظم ما لدينا من معلومات عنها هو ما سمح المنتصرون بتداوله، منقادين لغطرستهم وللضغط الصهيوني.ونحن عرباً لا مصلحة لنا في تسويغ ماقامت به النازية، ولكن لاشيء يمنعنا من استجلاء بعض الحقيقة بعيداً عن رقابة الفكر الصهيوني وإرهابه، بل لنا المصلحة كل المصلحة في فضح علاقة تسترت الصهيونية عليها، وكتمتها طويلاً عن العالم، ألا وهي التنسيق والدعم المتبادل بين النازية والمنظمة الصهيونية العالمية، وما قاما به معاً، وهو ليس اضهاداً فقط، بل قتل وتهجير بالقوة ليهود أوروبا، حتى ليبدو وكأن الصهيونية هي من سوّق كره اليهود، وهي التي لقنت النازية أفكارها العنصرية، يبرهن الكتاب بالمصادر الرسمية الموثقة على التعاون النازي الصهيوني، ويوضح الأبعاد التي بلغها والتي أخفيت طويلاً. وهو يحمل في طياته رسالة

تكشف المضمون الحقيقي للحركة الصهيونية العالمية، وتثبيت أنها صنو للنازية، كما يبحث في مرحلة حدثت فيها تطورات خطيرة في جميع مناحي حياة ألمانيا التي كانت بلداً مهزوماً، والمنتصرون يحتلون قسماً من أراضيه، وقد كبلته معاهدة فرساي عسكرياً وأرهقته اقتصادياً، هذا البلد بهذه الظروف تمكن من قلب المعادلة، وارتقى معتمداً على ذاته، ليتحول إلى القوة الأكبر في القارة، ويشن الحرب على أوروبا مجتمعة تقريباً، وإذا دفع العالم كله في الماضي ثمن التطرف النازي، فالعرب مازالوا حتى الآن يدفعون ثمن التطرف الصهيوني وإرهاب دولة (إسرائيل) المنظم.

50) استشهاديون أم انتحاريو إرهاب . وجهة نظر يهودية، شاؤول كمحي- شموئيل إيفن، مراجعة وتقديم : د.منذر الحايك2008م.

لم تمر مرحلة تاريخية، أثارت فيها مصطلحات الاستشهاد والجهاد مثل ما تثيره اليوم من جدل واهتمام، وضمن هذا السياق كان كتاب: استشهاديون أم انتحاريو إرهاب (وجهة نظر يهودية)، فهو يجيب عن تساؤلات تشغل بال المجتمعات الغربية عموماً، والمجتمع الإسرائيلي خصوصاً .استعرض المؤلفان المختصان في كتابهما هذا فلسفة الاستشهاد، وجذوره التاريخية، وأماكن انتشاره في العالم، والأسباب والدوافع التي تؤدي إليه، وقدّما ستين حالة من الاستشهاديين، جرى الاستقصاء عن تفاصيل عملياتهم وأسلوب حياتهم، وصنّفوهم في أربع مجموعات أساسية، تتفرع عنها حالات متعددة. ومن خلال الكتاب يستشف القارئ مدى رعب الإسرائيليين، واهتمامهم الأمني والعسكري لوقف تفشي ظاهرة الاستشهاد بين الفلسطينيين، التي أقضت دقائق حياتهم اليومية، وأعاقت الحركة الاقتصادية، عدا آثارها النفسية. وباعتراف الكاتبين: فإن العمليات الاستشهادية كشفت نقطة ضعف المجتمع الإسرائيلي الذي طالما عدها من ميزاته، وهي حبه للتمتع بالحياة.

51) وُجهة نظر مسيحيَّة: دفاعاً عن الجهاد (حقيقة الجهاد)، آرشي أوغوستاين ـ ترجمة: مُحمَّد الواكد، مراجعة: د.منذر الحايك 2008م.

يعالج الكتاب قضايا في منتهى الحساسية والخطورة، وهي الآن على بساط البحث في العالم أجمع، مثل شرعية الجهاد، والدعم المسيحي للقضايا الإسلامية، قابلية نجاح الدولة الإسلامية. يقول مؤلف الكتاب أنا محام ومسيحي كاثوليكي ملتزم، وبعد اطلاعي على نسخة مترجمة من القرآن الكريم توصلت إلى استنتاج مفاده، أن غير المسلمين لاينبغي لهم أن يخافوا من ازدهار الإسلام، وأن مايجب أن نخاف منه هو جهلنا بذلك النوع من الإيمان، أملي أن البشر، من أتباع كل الديانات أن يقرؤوا ماكتبت جيداً وبلا تحفظات سابقة، وبالتأكيد لن أرجو كل شخص ليفعل ذلك لأن الحقيقة لاتتجلى دائماً للجميع مع أنها كالبذرة التي ربما تورق حتى في أكثر الأراضي قسوة.

52) وُجهة نظر مسيحيَّة: تفجيرات انتحارية أم استشهاد، آرشي أوغوستاين . ترجمة: مُحمَّد الواكد، مراجعة: د.منذر الحايك 2008م.

يشكل موضوع هذا الكتاب قضية في منتهى الأهمية للمسلمين ولغيرهم، وماأحوجنا الآن إلى سماع رأي آخر لايمكن أن يتهم بالتعصب، وقد يستغرب القارئ من تقارب يكاد يبلغ حد التطابق بين وجهة النظر المسيحية المتدينة ووجهة النظر الإسلامية . يقول مؤلف الكتاب: ماالذي أعلمتنا به أجهزة الإعلام الغربية فيما يتعلق بالاستشهاد لدى المسلمين؟، نحن لانقرأ عادة كلمة (شهيد)، بل كلمات مثل: (مخرب، وإرهابي)، نحن عُلمنا أن نرد بالخوف والرعب على الهجمات الانتحارية للأصوليين، وأنا هنا أنوي التعامل مع الاستشهاد في الإسلام وكشف طبيعته الحقيقية، وإني أقوم بذلك كوني مسيحياً كاثوليكياً ومحامياً تحفزه الرغبة ليكون صادقاً بما فيه الكفاية لإصلاح الخطأ المستمر الذي تمارسه أجهزة الإعلام المعادية للإسلام، لذا سأحاول توضيح الحقيقة إلى الحد الذي ضلل عنده القارئ.

53) فعَّاليَّة القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النَّصِّ القُرآني ،أحمد بن محمد جهلان2008م.

يهتمُ البحث بتحليل فعاليَّة القراءة وعلاقتها بتجسيد دلالة النّصّ، ويتّخذ من القراءات والتّأويلات المُمَارَسَة على النّصّ القُرآني موضوعاً لاختبار آليَّات القراءة عند المُفسِّرين العَرَب القُدماء، ويفتح سُبُلاً لمُحاولة الاستفادة منها، وربطها بالآراء الحديثة في القراءة وتأويل النُصُوص. من أهمّ ما ورد في الكتاب:ما القراءة الاستهلاكيَّة؟ وما القراءة الفعَّالة المُنتجة؟وما مُستويات القراءة ومُحاورة النّصّ؟ وما مراحل القراءة للقُرآن؟ وكيف نُحلِّل الآليَّة القُرآنيَّة؟ القراءة وإنتاج المعنى، آفاق نظريَّة القراءة، القارئ عند عُلماء القُرآن، المكِّي والمدني، والتّفاعل بين النّصّ القُرآني وواقع المُتلقِّين، النّاسخ والمنسوخ، توسيع المعنى وتضييقه، المُطلق والمُقيَّد، المُحكم والمُتشابه، فَهْم النّصّ القُرآني والقراءة، فَهْم القُرآن بين التّفسير والتّأويل، تيَّارات التّأويل القُرآني، آليَّات التّأويل القُرآني، وشُرُوطه، وأنواعه، بين المعقول والمنقول؛ نقد ما بعد الحداثة.

54) تاريخ دمشق في العصر الفاطمي، د. مُحمَّد حُسين محاسنة . مراجعة وتقديم ؛ د.منذر الحايك2008م.
يعالج هذا الكتاب فترة غامضة ومحزنة وغريبة من تاريخ مدينة دمشق، فترة حكم البربر والبدو والقرامطة وتحكمهم بهذه الحاضرة العريقة، حيث خضعت لهجومهم ونهبهم وتدميرهم وإحراقهم لها، ولكن إرادة الحياة لدى سكان دمشق، في ذلك الوقت، هي الأغرب، وذلك خلال تمسكهم بمدينتهم، ودفاعهم المستميت عنها،وبحال غياب الزعامة الوطنية الرسمية نرى أنه من عمق الفقر والجهل، من صفوف طبقة العامة التي لا تعرف إلا دمشق ومحبة دمشق، تبرز شخصيات شعبية قادرة على قيادة الناس البسطاء، وبأقل قدر ممكن من التنظيم والتسليح تحقق انتصارات، وتظهر مواقف لا تنسى وبطولات، قد تبدو بلا جدوى، لأبطال مجهولين قتلوا على أسوار دمشق، أو في أزقتها، لم يطلبوا حكماً ولم يعرفوا السياسة قط، بل آمنوا بدمشق ودافعوا عنها بأرواحهم، وربما كان من دواعي اهتمامي بهذا الكتاب أنه التفت إلى الطبقة الشعبية في دمشق فدوّن ما تجاهله التاريخ طويلاً، إضافة إلى إجادته احتواء الحدث التاريخي ضمن زمانه وفي حيز مكانه، إضافة إلى تناوله الموفق لموقع دمشق ومناخها وسكانها، واستعراضه لعمرانها بشقيه المدني والديني، وفي أثناء بحثه في ظروف الاحتلال الفاطمي لدمشق نراه يدخل عمق تاريخ هذه المدينة مع تناوله لتنظيم الأحداث فيها، ثم يفصل نواحي الإدارة الفاطمية بدمشق، ويتعرض للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فيها، وللأسواق التجارية والنقود المتداولة، ولفئات المجتمع وملابسها، وطعامها وأعيادها، كذلك يستعرض الثقافة والآداب والعلوم، وباختصار إنها دمشق، مرآة بلاد الشام، والبحث في تاريخ دمشق هو صورة معبرة عن الشام كلها.

55) الحقيقة بين النُّبُوءة والسّياسة . التوراة الأناجيل القُرآن الكريم نُوستراداموس، مُحمَّد نضال الحافظ2008م. ط2.
هل كان انهيار بُرجَيْ مركز التّجارة العالمي نُبُوءة؟ ما مصير مَنْ دعا إلى ضرب مكَّة المُكرَّمة بقُنبلة نوويَّة؟ ما العلاقة بين العراق الآن وبابل زمن نبُوخذ نصَّر؟ ما قصَّة النُّبُوءات في آخر الزّمان؟ ما هي تلك النُّبُوءات الإنجيليَّة والتّوراتيَّة والقُرآنيَّة؟ وما علاقتها بالسّياسة العالميَّة؟ ماذا يفعل اليهُود والمسيحيُون والمُسلمون أمام نُبُوءاتهم؟ كيف تبدو نهاية اليهُود و(إسرائيل) خلال التّوراة والتّلمُود والأناجيل ونُوستراداموس والقُرآن الكريم؟ العراق وبابل واليهُود ونُوستراداموس، هل نسي اليهُود كيف أسرهم نبُوخذ نصَّر وسباهم إلى بابل؟ هل يُحاول اليهُود (أمريكا . بريطانيا) الانتقام من العراق؟ هل من المُمكن أنْ تكون هُناك ضربة نوويَّة للعراق؟ المسيحيَّة الصّهْيَوْنيَّة . نشأتها ومشاهيرها، برُوتُوكُولات حُكماء صهْيَوْن، السّياسيُون الأمريكيُون ونُبُوءات التّوراة والأناجيل ونُوستراداموس، معركة هرمجدون والحرب العالميَّة النّوويَّة الثّالثة، المُؤامرات اليهُوديَّة الأمريكيَّة، فلسطين واليهُود والتّوراة والتّلمُود ونُوستراداموس، هل بدأ يوم القيامة؟! لنتعرَّف الحقيقة المُذهلة خلال كتاب الحقيقة بين النُّبُوءة والسّياسة.

56) خفايا الاستغلال الجنسي في وسائل الإعلام، ويلسون براين كي، ترجمة، مُحمَّد الواكد2008م.ط2 .
ما الهدف من الاستغلال الإعلامي الجنسي؟ هذا الكتاب غير العادي يكشف كُلَّ الطُّرُق التي تقوم بها كُلٌ من المجلاَّت والصُحُف والأقنية التّلفزيونيَّة والأفلام والمُوسيقى الشّعبيَّة، والتي تقوم على مبدأ الاغتصاب والاستغلال الفكْري للشّعب، بعد قراءته لابُدَّ أنَّكَ ستنظرُ، وتُنصتُ، وتُدركُ، ولكنْ بطريقة جديدة تماماً . ـ لا تدعهم يضعون السّتار أمام عينَيْكَ وأُذنَيْكَ وفمكَ وأنفكَ وحواسِّكَ كُلِّها، أيها المُشتري؛ كُنْ حريصاً! كُنْ حريصاً! أوَّلاً من أنَّ الإعلان مُصمَّمٌ من أجل أنْ يضعكَ في عالم الخيال، تلك هي رسالة الاستغلال الإعلامي الجنسي، ما الرُمُوز المخفيَّة في وسائل الإعلام الأمريكيَّة؟ ما كيفيَّة قيام تلك الرُمُوز ببَرْمَجَة وتكييف عقلنا الباطن؟ إنَّه كَشْفٌ مُثير لعواقب الإغواء اللأشُعُوري؛لأنَّ وسائل الإعلام تَعْلَمُ كُلَّ شيء عن مُخيِّلاتكَ، ومخاوفكَ، وعاداتكَ المُتأصِّلة والعميقة، فهي تعلم . إذاً . كيف تستغلُ مشاعركَ وسُلُوككَ الشّرائي . كيفيَّة قيام إعلانات الحلوى بإزالة مخاوفكَ من زيادة الوزن . كَشْفُ أنَّ مجلاَّت مثل (بلاي جير) و (فيفا) المُخصَّصة للنّساء، هي . في الواقع . تستهدف الرّجال . كيفيَّة قيام إعلانات السّجائر بإزالة مخاوفكَ من الإصابة بالسَّرطَان . كيفيَّة قيام الأفلام بابتكار طُرُق تعذيب جديدة من أجل إيلامكَ، ومن أجل زيادة أرباحها . كيفيَّة قيام إعلانات الأزياء بالتّوجُه إلى السُحاقيَّة المُستَتِرَة . كيفيَّة نجاح مُوسيقى الرُوك الشّعبيَّة السّاحق في ترويج المُخدّرات . كيفيَّة قيام صُور الأخبار بقَوْلَبَة وصياغة آرائكَ . كيفيَّة تَضْمين كلمة من أربعة أحرف وإخفائها في صُور طعامكَ وفي صُور ملابسكَ من أجل إثارة الرّغبة الجنسيَّة . كيفيَّة قيام كُلٍّ ذلك . وأكثر من ذلك بكثير . بإثارتكَ، واستعبادكَ، ومن دُون أدنى علم حسِّيٍّ بذلك! (صدمة مُدهشةٌ!) (سحْرٌ شديدٌ!) (الأمرُ يتطلَّب أقصى درجات الحرْص!).

57) رحلة الرّصافي من المُغالطة إلى الإلحاد - دراسة تحليليَّة نَقْديَّة لكتابه الشَّخصيَّة المُحَمَّديَّة.د.أحمد موساوي.د.محمدصالح ناصر، د. مُحمَّد بن مُوسى بابا عمي، إسماعيل عمر بيضون، طه إبراهيم كوزي،2008م.ط2.

(الشَّخصيَّة المُحَمَّديَّة) كتاب ألَّفَهُ الشَّاعر معروف الرّصافي، مَنْ يتأمَّله يتيقَّن أنَّ ما جاء فيه من ادِّعاءات وافتراءات على الله تعالى، وعلى القُرآن الكريم، وعلى الرّسول الأمين، أنَّ نَشْرَ الكتاب في هذه المرحلة تحديداً، له أهداف، وأي أهداف!!. يأتي كتابنا هذا رَدَّاً عَقْلياً منطقياً فلسفياً علمياً، يكاد يكون خالياً من العواطف والانفعالات ورُدُود الفعل الآنيَّة التي تزخر بها الرُدُود على كُتُب ما تُنشَر وقد أقام الرّصافي فكرتَهُ كُلَّها على أساس أنَّ مُحَمَّداً عظيم من عُظماء البَشَر، ولكنَّه ليس نبيَّاً، وليس مُوحىً من الله، وأنَّ القُرآن من اختراعه، وأنَّ الإسلام من بنات أفكاره!! اشترك في تأليف هذا الكتاب ثُلَّة من الأساتذة الدكاترة، كُلّ حسب اختصاصه (دُكتُوراه فلسفة ومنطق، دُكتُوراه دولة في العقائد ومُقارنة الأديان، وفي اللُغة العَرَبيَّة، وفي علم الفَلَك، وفي اللُغة والدِّراسات القُرآنيَّة).

58) النبوءة نص سينمائي (وصية النبي إبراهيم) . د.جمال البدري2008م.

يتكون نص وسيناريو (النبوءة) من **215** مشهداً، ليشكل مع الموسيقى التصويرية.. بعد إنتاجه، فيلماً سينمائياً، لمده ثلاث ساعات على الشاشة.فكرة النص تعتمد الجمع بين المفترض. الواقع والحلم المنشود من خلال العثور في الصحراء السورية، على وثيقة تاريخية تُنسب إلى النبي إبراهيم، وتشير إلى استمرار الصراع بين المؤمنين وغير المؤمنين، وعلامات ذلك وعلاقة هذا الصراع على مستقبل الإنسانية، خصوصاً ضمن منطقة الشرق الأوسط وامتداداتها في عالم اليوم.يركز النص على فكرة الخير والشر وأدواتهما المتصارعة على مستوى الأفراد والجماعات، ويتبنى النص رؤية كتابة السيناريو في هوليوود بإطار من الموضوعية والحياد في استعراض الأحداث والأفكار والمواقف وأبعادها التاريخية والمعاصرة والمستقبلية، إنه نص عالمي وإنساني معاً .

59) صفحات من تاريخ الكفاح الفلسطيني (التكوينات السياسية والفدائية المعاصرة : النشأة والمصائر) . علي بدوان .2008م.

60) اغتيال البيئة الفلسطينية (التطهير العرقي) الاستيطان-جدران الضم-المياه- مصطفى سعد الدين قاعود . 2008م.

61) ملامح البنية الديموغرافية والسياسية والاقتصادية والعسكرية(لإسرائيل) حتى عام 2015م.نبيل محمود السهلي2008م.

62) الفلسطينيون داخل الخط الأخضر...أشجار الصبار في مواجهة سياسة الاحتلال حقائق ديموغرافية واقتصادية وسياسية، نبيل محمود السهلي2008م.

63) أمُ القُرى مُؤتمر النَّهضة الإسلاميَّة الأوُلى، الكواكبي، تحقيق : د. مُحمَّد جمال طحَّان 2008م.

64) السّيف الأخضر الأُصُوليَّة الإسلاميَّة المُعاصرة، د. جمال البدري2007م .

ما الأُسُس العامَّة للجماعات الأُصُوليَّة الإسلاميَّة ؟ مرحلة التَّأسيس والظُهُور، التَّأثير والازدهار، السّبات والانتظار، الاستراتيجيَّات والآليَّات الحركيَّة للجماعات الأُصُوليَّة، الإخوان المُسلمون، الجهاد، آليَّات بناء النُّفُوذ السِّياسي والاجتماعي، الحاضر والمُستقبل، الإخوان المُسلمون وخُطَّة التّمكين، القيادات الجديدة للجماعات الأُصُوليَّة، التّجربة والخطأ . .نموذج تطبيقي.

65)اللغة السيكولوجية في العمارة المدخل في علم النفس المعماري، د. الحارث عبد الحميد حسن2007م.

يهدف علم النفس إلى دراسة الإنسان وسلوكه وطبيعته البشرية، فهو يدخل في حياة الإنسان اليومية وله مجالاته المختلفة وتطبيقاته في الحياة،ما مفهوم علم النفس وما مفهوم العمارة، ما المدارس في علم النفس (chools in Psychology) وما التطورات الحديثة في علم النفس (Recent Developments in Psychology)،علم النفس المعرفي كيف ندرسه ؟ما بنية الدماغ والجهاز العصبي، وما خلاصة وظائف الدماغ المعرفية؟، وكيف يجري خزن المعلومات في الدماغ،العمليات المعرفية، الإدراك الحسي (Perception) الإدراك اللوني (Color perception)، النظريات الإدراكية والعوامل التنظيمية للإدراك الإيهامات البصرية (Visual Illusions) العمليات المعرفية، الذاكرة والتذكر، كيف تُحسن ذاكرتك؟، انبثاق الأفكار (التفكير) (Thinking)، إيصال الأفكار (اللغة) (Language)، توظيف الأفكار (حل المشكلات)

(Problem Solving)،الوعي وحالاتهُ المُتغيرة،سيكولوجية الشخصية المعمارية، سيكولوجية الإبداع في العمارة التفكير الإبداعي والخيال، الإبداع في العملية التصميمية وتنمية الإبداع والتدريب عليه، ما طرق تنمية الإبداع من خارج حقل العمارة وكيف يتم حل المشكلات إبداعياً (Problem Solving)، ماهي طرق التجسير الخيالي أو مَد جسور مِنَ الخيال وماطرق تنمية الإبداع من داخل حقل العمارة.

66) فن السيناريو في قَصَص القرآن (حوار فكري وحضاري جديد في النص)، د.جمال شاكر البدري2007م.

يتناول الكتاب (الإطار العام) لكتاب الله تعالى كقرآن ومصحف ومعالمه المتميزة، التي تشكل عموم شخصيته كماَ تناول (الإطار الخاص) للقصص القُرآني من بين محتوى النَّصّ القُرآني العام..مع الإشارة إلى روح المسرح التي اتسمت بها لغة الخطاب القُرآني،ثم تناول نموذج تطبيقي من قَصَص القُرآن، وهي سورة وقصة سيدنا يوسف ﷺ، وفقاً لكتابة السّيناريو المعاصر في السّينما من خلال (44) مشهداً كاملاً للقصة، مع ملاحقة شخصياتها، من الرّجال والنساء برؤيَّة جديدة، وكشف للأسرار،من ثم التّعليق والتّحليل الفني والإعجازي والعلمي والنفسي لقصة يوسف ﷺ، ولماذا قال الله تعالى فيها أنها أحسن القَصَص؟. مع مقارنتها بغيرها وخصوصاً مع السّيناريو في هوليوود،كما تم تناول فيزياء الصّوت والرّؤيَّة والنور والضّياء، وعلاقة ذلك بالنصّ القُرآني عموماً والنصّ القصَصَي خصوصاً مع تعليقات فكريَّة مختلفة جريئة وجديدة.. وبعد ذلك تناول الجوانب البصريَّة والسّينمائيَّة والتّصويريَّة والمونتاجيَّة، مع نماذج تطبيقيَّة لعدسة القُرآن وإيراد الآيات التي تشكل صوراً حقيقيَّة التقطتها كاميرا القُرآن!!وبعدها تناول الشّخصيَّة البطلة في النَّصّ القصَصَي، من خلال عدَّة قَصَص لعدد من الأنبياء مثل: نوح وإبراهيم وموسى وسليمان ومريم ابنة عمران عليهم السّلام..وتحليل مواقفهم بصفتهم أبطالاً في النَّصّ والفعل والحركة،ثمَ تناول موضُوع الحوار كلغة وفكر وقضيَّة أساسيَّة في عموم القُرآن مع التّركيز على الحوار القصَصَي وتحليله، لرسم التّوظيف الحقيقي من ورائه في الحياة والسّياسّة..وتناول أيضاً محاولة أبي حامد الغزالي في رسم خريطة طريق وسيناريو فلسفي وصوفي للوصول إلى أسرار القرآن، كجزء من حقيقة الوصول إلى معرفة ذات الله وصفاته وأفعاله، وبالمقابل تقديم نموذج وسيناريو جديد، أكثر واقعيَّة،وبعدها تناول أسرار حكايَات ألف ليلة وليلة، ومنْ كتبها والغايَّة من كتابتها؟. وعلاقة اليهود بكلّ ذلك، وهل ألف ليلة وليلة وضُعت لتعارض القَصَص القُرآني.. مثل الإسرائيليَّات في التّفسير والحديث؟.وفي الختامَ تناول حقيقة الغيب كما جاءت في القُرآن، والصّلة بين العالمين ؛ عالم الغيب وعالم الشّهادة، والرّبط بينهما كجزء من رسم التّصورات الكبيرة في القُرآن (السّيناريو العظيم) وتجربة الإسراء والمعراج.. وعلاقتها بالكشوف الحديثة، وأشياء أخرى.. وفيها تمَّ تناول عظمة الفن القُرآني في عدد من المجالات وحقيقة صلاحيته لكلّ زمان ومكان، وخشيَّة القوى الدّوليَّة المعاصرة فعلياً ومحاربتها لكتاب الله، من خلال سعيها لحذف الآيات والسّور التي تعتبرها مضادة لمصالحها وسياساتها.

67) أنماط العلاقات الاجتماعيَّة في النَّصّ القُرآني دراسة سُوسيُولُوجيَّة لعمليات الاتّصال في القصَّة القُرآنيّة(قصَّة مُوسى تطبيقاً)، د.عبد العزيز خواجة2007م.

المُصطلح وحُدُود العلم، الوضعيَّة وارتباطيَّة النّصّ بالمُجتمع، الماركسيَّة والانعكاسيَّة، مدرسة فرانكفورت، الأمبريقيَّة ودراسة الجُمهُور، من النّصّ الأدبي إلى النّصّ الدّيني، العلاقات الاجتماعيَّة: التّحديد والقياس، والمُستويات، العمليَّة الاتّصالية: المفهوم والأبعاد، الأنواع والأساليب، عناصر العمليَّة الاتّصالية ونماذجها، المُرسل، الرّسالة، الوسيلة، المُستقبل، الأُطُر العامَّة للاتّصال، البُعْد السّسيو- تاريخي للنَّصّ القُرآني وقَصّصه، ما مفهوم النّصّ القُرآني؟ ما تاريخيَّة النَّصّ التّأسيسي؟ تقسيم النّصّ القُرآني، من القصَّة إلى القصَّة القُرآنيَّة، تعدُد الأغراض، البُعْد الاجتماعي، عوائق التّحديد، مادَّة القصَّة في النّصّ القُرآني، نمط العلاقات الأُسريَّة، مادَّة مُوسى في النّصّ القُرآني، الأُسرة البيولوجيَّة، الأُسرة البديلة، أُسرة الإنجاب، نمط العلاقات السّلطويَّة وعلاقات السّائد، مَنْ هُو فرعون؟ مَنْ هي حاشيته؟ ما أجهزته القمعيَّة؟ ما وسائلها القمعيَّة؟ احتكاكيَّة مُوسى بالسّلطة، نمط علاقات التّبعيَّة وعلاقات التّعلُم، وغيرها من الموضوعات التي تُطرح بشكل جديد وعلمي.

68) تدويل الإعلام العَربي الوعاء ووعي الهُويَّة، د. جمال الزّرن2007م.

من إعلام الدّولة إلى تدويل الإعلام، الحرب على العراق وسُؤال الهُويَّة الإعلاميَّة، ما هي الحرب الإعلاميَّة؟ من التّدفُق الإعلامي إلى الاختراق الإعلامي، الإعلام المُقارن، دُرُوس الإعلام أم دُرُوس الحرب؟ الإصلاح ومُجتمع المعرفة..ما هي إيديولوجيا مُجتمع المعرفة؟ ما هي إيديولوجيا الإصلاح؟ ما هي إشكاليَّة التّلقّي؟ الشّرق الأوسط الكبير وتدويل الإعلام العَرَبي..قانون إصلاح أجهزة الاستخبارات.. من الإعلام إلى الاتّصال..خيارات لإعادة هيكلة الإعلام والاتصال، إشكاليَّة

76) العلامة مُحمَّد رشيد رضا عصره وتحدّياته ومنهجه الإصلاحي، د.خالد سُليمان الفهداوي 2007م.
حياته، خُصُوصيَّات المرحلة التّاريخيَّة، الوحدة الإسلاميَّة الغائبة والصّراع الدّاخلي، التّخلُّف العلمي للأمَّة وعدم وُجُود برنامج واضح، إلغاء دور المرأة في البناء الاجتماعي، ما هي التّحدّيات التي واجهت الأمَّة في زمنه؟ التّكوين الفكري ومنهجه الإصلاحي.
77) التَّشيُع والعولمة رُؤية في الماضي والمُستقبل، د. جمال البدري2007م .
ما هُو مفهوم التّشيُع و الشّيعة وتطوُّرهما؟ ما أهمّ الأفكار والفرَق الشّيعيَّة؟ الأئمَّة والمذهب الشّيعي الاثنَيْ عشري، الغيبة والإمام الغائب، إرساء عقائد الشّيعة، تعداد الأئمَّة بالتّفصيل، الأسُس والأصُول الشّيعيَّة، العترة والعصمة والولاية والإمامة والعدل والتّقية ونفي البدعة والغيبة والشّفاعة والاجتهاد والدّعاء والتّقليد . ما هُو المُستقبل؟
78) اليهُود وألف ليلة وليلة، د. جمال البدري2007م .
ما هي أهمّيَّة ألف ليلة وليلة؟ اليهُود في العراق القديم، بابليَّة التّوراة والتّلمود، الثّالوث الشّرقي المُشترك، النّتاج الفكري العبّاسي، يهود بغداد في العصر العباسي، عراقيَّة ألف ليلة وليلة، ألف ليلة وليلة المصريَّة، جَغرافيَّة ألف ليلة وليلة، الإسرائيليَّات في ألف ليلة وليلة، الإعلام والسّياسة، المال والتّجارة، الجنس والمرأة، السّحر والأسطورة، الكلام غير المُباح، العهد الثّالث، ألف ليلة وليلة والماسونيَّة، اللّيالي في أمريكا، النُبُوءة!!
79) ناسترادامُوس الألفيَّة الجديدة، جُون هُوغ، ترجمة، مُحمَّد الواكد2007م ط2 ـ 2008م.
مَنْ هُو ناسترادامُوس؟ كيف جمع بين الطّبِّ والتّنبُؤ؟ نماذج من نُبُوءاته..كيف تنبَّأ بـ: مقتل هنري الثّاني؟ بحروب الدّين في أوروبا؟ باغتيال هنري الثّالث؟ بحرب ضدَّ إمبراطُوريَّتَيْن عَرَبيَّتَيْن؟ بولادة الإمبراطُوريَّات الجُمهُوريَّة؟ بنابليون بونابرت؟ بالثّورة الفرنسيَّة؟ بأعمال وحشيَّة إرهابيَّة؟ بمنطاد مُونت غاليفير؟ بسُقُوط رُوبيسبيري؟ بأنَّ نابليون هُو عدوُّ المسيح الأوَّل؟ بالحرب الفرنسيَّة الرُوسيَّة؟ بنابليون الثّالث والرّايخ الثّاني؟ بانحطاط ما بعد الإمبراطُوريَّة؟ بهتلر، وبمُوسُوليني، وبالشّخص الأحمر العظيم، وبراسبُوتين، وبلُغز قَتْل رُومانُوف، وبتنازل إدوارد الثّامن عن العرش، وبهيفتر عدوّ المسيح الثّاني، وبسُقُوط فرنسا، وبمعركة بريطانيا، وبباربا روسا، وبهرمجدون، وبموت مُوسُوليني، وبموت عدوّ المسيح الثّاني، وبإلقاء القنبلة الذّرّيَّة على هيروشيما، وبإسرائيل وفلسطين، وبالثّورة الهنغاريَّة، وبتشارل دي غُول، وبالثّورات الثّقافيَّة الصّينيَة، وبمقتل الأخوة كينيدي الثّلاثة، وبنُزُول أبولو على القمر، وبكارثة تشيرنُوبل، وبنهاية الشّيُوعيَّة، وبكارثة تشالينجير، وبإطلاق النّار على رُوي ريب (رُونالد ريغن)، وبنكسة سُوق الأسهم الماليَّة، وبمعاهدات تخفيض الأسلحة الاستراتيجيَّة، وبمُذنَّب هالي، وبالطّاعون، وبالبابا جُون الثّالث والعشرين، وبالبابا بُول السّادس، وبالاغتيال البابوي، وبالفضائح الماليَّة في الفاتيكان، وبانتشار الإيدز، وبأنَّ ثُلثي العالم سينتهيان ويضمحلان، وبمابوس عدوّ المسيح الأخير(صدَّام حُسين، وجورج دبليو بوش، وأسامة بن لادن)، وبالعقيد مُعمَّر القذّافي، وبياسر عرفات، وبتفجيرات 11أيلول (سبتمبر)2001 (الهُجُوم على الجبال المُجوَّفة)، وبعمليَّة عاصفة الصّحراء، وبحرب أمريكا المُفجعة ضدَّ الإرهاب، وبسلام في الأرض لوقت طويل، وبالحرب المنغوليَّة العظيمة، وبالحرب العرْقيَّة العالميَّة العظيمة، وبإيحاء تأثير البيئة على المناخ، وبالجفاف العظيم النّاجم عن ارتفاع درجة حرارة الأرض، وبأنَّ ملك الإرهاب الحقيقي هُو ارتفاع درجة حرارة الأرض، وبالكُسُوف العظيم في 11أغسطس/آب 1999، وبرجال الرُؤيا الجُدُد؛ مثل سُون ما يُونج، والحلاج، وبدي لاما، وبماهيش يُوغي، وبمهير بابا، وبالسّوامي باراماهانسا يُوغانادا، وبما بعد الألفَيْن، وبألفيَّة من السّلام، وبكيف سينتهي العالم عام 3797بعد الميلاد!!
80) العجيب والغريب في كُتُب تفسير القُرآن تفسير ابن كثير أنمُوذجاً، وحيد السّعفي2007م.
أنّه ـ بكُلِّ تأكيد ـ ليس كتاباً في التّفسير يُضاف إلى التّفاسير التي يضعها عُلماء الدّين. هُو كتاب يستعصي على التّصنيف بحسب المعايير المَدْرسيَّة، ولعلّنا لا نتعسَّف عليه تعسُفاً كبيراً إنْ اعتبرنا أنَّه أقرب ما يكون إلى الإناسة التّاريخيَّة. وهُو ـ إلى جانب ذلك ـ مكتوب بلُغة أنيقة راقية مُمتعة تشدُّ القارئ شداً، وتُحلّق به ـ برفق وأناة ـ في دُنيا الظّنِّ والأسطُورة مثلما تجول به في قضايا الفكْر والمُجتمع ومجالات العقائد والمشاعر، وتنتقل به ـ من حيثُ لا يتوقَّع ـ في الزّمان والمكان، من فترة البدايات إلى عصر المُفسّرين، وبين بيئات العَرَب، واليهُود، واليُونان، والهُنُود، وغيرهم، ثُمَّ هُو كتابٌ طريفٌ من حيثُ رَبْطُه بين عناصر مُستقلّ في الظاهر بعضها عن بعض؛ حيثُ يطّلع عليها قارئ التّفسير الغُرّ، والذي ليست له هواجس وحيد السّعفي المعرفيَّة وسَعَة اطّلاعه على تُراث الشّعُوب، وعلى اتّجاهات البحث المُعاصر ومناهجه.

الهيكلة والحرب على العراق، تحرير الإعلام والاتصال، التّشاؤل الإعلامي، التّلفزيون وتلفزيون الواقع، تعدُد المناهج، أين يبدأ الواقع؟ وأين ينتهي الخيال؟ التّلفزيون وثقافة الفضاء المُختلط، خطاب المُؤامرة وتلفزيون الواقع، قمع الدّولة، قمع الصُورة، التّلفزيون فضاء اتّصالي وجُزء من الفضاء العامّ،ما هي ثُنائيَّة الإعلام والدّيمقراطيَّة؟ في تدويل الإعلام العَرَبي والحرب على الإرهاب..

69) اليد في ضوء القرآن والسنة والضمير الإنساني عجائب وأسرار، د. محمد عبد الباقي فهمي2007م.

يقول المؤلف لقد أدركت منذ زمن طويل أن القرآن الكريم قد حفل بكمٍ كبير من المعاني التي تبين صوراً مختلفة ومتباينة عن اليد ووظائفها ودلالاتها ومعانيها، فحزنت لغفلتنا عن كل هذه المعاني الخالدة في هذا الكتاب المعجزة، بعدها كتبت هذه الرسالة عن اليد من الناحية التشريحية ومعاني كلمة اليد ومدلولاتها في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف واللغة، مع شرح مبسط عن أكثر الأمراض شيوعاً التي تصيب اليد لعلها تكون ذات نفع .

70) فلسفة العبودية عند العارفين، د. منى برهان غزال(الرفاعي)2007م.

هذا الكتاب يدحض كل دعوى ضد التصوف وأهله بمحاولة صادقة، وأمانة بالغة لنقل آراء وحكم العلماء والعارفين من المتصوفة الكرام لدحض كل من دلس وخرب سمعتهم وقيمة عبادتهم وطهارة مسعاهم ونور طريقهم، لأن أصول التصوف كما حددها الإمام النووي إمام أهل الحديث خمسة : 1 ـ تقوى الله في السر والعلانية .2 ـ إتباع السنة في الأقوال والأفعال .3 ـ الإعراض عن الخلق في إقبال والإدبار.4 ـ الرضا عن الله في القليل والكثير .5 ـ الرجوع إلى الله في السراء والضراء .

71) سلطة الاستبداد والمجتمع المقهور، صاحب الربيعي2007م.

يهدف الكتاب إلى تسليط الضوء على المشكلات والأزمات التي تنخر في بنية المجتمعات المقهورة، نتيجة مواجهتها للعنف والاستبداد أمداً طويلاً. والدور الإيجابي وما يمكن أن يضطلع به علماء الاجتماع لمعالجة الأنماط السلوكية غير السوية في المجتمعات المقهورة، بعيداً عن الحلول الجاهزة وما ينتهجه السياسي من أساليب غير علمية، تعقد سُبل المعالجات العلمية السليمة لإنقاذ المجتمعات المقهورة من أمراضها النفسية والاجتماعية التي تسببت بها السياسات غير المسؤولة للسلطات السياسية المستبدة.

72) رؤية الفلاسفة في الدولة والمجتمع، صاحب الربيعي2007م.

يتمحور الصراع القائم بين الفلاسفة والسلاطين عبر التاريخ حول ثنائية الخير والشر، حيث يجد الفلاسفة من مهامهم نشر مبادئ الخير الداعية إلى العدالة والمساواة بين البشر.ويبحث الكتاب في طياته الصراع بين الفلاسفة والسلاطين ـ صفات الحكم والحكومة عند الفلاسفة ـ رؤية الفلاسفة لنظام الحكم ـ المعرفة والإبداع ـ المنطق والحكمة ـ العلم والجهل ـ مراتب النفس الإنسانية ـ ثنائية الخير والشر ـ سلوك الفلاسفة ونوازعهم.

73) دور الفكر في السياسة والمجتمع، صاحب الربيعي2007م.

يتناول الكتاب الأبعاد الفكرية للنظريات السياسية والاجتماعية، الفكر والتوجهات المعاصرة ،الفكر والسلطات السياسية والحزبية،المهام والأداء في العمل السياسي، دوافع العمل الحزبي، الآليات التنظيمية في الكيانات الحزبية، الاستبداد والتحرر في المجتمع، إرساء مبادئ النظام الديمقراطي،طغيان وتحديات المجتمع بشيء من التفصيل المصحوب باستشهادات العديد من المفكرين والفلاسفة والعلماء والسياسيين والمثقفين، وتبيان وجهات نظرهم في دور الفكر في السياسة والمجتمع في عالمنا المعاصر الذي يشهد تطورات متسارعة في العلوم التكنولوجية والمناهج الاقتصادية والسياسية وما تخلفه من سياسات ايجابية وسلبية على المجتمعات البشرية.

74) الفقه السّياسي عند شيخ الإسلام ابن تيمية، د. خالد سُليمان الفهداوي2007م .

ما هي السِّياسة الشّرعيَّة عند ابن تيمية؟ وما أهمِّيَّة الدّولة في مشروعه الإصلاحي؟ وما المقصود بالفراغ الدُستوري؟ولماذا نشأ؟ وما أهمِّيَّة شاغل الفراغ الدّستُوري عند ابن تيمية؟ ما منهجيَّة ابن تيمية في ملء الفراغ الدُستوري؟ ابن تيمية ومنهج المرحلة، هل استطاع ابن تيمية ملء الفراغ الدّستوري(تقييم وتقويم).

75) منهج التّعايش بين المُسلمين واستراتيجيَّة التّقريب بين المذاهب الإسلاميَّة، د.خالد سُليمان الفهداوي2007م .

الطّائفيَّة..التّاريخ والواقع والمُخطَّط، التّوجهُات الغربيَّة تجاه أُمَّتنا العَرَبيَّة الإسلاميَّة، في فقه عام الجماعة، الاختلاف المشروع والتَّفرُق المذموم، لماذا ندعو إلى منهج التّعايش؟ نحو المُستقبل.


منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET



عاصمة الثقافة العربية 2009

تقع الجزيرة الفراتية في قلب العالم القديم، بين أعالي نهري دجلة والفرات، وهي بذلك تحتل الجزء الشمالي الغربي من أرض العراق، والشمالي الشرقي من سوريا، وقد أطلق عليها البلدانيون العرب اسم «الجزيرة»، وورد ذكرها في الكتاب المقدس «سفر الخليقة» باسم «أرض شنعار» ويدعوها الكلدان «بيث نهر أواثا» أي بين نهرين، وأطلق عليها اليونان اسم «Mesopotamia ميزوبوتاميا». ويبدو أن المؤرخ اليوناني بوليبوس (102-202 ق.م) كان أول من استخدم هذا المصطلح (Mesopotamia) ، ثم تبعه الجغرافي المعروف سترابو (64 ق.م - 25 م)، ويقصد به ذلك الإقليم المحصور بين أعالي نهري دجلة والفرات ومنابعهما، وهو يرادف مصطلح الجزيرة الذي أطلقه البلدانيون العرب على الإقليم نفسه.

تعد هذه الدراسة للأحوال الاقتصادية والدينية والسياسية والاجتماعية للجزيرة الفراتية قبل الإسلام ذات أهمية كبيرة، كونها كشفت عن أحداث حقبة تاريخية مهمة في تاريخ العرب سبقت انطلاقتهم الحضارية الكبرى في مطلع القرن السابع الميلادي، وقد توافرت لها مصادر مهمة ومتعددة منها العربية الإسلامية ومنها السريانية واليونانية القديمة، فضلاً من المصادر العربية المسيحية.

الناشر




www.darsafahat.com




ISBN 978-9933-402-20-4



تصميم الغلاف: م. جمال الأبطح